المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

مجلة البحوث والدراسات القرآنية

مجلة علمية محكمة متخصصة بالقرآن الكريم وعلومه

العدد الثالث والعشرون والرابع والعشرون
السنة الرابعة عشرة والخامسة عشرة
١٤٤٢، ١٤٤٣هـ - ٢٠٢١، ٢٠٢٢م

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
في سطور

الافتتاح: نظراً لازدياد حاجة العالم الإسلامي إلى المصحف الشريف، واضطلاعاً من المملكة العربية السعودية بدورها الرائد في خدمة الإسلام والمسلمين، واستشعاراً من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأهمية خدمة القرآن الكريم، من خلال جهاز متخصص ومتفرغ لهذا العمل الجليل، قام بوضع حجر الأساس لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة في السادس عشر من المحرم عام (١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م)، وافتتحه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السادس من صفر عام (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م). وكان له عند وضع حجر أساس هذا الصرح المبارك كلمة ضافية جاء فيها:

" بسم الله الرحمن الرحيم ، وعلى بركة الله العلي القدير ... إننا نرجو أن يكون هذا المشروع خيراً وبركة لخدمة القرآن الكريم أولاً، ولخدمة الإسلام والمسلمين ثانياً، راجياً من الله العلي القدير العون والتوفيق في أمورنا الدينية والدنيوية وأن يوفق هذا المشروع الكبير لخدمة ما أنشئ من أجله وهو القرآن الكريم؛ لينتفع به المسلمون وليتدبروا معانيه "

أهم أهداف المجمع: طباعة المصحف الشريف وتسجيل تلاواته بالروايات المشهورة في العالم الإسلامي، وترجمة معانيه وتفسيره، والعناية بعلومه، وبالبحوث والدراسات الإسلامية، والوفاء باحتياجات المسلمين داخل المملكة وخارجها من إصدارات المجمع المختلفة، ونشرها على الشبكة العالمية .

الإشراف على المجمع: تتولى وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد الإشراف على المجمع، ومعالي الشيخ الدكتور عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد هو المشرف العام على المجمع ورئيس هيئته العليا. ويتابع تنفيذ سياسات المجمع وتحقيق أهدافه الأمين العام للمجمع الأستاذ طلال بن رازن الرحيلي، رئيس تحرير مجلة البحوث والدراسات القرآنية.

الهيئة العليا للمجمع: تختص الهيئة العليا للمجمع بعدد من المهام، منها: رسم الخطط والأهداف العامة للمجمع وسياسات تطبيقها، والإشراف على تنفيذها، وإقرار اللوائح والأنظمة التي يحتاج إليها المجمع.

المجلس العلمي للمجمع: تتضح مهامه واختصاصاته في دراسة الشؤون العلمية وفقاً لأهداف المجمع، واقتراح ما يؤدي إلى تطويرها، ودراسة القضايا والبحوث ذات الصبغة العلمية، والنظر في التقارير المرفوعة من المراكز المختصة.

إحصاءات وإنجازات:

- يضم المجمع الجهات العلمية التي تقوم على إعداد إصداراته وإخراجها، كما تتوافر فيه أحدث التجهيزات في مجال الطباعة، والوسائط المتعددة.
- ينفرد المجمع بنظام رقابي متطور، يطبَّق في جميع مراحل إنتاج العمل منذ الخطوات الأولى في إعداده، مروراً بمراحل الطباعة المختلفة، وتضم إدارة الجودة بأقسامها بالمجمع (٤٦٢) موظفاً؛ وذلك لضمان سلامة النصوص، وإخراج إصدارات المجمع خالية من العيوب والأخطاء.
- تجاوز عدد ما أصدره المجمع (٣٠٠) من الإصدارات الهامة، في شتى العلوم التي يُعنى بها المجمع، ومنها (٧٠) ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى لغات العالم المختلفة، ولا يزال العمل جارياً لإخراج المزيد من الإصدارات المفيدة بعون الله تعالى.
- سيبلغ إن شاء الله إنتاج المجمع لعام ١٤٤٢هـ - ١٤٤٣هـ الموافق ٢٠٢٠م/٢٠٢١م (١٩,٥٠٤,٠٠٠) مليون نسخة من مختلف الإصدارات.
- ووزع المجمع أكثر من (٣٤٠) مليون نسخة على مختلف قارات العالم هدية من المملكة العربية السعودية.

دعم المجمع: يلقى المجمع دعماً متواصلاً ورعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز، وصاحب السمو الملكي ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز حفظهما الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

حُروف مُضيئة

كلمة خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله
لدى افتتاح المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كنت قبل سنتين في هذا المكان لوضع الحجر الأساسي لهذا المشروع العظيم في هذه المدينة التي كانت أعظم مدينة فرح أهلها بقدوم رسول الله ﷺ فزعوه له في شدائد الأمور وانطلق منها الدعوة دعوة الخير والبركة للعالم أجمع وفي هذا اليوم أحمد الله ما كان حلماً يتحقق على أفضل مستوى ولذلك يجب على كل مواطن في المملكة العربية السعودية أن يشكر الله على هذه النعمة الكبرى وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقني لأقوم بخدمة ديني ثم وطني وجميع المسلمين وأرجو منه العون والتوفيق.

فهد بن عبد العزيز آل سعود

١٤٠٥/٧/٦

حُروف مُضيئة

كلمة خادم الحرمين الشريفين
الملك عبد الله بن عبد العزيز رحمه الله
لدى افتتاح المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أحمد الله الذي يسر على يد أخي صاحب السمو الملكي نايف بن عبد العزيز هذا العمل الجليل وأكرمه به فإنه العمل الخالد هو الذي يبقى وهو الذي يلتقي دائماً وعلى مر الأجيال بقلوب المسلمين في شتى أنحاء العالم ، وليس في يقيني أجل وأعظم من هذه المشاريع الخالدة والتي لن تكون إن شاء الله سحابة صيف ولكنها ستظل الرمز العظيم لعهد يبني ويعطي أسخى العطاء في أطهر بقعة في أكرم مدينة ، منها انطلقت الرسالة السماوية إلى العالم أجمع تحمل الهداية وتنير الطريق للحائرين والمظلومين على وجه الأرض ، رسالة أكرمت الإنسان وظلت شاملة متكاملة ما بقي زمان ومكان لم تحتن رقبته الى الأرض ولم تقطع أمله من حياة خالدة وتقول لوشيك غير هذه الحياة الفانية وإذا كانت اليوم هذه المدينة العزيزة على نفوسنا محل اهتمام الدولة وعلى رأسهم صاحب السمو الملكي فهذا حقها وهذا واجب لا عذر فيه لنا جميعاً . أقول هذا وأذكره من صميم قلبي ومن إيماني بجهود هذه المدينة العزيزة .

وبهذه المناسبة الجليلة لا يفوتني من أن أترحم على شهداء الإسلام من أنصار ومهاجرين أعطوا دمهم وحياتهم وكل ما يملكون وإنه كما يهم فضاعة فالإسلام الذي به يعتز كل مسلم يجب أن نتذكره ونستحضره دائماً في عيد الرخاء لأولئك الرجال العظام .

وفقه الله كل من ساهم أو يساهم في هذا العمل الكريم والسلام عليكم ورحمة الله

١٤٠٥/٩/١٠هـ

عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

حُروف مُضيئة

كلمة خادم الحرمين الشريفين
الملك سلمان بن عبدالعزيز يحفظه الله
لدى زيارته المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

يسعدني من الله وتوفيقه تمكن حبرلة الملك فهد بن عبدالعزيز من إقامة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف والذي زرته اليوم السبت ١٤٠٧/٤/٢٢هـ وقد قرأت وشاهدت من الصحافة والتلفزيون عنه الكثير لكني رأيته اليوم يفوق كل التصور إذ عمل كهذا يظل خالداً في التاريخ سوف نقصد من إقامته هو خدمة كتاب الله وما يحمله من هداية للبشرية جمعاء ووجود هذا المؤسسة في هذه البقعة الطاهرة يجعل النفس تشعر بالغبطة والرضا.

أسأل الله عز وجل أن يوفق جميع من لهم عمل فيه من نفع للإسلام والمسلمين وأن يوفق العاملين فيه لما يحبه ويرضاه والله ولي التوفيق

سلمان بن عبدالعزيز آل سعود

١٤٠٧/٤/٢٢هـ

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى تنشيط البحث العلمي، والإسهام في نشر الدراسات والبحوث المعنية بالقرآن الكريم وعلومه، مما يثري مكتبة الدراسات القرآنية، ويدعو إلى التواصل العلمي بين المختصين في هذا المضمار.

وتحقيقًا لهذا المقصد، فإن مجال النشر في المجلة يشمل: الدراسات والبحوث، وتحقيق المخطوطات، وقضايا ترجمة معاني القرآن الكريم.

تكون المراسلات باسم رئيس التحرير على العنوان التالي:

مجلة البحوث والدراسات القرآنية

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

ص. ب: ٦٢٦٢ المدينة المنورة ٤١٤٤٢

المملكة العربية السعودية

هاتف وناسوخ: ٠٠٩٦٦-١٤-٨٦١٥٥٥٢

journal@qurancomplex.gov.sa

مجلة البحوث والدراسات القرآنية

العدد الثالث والعشرون والرابع والعشرون - السنة الرابعة عشرة والخامسة عشرة ١٤٤٢، ١٤٤٣هـ - ٢٠٢١، ٢٠٢٢م

هيئة التحرير

المشرف العام

معالي الدكتور عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، المشرف العام على المجمع

رئيس التحرير

أ. طلال بن رازن الرحيلي

الأمين العام لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

نائب رئيس التحرير

د. معيض بن مساعد العوفي

نائب الأمين العام للشؤون العلمية

مدير التحرير

د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي

الأعضاء

أ. د. تركي بن سهو العتيبي

أ. د. صالح بن محمد العقيل

أ. د. باسم بن حمدي السيد

د. مسعد بن مساعد الحسيني

رقم الإيداع ١٤٢٦/٦٢٢٢ ردمد ٢٦٢٤ - ١٦٥٨

جميع حقوق الطبع محفوظة
لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

قواعد النشر

تلتزم المجلة في نشر المواد العلمية بالقواعد الآتية:

- سلامة البحث مما يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة.
- أن تسهم البحوث والدراسات في تحقيق أهداف المجلَّة.
- أن تكون مراجع البحث علمية موثوقة، ولأهل العلم المعتبرين في مجال التخصص.
- ألَّا تكون منشورة، أو مقدمة للنشر في جهة أخرى.
- ألَّا تكون جزءاً من بحث منشور للباحث، أو من رسالة نال بها درجة علمية.
- أن يكتب الباحث إقراراً بأنه لم يسبق له نشر البحث، ولم يقدمه إلى جهة نشر أخرى.
- أن يراعيَ الباحث قواعد البحث العلمي الأصيل ومنهجه، وأصول تحقيق التراث الإسلامي.
- أن تكون متميزة من حيث الابتكار، والإضافة العلمية، وسلامة المنهج.
- أن يُشار إلى الدراسات السابقة حول الموضوع، والجديد الذي أضافه البحث.
- أن تصدَّر بملخص باللغتين العربية والإنجليزية لا يزيد على صفحة، يتضمن أهم محاور البحث ونتائجه.
- ألَّا تزيد صفحاتها على ستين صفحة، ولا تقل عن عشرين صفحة.
- أن يقدم الباحث تعريفاً موجزاً بسيرته العلمية، وعناوين الاتصال به.
- أن يقدم الباحث نسخة مطبوعة من مشاركته، وأن تصاحبها نسخة رقمية متوافقة مع مواصفات النشر في المجلَّة.
- لا يحق للباحث أن يسحب بحثه بعد التحكيم، إلا بعد موافقة هيئة التحرير.
- لا تعاد المادة إلى صاحبها، سواء نشرت أم لم تنشر.
- لا يلزم المجلة إشعار الباحث بأسباب عدم قبول بحثه.
- يُمنح صاحب كل بحث نسختين من العدد المنشور فيه بحثه، وعشر مستلات خاصة ببحثه.
- لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه إلا بعد مضي خمس سنوات من نشره.
- ترتب المشاركاتُ في المجلَّة هجائياً، وَفْق عناوين البحوث في الإطار الواحد.
- تُبْرَز قواعد النشر ومواصفاته ومنهج التوثيق في بداية كل عدد من المجلَّة.

منهج التوثيق

- إلحاق نماذج واضحة من المخطوطات التي اعتمدها الباحث.
- التوثيق في الحواشي، عدا عزو الآيات إلى سورها وأرقامها، فيكون في المتن بعد نص الآية.
- إثبات حواشي كل صفحة في الصفحة نفسها، ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلاً.
- اختصار الحواشي التعليقية ما أمكن.
- ألَّا يشار في الحواشي إلى بيانات طباعة المرجع المحال عليه، إلا عند اعتماد الباحث على أكثر من طبعة.
- ضبط المُشْكِل من الأعلام، والأمكنة، والكلمات.
- مراعاة الابتداء بالتاريخ الهجري في كل ما يؤرَّخ.
- استخدام علامات الترقيم.
- أن تُضَمَّن قائمة المراجع جميع الأعمال التي تمت الإشارة إليها في البحث.
- يكون ترتيب المراجع في الفهرس الخاص بها ترتيباً هجائياً بحسب عنوان الكتاب، مع استيفاء بيانات الطبع.
- ترتَّب المراجع في قائمة واحدة، مهما كانت طبيعتها ومجال تخصصها.
- إفراد قائمة المراجع الأجنبية، مستوفية بيانات الطبع، مع ذكر اللغة التي كتبت بها.

مواصفات النشر

- مقاس الكتابة الداخلية: (١٢ × ١٨)سم.
- أن يكون الخط واضحاً.
- العناوين الرئيسة: الحجم (٢٠) مُسْوَدّاً.
- العناوين الفرعية: الحجم (١٨) مُسْوَدّاً.
- المتن: الحجم (١٧) غير مُسْوَدّ، إلَّا الأبيات الشعرية، فتكتب بخط مُسْوَدٍّ.
- الآيات القرآنية: الحجم (١٤) مُسْوَدّاً، وتكتب على النحو التالي: ﴿**إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ**﴾ [القدر: ١].
- تكتب القراءاتُ الشاذَّةُ والأحاديث النبوية والآثار بين قوسين عاديين هكذا: ( )، بحجم (١٨) مُسْوَدّاً.
- تكتب النقول بين علامتي تنصيص « ».
- الحواشي السفلية بحجم (١٢) غير مُسَوَّدة، وتوضع أرقام الحواشي بين قوسين.

مجلة
البحوث والدراسات القرآنية

فهرس المحتويات

كلمة معالي المشرف العام على المجلة ١٣

كلمة رئيس التحرير ١٥

دَعْوى تطوُّر الأصوات الثَّلاثة (الضاد ḍ، والطاء ṭ، والقاف q) رُؤْيَةٌ جَدِيدَةٌ

د. علي حمد عبد العزيز الشيخ حمد ١٩

القولُ المبينُ في نفي الشّكّ عن سيّد المرسلين ﷺ

د. عوّاد بن مرزوق بن معوّض السّناني ٧٣

هَمْزُ مَا لَيْسَ بِمَهْمُوزٍ فِي القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ، مَوَاضِعُهُ وَعِلَلُهُ

د. علي حمد عبد العزيز الشيخ حمد ٩٧

رسالة التجويد للمولى صادق بن يوسف المغنيساوي (كان حيّاً سنة ٩٥٠هـ)، دراسة وتحقيق

د. غدير بنت محمد الشريف ١٥٥

تعامل المترجمين مع إشكالية الظنّ ومعانيه في القرآن الكريم

د. عبد العزيز جودي ٢٢٣

أخبار المجمع ٢٧٣

من إصدارات المجمع ٢٨١

كلمة
معالي المشرف العام على المجلة

الحمد لله الذي جعل كتابه الكريم نوراً وهدىً وشفاءً، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، والصلاة والسلام على عبده ورسوله الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنّ مُجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف أُسّس ليعتني بالقرآن العظيم، وطباعته، ونشره، وتفسيره، وترجمة معانيه، وعلومه المختلفة، ولهذا أصدر «مجلة البحوث والدراسات القرآنية»، وهي مجلّةٌ علميّةٌ محكَّمةٌ متخصّصةٌ في القرآن الكريم وعلومه، وترجمة معانيه.

وقد حظيت المجلّة بفضل الله تعالى وتوفيقه على سُمعة طيّبة في أوساط البحث العلمي والمعرفي داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، وتسابق الباحثون من الداخل والخارج على النّشر فيها، واعتمدتها المجالس العلمية في الجامعات؛ لما يُطرح فيها من بحوث علميّة رصينة، ولسلامة آليّة التحكيم فيها.

وها نحن نضع بين يدي القارئ الكريم العددَ الثالث والعشرين والرّابع والعشرين من أعداد المجلّة، وفي ضمنه بحوثٌ وتحقيقاتٌ علميةٌ، نسأل الله تعالى أن ينفع بها الدارسين والباحثين وطلاب العلم.

ونشكر الله تعالى ونحمده على ما وصل إليه مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف من التقدم والمكانة العلمية، وثقة العلماء به في أنحاء المعمورة، وعلى المكانة التي حظي بها في قلوب علماء العالم.

إن المكانة التي تبوّأها المجمّع لم تكن لتتحقّق إلا بفضل الله تعالى ثمّ بجهود وبذل قيادتنا الرشيدة وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود، ووليُّ عهده الأمين، نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع، صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود، حفظهما الله تعالى وبارك في جهودهما، وجزاهما على ما قدّما وما يُقدّمانه من خدمة جليلة لكتابه الكريم، وتيسير الحصول عليه لجميع المسلمين خير الجزاء.

وأشكر لأصحاب الفضيلة أعضاء هيئة التحرير والباحثين الفضلاء لما يقدّمونه من عمل، سائلاً الله تعالى لهم الأجر والمثوبة.

الدكتور عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد

المشرف العام على مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

كلمة رئيس التحرير

الحمد لله الذي نزل القرآن هدى ونوراً وتبياناً، وتكفل الله بحفظه فضلاً منه وامتناناً، واختار لنا خير نبي أرسل وجعله خاتم رسله ولا يأتي بعده رسول أبداً، والصلاة والسلام عليه دائماً وسرمداً وعلى آله وصحبه الكرام جمعاً، وبعد:

فقد تبوأت «مجلة البحوث والدراسات القرآنية» العلمية المحكمة مكانة مرموقة ومنزلة عالية، وغدت تسهم في ارتقاء البحث العلمي وازدهاره، إذ هي وعاء معرفي متميز من حيث المنهجية والكشف عن الجديد، ومعالجة قضايا التخصص العلمي الدقيق في القرآن وعلومه، وإحياء تراثه، ومعالجة ترجمة معانيه، فتجد في عددها الثالث والعشرين والرّابع والعشرين أنها حافلة بالبحوث المتميزة والمعالجة العميقة لعدد من الموضوعات المتنوعة فيها، تم انتقائها من العديد من الأبحاث.

يأتي أولها بعنوان: «**دَعْوى تطوُّر الأصوات الثَّلاثة (الضاد ḍ، والطاء ṭ، والقاف q) رُؤْيَةٌ جَدِيدَةٌ**»، إعداد الدكتور: علي حمد عبد العزيز الشيخ حمد، فجاء فيه أن الأصوات العربية التي دار الخلاف حولها كثيراً بين المتقدمين من علماء العربية والتجويد من جهة، وعلماء الأصوات المحدثين مستشرقين وعرب من جهة أخرى، هي الأصوات الثلاثة: (الضاد، والطاء، والقاف)، وذلك من تحديد مخرجها وبيان صفاتها ورصد تطورها عبر الزمن.

فقد حاول الباحث في بحثه رصد توصيف المتقدمين لهذه الأصوات من جهة المخارج والصفات، ثم بيان رؤية المُحْدَثين فيها؛ للخروج برؤية جديدة، تُضيف مزيد بيان وتحريراً لمحل الخلاف، وتجمع أو ترجح، أو تفسر وتحلل كلَّ ما ذُكر من آراء، محاولاً البرهنة والاستدلال لكل ما أتى به من رأي أو وجهة نظر حول هذه الأصوات الثلاثة تحديداً، والتي خلص البحث أخيراً إلى أنها لم تتعرض لأي تطوُّر أو تَبدُّل ألبتة، خصوصاً في نطقها القرآني المُجوَّد المعهود.

ويأتي ثانيها بعنوان: «**القولُ المبينُ في نفي الشّكّ عن سيّد المرسلين** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، إعداد الدكتور: عوّاد بن مرزوق بن معوّض السّناني، تناول هذا البحث قول الحق عَزَّوَجَلَّ: ﴿**فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ**﴾ [يونس: ٩٤].

فهذه الآية الكريمة التي تناولها البحث موهمة - لمن لا علم عنده أو في قلبه مرض - باحتمال الشكّ من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يأتيه من ربه، رغم أنه ممتنع أن يشكّ صفوة خلق الله بشيء مما جاءه عن الله.

ولقد اعتنى كثيرٌ من المفسرين بإيراد هذه الشبهة وتفنيدها بالحجج والبراهين.

ولقد حاول الباحث استقصاء أقوال المفسرين فيها، مع الترجيح بالدليل للأقوال التي تتماشى مع الفهم الصحيح لما دلّت عليه الآية الكريمة، مع إيراد الأقوال الضعيفة التي تدل على قلة الفهم لدى القائلين بها، أو أنّها دعوى من أهل الأهواء لتحميل النّص القرآني ما لا يحتمل؛ للنيل من عصمة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالبحث بما أورد فيه من أقوال بأدلتها مما أفاض في بيانه أهل العلم ما يدفع الشبه ويبطل المزاعم، أملاً في فهم كلام الله وفق ما أراد الله تعالى.

ويأتي ثالثها بعنوان: «**هَمْزُ مَا لَيْسَ بِمَهْمُوزٍ فِي القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ، مَوَاضِعُهُ وَعِلَلُهُ**»، إعداد الدكتور: علي حمد عبد العزيز الشيخ حمد.

تناول البحث أن العربية الفصحى ولهجاتها المتفرعة عنها على مجموعة من الظواهر اللغوية، وليس بعيداً أنْ نجد آثار وتطبيقات تلك الظواهر اللغوية واللهجية الفرعية في لغة القراءات القرآنية المتواترة منها والشاذة، وظاهرة «همز ما ليس بمهموز» واحدة من تلك الظواهر اللغوية التي وجدت لها محلًّا على ألسنة بعض القبائل العربية، وعلَّلَها المتقدمون من علماء العربية بعلل مختلفة، وقد وُجِدت

مجموعة من الشواهد لهذه الظاهرة اللغوية الصوتية في القراءات القرآنية، وحظيت باهتمام المعنيين بالاحتجاج للقراءات تعليلاً وتفسيراً، وعلى ذلك جاء البحث كاشفاً عن مواضع ورود هذه الظاهرة في القراءات القرآنية مع بيان عللها، بعد تقرير الجانب النظري لهذه الظاهرة والتعريف بها.

ويأتي رابعها بعنوان: «**رسالة التجويد للمولى صادق بن يوسف المغنيساوي (كان حيّاً سنة ٩٥٠هـ)، دراسة وتحقيق**»، إعداد الدكتورة: غدير بنت محمد الشريف.

فهذا البحث يتعلق بإحياء التراث القرآني وتجويده برسالة مهمة في التجويد، للعلامة الشيخ صادق بن يوسف المقرئ المجود، وقامت الباحثة بتحقيقها تحقيقاً علميّاً ومهّدت للبحث بذكر نبذة عن علم التجويد، وعرّفت بالمؤلِّف بترجمة شملت اسمه، ونسبه، وشيوخه، ومكانته العلمية، ومصنفاته، ووفاته.

وحاولت أن تقدم الكتاب في أحسن صورة كما أراده المؤلف، مع بيان منهجه فيه ومصادره التي اعتمد عليها في كتابه، بجانب إخراج الكتاب مخدوماً نصه علميّاً من رفوف المخطوطات إلى عالم النشر ليستفيد منه طلاب العلم والباحثون.

ويأتي خامسها بعنوان: «**تعامل المترجمين مع إشكالية الظنّ ومعانيه في القرآن الكريم**»، إعداد الدكتور: عبد العزيز جودي، يتناول هذا البحث دراسة ظاهرة لغوية مشكلة في اللغة والقرآن الكريم، وانعكاساتها على ترجمة معانيه، وهي ظاهرة الأضداد، وذلك من خلال التعرض لأكثر كلماتها دوراناً في القرآن الكريم، وهي كلمة «ظنّ» وما يتفرع عنها، حيث وردت في سبعين موضعاً من كتاب الله، وهي تحمل معنى الشك وضده الذي هو اليقين، إضافة إلى معانٍ أخرى، والسؤال المطروح: هل أدرك المترجمون خطورة ظاهرة الأضداد؟ وكيف تعاملوا معها؟ وهل أحسّ المترجمون بتغيّر دلالة الظنّ في المواضع المختلفة؟ وما معتمدهم في تحديد دلالة الظنّ في الآية قبل ترجمة معناها؟

للإجابة عن هذه التساؤلات اخترنا ثلاث ترجمات لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية، تُعد من أشهر الترجمات في هذا الميدان، وهي ترجمة الشيخ أبي بكر حمزة، وترجمة الشيخ محمد الشيادمي، وترجمة الدكتور حميد الله، المعتمدة في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ولا يسعني بعد هذا العرض لبحوث العدد الثالث والعشرين إلا أن أشكر الإخوة أعضاء هيئة تحرير المجلة على ما بذلوه من جهود في انتقاء البحوث والتحري في اختيار لجان التحكيم ومراجعة الأبحاث وتدقيقها، مما أوصلها إلى المستوى العلمي اللائق.

وما كان لهذه المجلة أن تصل إلى ما وصلت إليه لولا توفيق الله تعالى، ثم ما تجده من دعم معالي وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد المشرف العام على مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف والمشرف العام على المجلة معالي الدكتور عبد اللطيف بن عبد العزيز آل الشيخ، الذي يرعى هذا المجمع، ويسعى دوماً إلى تزويده بكل ما يحتاج إليه.

كما أنني أرفع خالص الشكر والتقدير لقادة هذه البلاد وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود، وولي عهده الأمين نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود حفظهم الله تعالى على ما يولون المجمع من رعاية ودعم ومتابعة جزاهم الله على ذلك خير الجزاء، ووفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، والحمد لله رب العالمين.

الأمين العام
لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
طلال بن رازن الرحيلي

دَعْوَى تطوُّر الأصوات الثَّلاثة (الضاد ḍ، والطاء ṭ، والقاف q) رُؤْيَةٌ جَدِيدَةٌ

د. علي حمد عبد العزيز الشيخ حمد[1]

مُلخّصُ البَحْث

من الأصوات العربية التي دار الخلاف حولها كثيراً بين المتقدمين من علماء العربية والتجويد من جهة، والأصواتيين المُحدَثين مستشرقين وعرباً من جهة أخرى، هي الأصوات الثلاثة: (الضاد ḍ، والطاء ṭ، والقاف q)، وذلك من حيث تحديد مخرجها، وبيان صفاتها، ورصد تطورها عبر الزمن، ومع وجود خلاف حول غيرها من الأصوات، إلا أنَّ هذه الثلاثة بقيت هي الأبرز من الأصوات والأكثر تداولاً بين الباحثين في دائرة النقاش والخلاف، والأمر لا يتعلق باللهجات العاميَّة فحسب، بل إن الخلاف متجاوز إلى نطقها الفصيح اليوم، ويشمل ذلك النطق القرآني المحفوظ، والزعم بفناء بعضها بوجهه العتيق؛ لذا فقد حاولتُ في هذا البحث رصد توصيف المتقدمين لهذه الأصوات من جهة المخارج والصفات، ثم بيان رؤية المُحْدَثين فيها؛ للخروج برؤية جديدة، تُضيف مزيد بيان وتحريراً لمحل الخلاف، وتجمع أو ترجح، أو تفسر وتحلل كلَّ ما ذُكر من آراء، محاولاً البرهنة والاستدلال لكل ما أتبناه من رأي أو وجهة نظر، حول هذه الأصوات الثلاثة تحديداً، والتي خلص البحث أخيراً إلى أنها لم تتعرض لأي تطوُّر أو تَبدُّل ألبتة، خصوصاً في نطقها القرآني المُجوَّد المعهود.

الكلمات المفتاحية: تطور - الأصوات - الضاد - الطاء - القاف.

---

(١) كلية الإمام الأعظم الجامعة، قسم أصول الدين، العراق، بغداد.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، المتفضل على عباده بالوحي والنور المبين، حافظ كتابه الكريم، هدى وبياناً للناس أجمعين، ثم الصلاة وأتم التسليم على النبيِّ العربي الأمين، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الميامين، ومن اقتدى بهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإن العربية لغة القرآن، وهي محفوظة بوعد الله وحكمته، وحفظها قائم بحفظ القرآن المُنزَّل على النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المنقول إلينا تواتراً من غير نكير، وذلك الحفظ وتلك الرعاية الربانية تشمل نطق أصواته، وبُنية كلماته، وانتظام تراكيبه، مع ضبط الأداء العام، وتلك من عجائب هذا الكتاب، وخصائص هذه الأمة المرحومة، ومزايا هذه اللغة العظيمة؛ ولمجمل هذا فليس من السداد التخلي عن هذه الفكرة الأصيلة الموثوقة عقلاً ونقلاً، وليس من المستساغ ولا المرضي التنصل عنها بأي وجه من الوجوه، فضريبة التخلي مطاعنُ تتوالى، وانتقادات تتعالى، وسهامٌ مشبوهة وأخرى جاهلة تتوجَّه نحو عربيتنا وكتابنا العزيز.

منذ عصر الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ) وإلى يومنا هذا، تُناقَش قضايا كثيرة - وشائكة أحياناً - حول أصوات العربية وتطورها، وما يتعلق بتحديد مخارجها وضبط صفاتها العامة والخاصة والمفردة، وهذه الآراء والنقاشات مُتَنَاقَلة محفوظة في بطون المدونات العربية، حتى لا تكاد تخفى على باحث أو طالب علم في هذا الميدان، وما زال البحث العلمي حول هذه القضايا الصوتية اللغوية قائماً نشطاً، بل حادّاً مستعراً في بعض محطاته، خصوصاً مع تقدم العلوم وتخصصها الدقيق من جهة، وتعدد الباحثين وتنوع ثقافاتهم ومقاصدهم من جهة ثانية، وليس بعيداً أن يكون الحال مشبوهاً مُريباً من بعض منطلقاته وفي بعض دعواته.

ولعل الخلاف الأكثر ضراوة والأحوج إلى التأني والتأمل حين يكون الأمر متصلاً بنُطق أصوات القرآن الكريم، الكتاب الذي لازمت الأمة تناقله عبر الزمن، حفظاً وضبطاً وفهماً، ومشافهة على الأشياخ والمُتقنين، مما يجعل القول بتطور صوتٍ من أصواته، وغياب النطق الأصلي العتيق قولاً غريباً، ومحتاجاً إلى مزيد تأمل وعناية ونظر قبل تبنيه وتدوينه والدعوة إليه.

ومع ذلك فإنَّ الخلاف شهيرٌ على ألسنة الباحثين في الدرس الصوتي الحديث وفي مؤلفاتهم، حول بعض صفات الأصوات وتحديد مخارجها، والزعم بتطوُّرها وتبدُّلها، حتى صار من المألوف جدّاً التسليم بأن تطوُّراً قد طرأ على بعض أصوات العربية الفصحى، فآلت إلى أصواتٍ غير تلك التي وصفها الخليل وتلميذه سيبويه ومن تبعهم من علماء العربية والتجويد، استجابة لقانون التطور الصوتي الحتمي الذي يسري على مختلف اللغات، ويشمل المستويات الأربع: الصوت، والصرف، والنحو، والدلالة، فآمنت جموعٌ كبيرة من الدارسين اليوم بأنَّ بعض أصوات العربية قد تلاشى من ألسنة العامة والخاصة تماماً، حتى صرنا ننطق الصوت الفصيح ببديل عنه، فرضته سنة التطور اللغوي على ألسنة المتكلمين بالعربية.

وليس من العقل الرشيد، ولا من المنهج العلمي السليم، التعامي عن مصداقية تأثير هذه القوانين الصوتية في لغات البشر عموماً، ومن بينها العربية أيضاً، بل ولا يحتاج الأمر إلى كبير بحث وطول نزاع، إذ هو واقع مشاهد، خصوصاً عندما يكون الحديث عن لهجاتٍ عاميَّةٍ فرضت نفسها في الاستعمال والاتصال بقوة، ونطقت بها ألسن أبناء المجتمعات عمليّاً، إلا أن الأمر أبعد من ذلك، فقد تقرر عند أكثر الدارسين اليوم أن هذا التطور شمل بعض أصوات الفصحى، بما في ذلك أصوات القرآن، زيادة على اللهجات العامية التي ابتعدت عن النطق الفصيح العتيق، وكذا هو حال القُرَّاء المشهورين، بل والمجيدين منهم على التحديد كما ينص على ذلك كثير من الأصواتيين المُحدَثين من بني العُرب، وقبل ذلك آراء المستشرقين.

ومن أبرز الأصوات العربية التي نالت حظّاً وافراً من البحث والنقاش والسجال بين الباحثين في عصرنا، هي الأصوات الثلاثة التي عليها مدار البحث (الضاد، والطاء، والقاف)، فقد أُفردتْ بدراسات خاصة، وضُمِّنت في مباحث مستقلة من كتب صوتية متنوعة، تناولت تلك الدراسات قضية تطور هذه الأصوات، مع دعوى انحرافها عن العربية الفصحى مخرجاً أو صفة.

والذي حملني على الكتابة في هذه الجزئية القديمة الحديثة، أهميتها العلمية اللغوية الدقيقة، ثم نزعة دينية وحَمِيَّة قرآنية تجتاح القلب والعقل، أثارها شبه إطباق بين الأصواتيين المُحدَثين على أنَّ صوت الضاد مثلاً قد تغير عن سابقه تماماً، وكذا الحال في صوت الطاء وصوت القاف، ويلزم من ذلك القول: إنني اليوم أنطق هذه الأصوات - قارئاً للقرآن - بغير الوجه الذي نطق به سيدي محمد الأمين صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وكنتُ قد أخذتُ القراءة عن مشايخي مسندة إلى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وآمنت جازماً بأنني نطقتُ صوت الضاد على وجهه العتيق، مُحَقَّقاً مُتْقَناً مشافهة كما عُلِّمْتُ من مشايخي، وكذلك هم أخذوا عن أشياخهم.

ثم لو أردتُ رصد الدراسات السابقة حول هذا الموضوع، سأجد وفرة هائلة في الحديث عن قضايا تطور أصوات العربية، ومن جملتها الأصوات الثلاثة التي سبقت الإشارة إليها، بل وليس ثمة كتاب في علم أصوات العربية إلا وقد أورد - تفصيلاً أو إشارةً - الحديث عن تطور الضاد والطاء والقاف، بذكر مخرجها وصفاتها، وربما الاستفاضة في تحولاتها وتبدلاتها اللهجية القديمة والمعاصرة، وغير ذلك من المباحث والمسائل الجزئية المرعية في هذا الباب، إضافة إلى جملة أبحاث أو مقالات تدور حول هذه الأصوات توصيفاً وتفسيراً وتحليلاً، ومن تلك الجهود على سبيل المثال لا الحصر:

- **بحث**: «**صوت الضاد العربية التي نزل بها القرآن**»: فرغلي سيد عرباوي، باحث في علم الصوتيات التجويدية القرآنية، منشور على الشبكة الإلكترونية.

- **بحث**: «**مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والظاء**»: الدكتور رمضان عبد التواب، المجلد الحادي والعشرين من مجلة المجمع العلمي العراقي (١٣٩١هـ- ١٩٧١م).
- **بحث**: «**الضاد بين الشفاهية والكتابية**»: أبو أوس إبراهيم بن سليمان الشمسان، مجلة الخطاب الثقافي، دراسات، العدد الثاني.
- **بحث**: «**صوت القاف بين كتب التراث والتحليل الصوتي الحديث**»: د. حليمة عمايرة، مجمع اللغة العربية الأردني.
- **مقال**: «**مخرج صوت الضاد بين الحَدَاثة والقِدَم**»: حمد جاسم محمد، مقال على ملتقى أهل التفسير.
- **مقال**: «**ألفونات صوت الضاد**»: كبير بن عيسى، مقال على موقع الألوكة.
- **مقال**: «**الردّ على علماء الأصوات في مسألة همس الطاء المنطوق بها اليوم**»: محمد يحي شريف، مقال على موقع أهل التفسير.
- **مقال**: «**همس الطاء**»: الدكتور غانم قدوري، مقال على موقعه الخاص على الشبكة الإلكترونية.
- **مقال**: «**مخرج صوت القاف عند القدامى والمحدثين، دراسة مقارنة**»: أحمد جاسم محمد، مقال على ملتقى أهل التفسير.
- **مقال**: «**حرف القاف بين أصول اللغة وهيمنة الخطاب**»: عبد المنعم عجب الفيا، مقال على الموقع الإلكتروني لشبكة الراكوبة.

والذي يُميز هذا البحث عمَّا سبقه من الدراسات الكثيرة هو النتيجة التي توصل إليها بعد التأمل والتحليل والنقد العلمي المنطقي، والتي وصفتها في مطلع البحث وفي عنوانه بـ «رؤية جديدة»، التي تتطلب بالضرورة رصد ما قيل قديماً وحديثاً، والوقوف الدقيق على تحرير القول بتطور هذه الأصوات، وأثر ذلك في نطق القراء الذين أخذوا قراءتهم مشافهةً الخلف عن السلف إلى يومنا، ثم تبني الفكرة التي تؤكد أن القول

بالتطور لا تخرج عن كونها دعوى يعوزها مزيد من النظر والمراجعة، ولم أجد فيما اطلعت عليه من كتابات من خلص إلى ما قرره البحث، مع الالتزام بالمنهج العلمي والبراهين الوجيهة التي أوصلت الباحث إلى ذلك، مع السير بمنهج استقرائي ثم وصفي تحليلي.

وقد اشتمل البحث الموسوم «دَعْوى تطوُّر الأصوات الثَّلاثة (الضاد ḍ، والطاء ṭ، والقاف q) رؤية جديدة» على مقدمة، وثلاثة مباحث:

الأول منها: تناول صوت الضاد بين المتقدمين والمُحدَثين.

والثاني: خُصص لصوت الطاء بين المتقدمين والمُحدَثين.

وعني الثالث: بصوت القاف بين المتقدمين والمُحدَثين.

ثم تلا تلك المباحث خاتمة موجزة، لخَّصتُ فيها أبرز نتائج البحث، ألحقتها بعدُ بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدتُ عليها في البحث، سائلاً الله الكريم التوفيق والتسديد، والحمد لله رب العالمين في البدء وفي الختام.

المبحث الأول
صوت الضاد بين المتقدمين والمُحدَثين

أولاً: إشكالية صوت الضاد:

صوت الضاد من أكثر أصوات العربية إثارة للاهتمام، منذ زمن أسبق من زماننا اليوم بكثير، مع ما لقيه اليوم من مناقشة وتداول لموضوعه وقصته بين الباحثين المهتمين بعلم الأصوات على وجه التحديد، وسبب هذا الاهتمام صعوبة نطق هذا الصوت، وتَعَسُّر تحقيقه على الوجه الأمثل، فقد ذكر ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) اضطراب نطق الصوت في زمانه، فقال: «إنَّ من العرب من يجعل الضاد ظاء مطلقاً في جميع كلامهم[١]، ومنهم من لا يوصلها إلى مخرجها، بل يخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهملة، لا يقدرون على غير ذلك، وهم أكثر المصريين وبعض أهل المغرب، ومنهم من يخرجها لاماً مفخمة، وهم الزيالع[٢] ومن ضاهاهم». ثم قال: «واعلم أن هذا الحرف خاصَّة إذا لم يقدر الشخص على إخراجه من مخرجه بطبعه لا يقدر عليه بكُلفة ولا بتعليم»[٣].

---

(١) ولأجل هذا الخلط بين الصوتين أُلِّفت كُتُبٌ كثيرة للتفريق بين الصوتين في الكلام، منها مثلاً: كتاب «الفرق بين الضاد والظاء» للصاحب بن عباد (ت: ٣٨٥هـ)، ومثله لأبي القاسم الزنجاني (ت: ٤٧١هـ)، وكتاب «معرفة الفرق بين الضاد والظاء» لابن الصابوني الإشبيلي (ت: ٦٣٤هـ)، وكتاب «الفرق بين الضاد والظاء» لأبي بكر الشيباني الموصلي (ت: ٧٩٧هـ) وغيرها.

(٢) الزيالع: جمع، واحدها «زيلعي»، نسبة إلى «زيلع»، وهي قرية على البحر بناحية الحبشة، تقع اليوم شمال غرب جمهورية الصومال، على ساحل خليج عدن المقابل لدولة جيبوتي. ينظر: لب اللباب في تحرير الأنساب، السيوطي (١٢٩)، والموسوعة الحرة ويكيبيديا على الشبكة العالمية:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D9%8A%D9%84%D8%B9.

(٣) التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري (١٣١). الأصل أن التعليم والدُّربة والتمرين تؤتي أكلها في نطق الضاد غالباً، وهذا ما نراه في نطق كثير من الأعاجم، اللّهُمَّ إلا إذا أراد ابن الجزري بالطبع سلامة الفرد من عيوب النطق الخَلْقية.

وأشار بعضهم إلى نطق الضاد في لسان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنه أفصح العرب في نطق الضاد، وتمكنه من تعدد مواضع تحقيقها، فكان يتكلَّفها من الجانب الأيمن ومن الجانب الأيسر، ومنهما إذا شاء، وذلك مما اختص به[١].

وهذا يشير إلى وجود إشكال في نطق عامة الناس في زمانه، مما جعلهم يُمَيِّزون نطقه ويصفونه بالأفصح، وهذا التعدد في النطق يتضمن أنه في سياقات جُمليَّة معينة، وبتأثير أصوات معينة[٢].

بل وعمد بعضهم إلى تأليف كتب خاصَّة بهذا الصوت، مما يدلل على عمق مشكلة هذا الصوت، ككتاب «غاية المراد في معرفة إخراج الضاد»[٣] لابن النجار (ت: ٨٧٠هـ)، وكتاب «بغية المرتاد لتصحيح الضاد»[٤] لعلي بن غانم المقدسي (ت: ١٠٠٤هـ)، وكتاب «كيفية أداء الضاد»[٥] لمحمد المرعشي (ت: ١١٥٠هـ) وغيرها ليس بقليل.

ثانياً: مخرج الضاد وصفاته عند المتقدمين:

إن تحديد مخرج الصوت وبيان صفاته عند المتقدمين يتضح بالاطلاع على عبارات سيبويه ومن تبعه من علماء العربية وعلماء التجويد والإقراء، فيرى سيبويه (ت: ١٨٠هـ) أن مخرج هذا الصوت من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس[٦]،

(١) ينظر: شرح طيبة النشر في القراءات العشر، النويري (٢٣٣/١)، والوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، أحمد الحفيان (٧٤).

(٢) ينظر: علم الأصوات النحوي، سمير استيتية (٦٧).

(٣) منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، الجزء الثاني، المجلد التاسع والثلاثون (١٩٨٨م) (ص٢٥٠ - ٢٧٠)، بتحقيق: الدكتور طه محسن.

(٤) منشور في مجلة المورد، بغداد، العدد الثاني، المجلد الثامن عشر (١٩٨٩م) (ص١١٨ - ١٤١)، بتحقيق: الدكتور محمد جبار المعيبد.

(٥) وهو كتاب مطبوع في دار البشائر، دمشق، سوريا (٢٠٠٣م)، بتحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن.

(٦) ينظر: الكتاب، سيبويه (٤٣٣/٤)، شرح كتاب سيبويه، السيرافي (٣٩١/٥)، والأصول في النحو، ابن السراج (٤٠٠/٣)، والمفصل، الزمخشري (٥٤٦)، والبديع في علم العربية، ابن الأثير (٦١٠/٢)، وارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان (٩/١).

ويقول ابن جني (ت: ٣٩٢هـ): «من أول حافَّة اللِّسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلَّفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر»[١].

ويقول رضي الدين الإستراباذي (ت: ٦٨٦هـ): «مخرج الضاد، هو أول أحد طرفي اللِّسان وما يليه من الأضراس، والأكثر على إخراجها من الجانب الأيسر، وقد يتيسر لبعض من الجانب الأيمن، وقد يستوي الجانبان عند بعض»[٢].

أما صفاته حسب توصيف سيبويه فهي: الجهر، والرخاوة، والإطباق، والاستعلاء، والاستطالة[٣]. ويقول مكي القيسي (ت: ٤٣٧هـ): «الضاد تخرج من أول حافَّة اللِّسان وما يليه من الأضراس، وهو حرف قويٌّ؛ لأنَّه مجهور مطبق من حروف الاستعلاء، وفيه استطالة، والضاد أصعب الحروف تكلفاً في المخرج، وأشدها صعوبة على اللَّافِظ»[٤].

وقال أيضاً: «الحرف المستطيل هو الضاد، سُمِّيت بذلك لأنها استطالت على الفم عند النطق بها، حتى اتصلت بمخرج اللام، وذلك لما اجتمع فيها من القوة بالجهر والإطباق والاستعلاء فقويتْ بذلك، واستطالتْ في الخروج من مخرجها حتى اتصلتْ باللام؛ لقرب مخرج اللام من مخرجها»[٥].

وبالتحديد والتوصيف الذي ذكره سيبويه التزم كل من جاء بعد سيبويه من علماء العربية والتجويد على حدٍّ سواء[٦]، وكذا المُحدَثون ممن صنَّفوا في

(١) سر صناعة الإعراب، ابن جني (٦٠/١).

(٢) شرح شافية ابن الحاجب، الإستراباذي (٩١١/٢). وينظر: شرح المفصل، ابن يعيش (٥١٧/٥).

(٣) ينظر: الكتاب، سيبويه (٤٣٤/٤، ٤٣٦، ٤٥٦).

(٤) الرعاية، مكي القيسي (١٨٤، ١٨٥). وينظر: الموضح في التجويد، عبد الوهاب القرطبي (١٢٣)، والنشر، ابن الجزري (٢٠٠/١).

(٥) الرعاية، مكي القيسي (١٣٤).

(٦) ينظر: الأصول في النحو، ابن السراج (٤٠٠/٣)، وسر صناعة الإعراب، ابن جني (٦٠/١، ٧٦، ٢٢٥)، والرعاية، مكي القيسي (١٥٨)، والمفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري (٥٤٦)، واللباب في علل البناء والإعراب، العكبري (٤٦٣/٢)، إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو شامة (٧٥٤)، والتمهيد في علم التجويد، ابن الجزري (١٣٠).

علم التجويد[1]، بزيادة يسيرة لا تعدو أن تكون تفسيراً أو بياناً لعسر إخراج الصوت، والتنبيه على مراعاته لئلا يختلط الصوت بغيره.

ثالثاً: الضاد في الدرس الصوتي الحديث:

أما في التحليل الصوتي الحديث، فللضاد قصة طويلة شائكة في بحث الأصواتيين اليوم[2]؛ إذ لقيت كثيراً من الاهتمام، بحثاً وتحليلاً وتوصيفاً، ونالت حظّاً كبيراً من جهود المستشرقين والعرب من علماء الأصوات[3]، خصوصاً أنَّ هذا الصوت لا تملكه لغة غير العربية، فيقول الدكتور كمال بشر: «صوت الضاد على قمة السمات الصوتية التي تنفرد به اللغة العربية، وذلك أن هذا الصوت - بوصفه وحدة صوتية ذات قيمة ووظيفة في تركيب الكلمة ودلالتها - ليس له وجود على الإطلاق في أية لغة معروفة لنا على وجه الأرض»[4].

وقد ذهب أكثر الأصواتيين المُحْدَثين من المستشرقين[5] وغيرهم إلى أنَّ النطق العربي المعاصر لصوت الضاد لا يوافق وصف المتقدمين لهذا الصوت، وذلك بأنه كما وصفه المتقدمون: جانبي رخو مجهور مطبق مستطيل، وهو اليوم ليس كذلك، وقد حلَّ محلَّ الضاد صوت الظاء أحياناً، أو صوت الدال المطبقة، أو الطاء المجهورة[6].

(١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد، محمد مكي نصر (١٠١)، وهداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح المرصفي (١٣٩)، والقول السديد في علم التجويد، أبو الوفا (١٥٤)، والوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، أحمد الحفيان (٧٤)، وغاية المريد في علم التجويد، عطية نصر (١٢٠، ١٣١) وما بعدها.

(٢) هكذا وصفها كمال بشر «قصة الضاد». ينظر: علم الأصوات، كمال بشر (٢١٣).

(٣) وقد ناقشها رمضان عبد التواب في اثنتي عشرة صفحة في كتابه «المدخل إلى علم اللغة». ينظر: المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٦٢ - ٧٤).

(٤) دراسات في علم اللغة، كمال بشر (١٩٨).

(٥) ينظر: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، شاده (٩)، والتطور النحوي، برجشتراسر (١٦)، ودروس في علم أصوات العربية، جان، كانتينو (٨٤ - ٨٧)، والعربية الفصحى، هنري فليش (٥١).

(٦) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر (٢٥٣)، والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٤٩، ٥٠).

إنَّ الضاد التي ننطقها اليوم، هي صوت شديد مجهور يهتز معه الوتران الصوتيان، ثم ينحبس الهواء عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمعنا صوتاً انفجارياً وهو الضاد[١]، وهي بذلك تعد النظير المجهور للطاء، فلا فرق بينهما إلا أن الطاء صوت مهموس والضاد صوت مجهور، كما أنه لا فرق بين الدال والضاد إلا أن الضاد مطبق (مفخم)، والدال لا إطباق فيه[٢]، مع أن سيبويه لا يرى لها نظيراً في النطق فيقول: «ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجتْ الضاد من الكلام؛ لأنَّها ليس شيء من موضعها غيرها»[٣].

وواضح اليوم أنَّ ذهاب الإطباق من صوت الضاد لا يُخرجها من الكلام، بل يجعلها دالاً، ووفق هذه المعادلة، توصل الأصواتيون إلى أنَّ الضاد اليوم احتلتْ موقع الطاء العتيقة، والطاء العتيقة قد هُمست اليوم، أما الضاد التي ذكرها سيبويه فلا وجود لها في عصرنا كما يرى المُحدَثون من المشتغلين بعلم الأصوات.

يقول برجشتراسر في هذا: «الضاد العتيقة حرف غريب جدّاً، غير موجود على حسب ما أعرف في لغة من اللغات إلا العربية، ويغلب على ظني أن النطق العتيق للضاد لا يوجد الآن عند أحد من العرب، غير أن للضاد نطقاً قريباً منه جدّاً عند أهل حضرموت وهو كاللام المطبقة»[٤].

وذكر أنَّ ممَّا يمكن أنْ يُستدل به هنا هو أنَّ الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) ذكر في المفصل أنَّ بعض العرب كانت تقول: (الطجع) بدل: (اضطجع)[٥]، فيبدو أن الضاد العتيقة كانت تشبه اللام من بعض الوجوه، والفرق بينهما أن الضاد مطبقة وذات دوي، واللام غير مطبقة، صوتية محضة مجهورة، فيظهر أن الأندلسيين كانوا يطبقون،

(١) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٤٩).
(٢) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر (٢٥٣).
(٣) كتاب سيبويه (٤/٤٣٦).
(٤) التطور النحوي، برجشتراسر (١٦).
(٥) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري (٥٥٥)، والتطور النحوي، برجشتراسر (١٩).

كاللام المطبقة عند أهل حضرموت، لذلك استبدل بها الإسبان الـ (id) في الكلمات المستعارة في لغتهم، ككلمة القاضي صارت في الإسبانية (alcalde)[١].

ويقول جان كانتينو: «وقد صارت الضاد ظاءً في الألسن العربية الدارجة العصرية... ونشأ عن ذلك كيفيات مختلفة في نطق الضاد، ظاءً ودالاً مفخمة... فيجوز القول بأنَّ هذا الحرف قد خرج من هذه الألسن واضمحل منها»[٢].

وما شاع عند المستشرقين من القول بتطور الضاد وتحوله وتلاشي الصوت العتيق، تطاير شرره إلى الدارسين العرب، الآخذين عن المستشرقين دراسةً وتعلُّماً، لذلك يقول الدكتور حسام النعيمي: «وهذا الذي ذكره برجشتراسر كان مُنَبِّهاً لمن كتب بعده، فتكرر الكلام على هذه الحروف، ومخالفتها النطق القديم»[٣].

يقول الدكتور إبراهيم أنيس: «إن الضاد التي وصفها سيبويه هي صوت فريد لا نكاد نجد له نظيراً في اللغات السامية شقيقات اللغة العربية»[٤]. وذلك أن الضاد التي وصفها سيبويه تختلف عن ضاد المصريين وأهل الشام في موضعين:

الأول: أن ضاد المصريين شديدة انفجارية، في حين أن التي وصفها سيبويه هي رخوة.

الثاني: أن ضاد المصريين مخرجها من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، ولكنَّ التي وصفها سيبويه مخرجها أول حافَّة اللسان وما يليه من الأضراس على حسب تعبير سيبويه[٥].

وقد قرر الدكتور رمضان عبد التواب أننا إذا نظرنا إلى وصف القدماء للضاد من النحويين واللغويين وعلماء القراءات، عرفنا أن الضاد القديمة تختلف عن التي ننطقها الآن في أمرين جوهريين:

(١) ينظر: علم الأصوات النطقي، هادي نهر (٣٦).
(٢) دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو (٨٧).
(٣) أصوات العربية بين التحول والثبات، حسام النعيمي (٢٩).
(٤) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٥١).
(٥) ينظر: المصدر نفسه.

أولهما: أن الضاد القديمة ليس مخرجها الأسنان واللثة، بل حافَّة اللسان وجانبه.

ثانيهما: أنها لم تكن انفجارية - شديدة - بل كانت صوتاً احتكاكياً - رخواً -[١].

ويقول الدكتور هادي نهر: «أما الضاد فلا مقابل لها، لتَعَقُّدِ مخرجها واختلاف القدماء والمُحْدَثين حوله، ويبدو أنها كانت تشبه اللام من بعض الوجوه، والفرق بينهما أن الضاد من الحروف المطبقة، وأنها من ذوات الدوي، واللام غير مطبقة، فالضاد العتيقة تبدو حرفاً غريباً جدّاً... ويغلب أن النطق القديم للضاد لا يوجد الآن عند أحد من العرب، غير أن لها نطقاً قريباً جدّاً منه عند أهل حضرموت كاللام المطبقة»[٢].

ويستدرك الدكتور عبد القادر عبد الجليل على القائلين بتلاشي صوت الضاد من العربية ولهجاتها اليوم، فيرى أن النطق العراقي لهذا الصوت يقترب بعض الشيء من تلك الضاد القديمة أو يحمل سمات تطورية لبعض صفاته، وفي أحيان قريبة من نطق الظاء[٣].

ولا أدري ما الذي يعنيه بذلك القرب، فإن كان يعني بقوله القُرَّاءَ والمُجيدين المتقنين من قارئي القرآن، فهم لا يختلفون أبداً في نطقهم للضاد عن غيرهم من قُرَّاء الأمصار، بل إن كثيراً من قُرَّاء العراق قد أخذ القراءة مشافهة بالسند عن غير العراقيين، ولا يلحظ عليهم مخالفة بأي سمة نطقية لهذا الصوت. وإن كان يعني بنطق العراقيين اللهجة العامية، فلا أظن أن الضاد العتيق له أثر في اللهجة العامية العراقية، فالجميع ينطقها ظاءً، وهذا ظاهر على ألسنة الناطقين باللهجة، وقد أشار غير واحد من الباحثين إلى ذلك[٤].

---

(١) ينظر: المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٦٣).

(٢) علم الأصوات النطقي، هادي نهر (٣٦).

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل (١٦٧).

(٤) ينظر: أصوات العربية، بين التحول والثبات، حسام النعيمي (٣٧)، والمدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري (٢٧٥).

ثم إنَّ القرب الذي يعنيه، إن كان مقصوداً به اشتراك هذا الصوت مع الصوت العتيق ببعض الصفات، فلا نكير لهذا ألبتة، ولم يقل أحد بغير ذلك، فالضاد اليوم هي تشارك الظاء ببعض الصفات، وتشارك الدال ببعض الصفات، وكذا الحال مع الضاد العتيقة، فما المسوغ لإيراد مثل هذا التقارب المسَلَّم به ولا يحتاج إلى كبير نظر؟

وكما يبدو ظاهراً أن هذه القصة لم تكن وليدة الدرس الصوتي الحديث، بل إن جذورها ممتدَّة في أعماق وأوليات الدرس الصوتي العربي، فإننا نلحظ إشارة المتقدمين من علماء العربية إلى صعوبة هذا الصوت وعسر نطقه، واضطراب حال الناس في تحقيقه على الوجه السليم أو المثالي، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

والذي يهمنا هو نطق القُرَّاء لهذا الصوت بالتحديد، فهو النطق المعتبر للفصيح من العربية، وهو النطق المثالي لأصوات اللغة، وقد وضع الدكتور حسام النعيمي ضابطاً مهمّاً لتقرير تطور الصوت من عدمه، فقال: «قبل الخوض في الكلام على التحول الصوتي وقبوله أو رفضه، نضع ضابطاً للقول بالتحول والثبات في أي صوت نبحثه، وخير ضابط أن يُنظَر في الصوت المدروس، كيف ينطق قراء القرآن المجيدون في قراءتهم؟ وكيف ينطقون الصوت ذاته في لهجاتهم المحلية؟ فإن وجدناهم يتفقون على نطقه في قراءة القرآن - وإن اختلفوا فيه في لهجاتهم - كان ذلك دليلاً على أنَّ النطق المُجمع عليه نطق موروث بالتلقين والتلقي، وإن وجدناهم يختلفون في نطقه في قراءة القرآن، دلَّ ذلك على تحول الصوت»[1].

وإن كان هذا الضابط معتبراً - وهو كذلك إلى حدٍّ ما - فيتفق المتابعون لقُرَّاء القرآن، العارفون بصنعة القراءة والإقراء في مختلف الأمصار، أنَّ نطق المتقنين المحققين لتلاوة القرآن يتفق تماماً في هذا الصوت، ولو خالف فردٌ في مصرٍ من الأمصار لجرى التنبيه على تلك المخالفة، وبناءً على ذلك فلا تحوُّل في صوت الضاد وفقاً لهذا الضابط.

(١) ينظر: أصوات العربية بين التحول والثبات، حسام النعيمي (٢٩).

أما موقف الدكتور غانم قدوري من هذا التحليل ورأيه في هذا الصوت، فقد أفرد للضاد وغيرها مما وقع الخلاف فيه موضعاً خاصّاً، ناقش فيه قصة الضاد التي نناقشها هنا، تحت مبحث «مظاهر التطور في أصوات العربية الفصحى»[1]، ووازن بين وصف المتقدمين من اللغويين والتجويديين لهذا الصوت، وما قاله المُحْدَثون عن هذا الصوت. والنتائج التي خلص إليها الدكتور غانم قدوري من خلال دراسته لهذا الصوت ما يأتي:

أولاً: إنَّ صوت الضاد قد أصابه التطور والتغير، وإنَّ الضاد المنطوقة اليوم على ألسنة المتخصصين من القُراء في مصر والشام ومن تابعهم من قراء البلاد الإسلامية، هي إما طاء مجهورة، وإما دال مفخمة.

ثانياً: إنَّ هذا النطق المشار إليه - نطق القُرَّاء - هو الذي يجب أن يُحتذى في نطق العربية الفصحى اليوم على ألسنة الناطقين بها؛ وذلك لجملة أسباب:

- إنَّ الرجوع إلى نطق الضاد القديمة غير موجود في الواقع، وهو غير ممكن كما يرى.
- وجود الخلط بين الظاء والضاد كما هو حاصل في لهجة العراقيين وغيرهم، وحصول الإجماع على هذا النطق يتحقق به التمييز بين الضاد والظاء.
- إننا نجد أكثر قراء القرآن في العالم الإسلامي ينطقون الضاد الطائية، وهم القدوة في النطق الفصيح للعربية.
- ثم إنَّ اتباع هذا النطق خير سبيل لتوحيد النطق العربي في هذا الصوت الذي لحقه التغير خلال القرون، وتطور على صور متعددة في البلدان الناطقة بالعربية[2].

(١) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري (٢٦٨) وما بعدها.
(٢) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري (٢٧٥، ٢٧٦).

رابعاً: صوت الضاد «رؤية جديدة»:

بعد عرض موجز لآراء المتقدمين والمُحدَثين حول صوت الضاد والخلاف الحاصل في تحديد مخرجها وبعض صفاتها، فإنَّ وجهة نظري في هذه المسألة هي على النحو التالي:

أولاً: أستبعد حصول التطور لهذا الصوت على النحو الذي ذكره المُحْدَثون من علماء الأصوات، تعبداً أولاً، ثم علميّاً ونظريّاً ثانياً، كما سيأتي تقرير ذلك.

ثانياً: إنَّ الذين يتحدثون عن التطور لهذا الصوت، كثيراً ما يخلطون بين اللهجات العاميَّة والاستشهاد بها، والنطق الفصيح اليوم، وبين نطق المُجيدين من قُرّاء القرآن الكريم، وهذا الخلط يُشكِّك في قيمة النتائج التي يُتَوَصَّلُ إليها.

ثالثاً: القول بأنَّ صوت الضاد العتيق قد تلاشى تماماً قول فيه نظر، فقد أشار برجشتراسر إلى أنَّ الضاد العربية القديمة يقترب من نطق أهل حضرموت، وهو كاللام المفخمة، وأنَّ أهل الأندلس كانوا ينطقون الضاد مثل نطق أهل حضرموت(١). وكذا أشار الدكتور عبد القادر عبد الجليل إلى قرب النطق العراقي لهذا الصوت من النطق القديم(٢)، على وفق ملاحظته لنطق بعض البيئات العراقية.

إضافة إلى ذلك فإنَّ الشيخ محمد حسن حسن جبل قد ذكر وصف سيبويه للضاد، ثم قال متحدثاً عن نفسه: «وأنا أنطقها، وأُعَلِّمُها طلَّابي حسب الوصف القديم تماماً، وزُكِّيَ هذا النطق أمام نخبة من العلماء»(٣). وبمجموع هذه الأقوال ينتقض القول بتلاشي الصوت وغيابه.

(١) ينظر: التطور النحوي، برجشتراسر (١٩).
(٢) ينظر: الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل (١٦٧).
(٣) المختصر في أصوات اللغة العربية، محمد حسن حسن جبل (١١٣).

رابعاً: أجزم تعبداً أن المتقنين المجيدين من القُرَّاء اليوم في مختلف بقاع الأرض، هم ينطقون الضاد التي نطقها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من غير تطوُّر ولا تحوُّل، وذلك لجملة أسباب:

١. إنَّ القرآن الكريم نُقل إلينا مشافهة بالتواتر جيلاً عن جيل، فأخذ الخلف عن السلف أصوات القرآن الكريم بكل دقة وإتقان وضبط، مع حرص شديد، وعناية فائقة من المُعَلِّم المقرئ والمُتَعَلِّم الآخذ؛ لقدسية هذا الكتاب، والخوف من وقوع الزلل واللحن في نطق لفظ من ألفاظه، أو صوت من أصواته، ومن أخذ القرآن عن شيخٍ متقنٍ اليوم لاحظ هذه العناية الفائقة بكل تفاصيل القراءة، من مدود وغُنن ومخارج وصفات وحركات وسكنات وغيرها.

٢. إنَّ القرآن الكريم بألفاظه وأصواته محفوظ بحفظ الله، قال ربي: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩]، والقول بغير ما ذكرتُ ينافي حفظ الله لهذا الكتاب، ومن لوازم قول المُحدَثين وتحليلهم لصوت الضاد وقولهم بتطوره أن القُرَّاء اليوم لا ينطقون صوت الضاد بالنطق الذي نطقه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣. إجماع قُرَّاء الأمة المعروفين على نطق واحد، واتفاق نطقهم لهذا الصوت، بمختلف أوطانهم ومع تباعد أمصارهم، يمنع القول بالتطور عقلاً، إذ كيف اجتمع لفظهم مع عدم لقائهم وتواطئهم؟ لولا أنَّ ذلك النطق هو المحفوظ الذي تناقلته الأمة عبر الزمن، فوَصَلَنا كما وصل غيرنا.

٤. هناك مجال واسع لتجاوز هذا القول - أي: القول بالتطور - من خلال تحليل بعض أقوال المتقدمين وتفسيرها، أو حتى القول بخطئهم ووهمهم وهم على عُذر، تجاوزاً للقول بتغيُّر الصوت وتبدُّله.

إنَّ علماء الأصوات المُحْدَثين يرون أنا لو نظرنا إلى وصف القدماء للضاد، من النحويين واللغويين وعلماء القراءات، عرفنا أنَّ الضاد القديمة تختلف عن الضاد التي ننطقها اليوم، حسب توصيف الأصواتيين لها، من وجهين:

الأول: مخرج الضاد، وهو أن الضاد القديمة ليس مخرجها الأسنان واللثة، بل حافَّة اللسان أو جانبه.

الثاني: إنَّ الضاد القديمة صوت رخو (احتكاكي)[١]، وهي الآن صوت شديد (انفجاري)[٢].

والأمر كذلك فقد حدد سيبويه مخرج الضاد بقوله: «من بين حافة اللسان وما يليه من الأضراس»[٣]. ويقول المبرد (ت: ٢٨٥هـ) متابعاً وموضحاً: «مخرجها من الشدق، فبعض الناس تجري له في الأيمن، وبعضهم تجري له في الأيسر»[٤]. وكذلك قال من تبعهم.

إلا أنَّ هذا الصوت مشتمل على صفة مهمة تخصه، وهي الاستطالة، التي تلازم هذا الصوت في نطقه المثالي، ويُعرِّفها أصحاب الصنعة: بأنها «امتداد صوت الضاد من أول حافة اللسان إلى آخرها حتى يتصل بمخرج اللام، وهي صفة لحرف الضاد خاصة»[٥].

---

(١) مصطلح (احتكاكي) يقابل مصطلح (رخو) عند المتقدمين، وتتكون الصوامت الاحتكاكية بأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكاً مسموعاً. والصوامت العربية التي يصدق عليها هذا الوصف هي: (ف، ث، ذ، ظ، س، ز، ص، ش، خ، غ، ح، ع، ه). ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران (١٤٣، ١٤٤)، والمصطلح الصوتي، عبد العزيز الصيغ (١٢٤).

(٢) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر (٢٥٤)، والمدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٦٣). ومصطلح (انفجاري) يقابل (الشديد) عند المتقدمين، وتتكون هذه الأصوات بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبساً تامّاً في موضع من المواضع، وينتج عن هذا الحبس أو الوقف، أن يضغط الهواء، ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجاريّاً. وهي في العربية الفصحى: (ب، ت، د، ط، ض، ك، ق، همزة القطع). ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران (١٢٨)، والمصطلح الصوتي، عبد العزيز الصيغ (١١٩).

(٣) الكتاب، سيبويه (٤/٤٣٣).

(٤) المقتضب، المبرد (١/١٩٣).

(٥) معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، عبد العلي المسئول (٦٩).

ففي تقديري أنَّ المتقدمين قد خلطوا بين الصفة والمخرج، في تحديدهم لنقطة خروج الصوت وضبط محله، فأشكل عليهم ذلك عندما اعتنوا كثيراً بملاحظة الصفة الملازمة للصوت، وهي الاستطالة التي من خلالها نشعر بامتداد صوت الضاد من حافة اللسان، فاعتمدوها في تقرير مخرج الصوت أكثر من اعتمادهم على مراقبة طرف اللسان حال النطق بالصوت، فاللسان بطرفه يصطدم باللثة وأعلى الثنايا، وموطن تحقيق الاستطالة حافة اللسان، لانحباس بعض الهواء بينه وبين الخد، فأهملوا طرف اللسان أين يكون موضعه مع صوت الضاد ونظروا إلى حافته، وعلى هذا قرروا أن مخرج الضاد هو حافة اللسان، وفي حقيقة الأمر أن الحافة هي موطن تحقيق صفة الاستطالة، ومقدمة اللسان هي التي صنعت مخرج الضاد كما تقرر عند المُحدَثين، فاشترك طرف اللسان وحافته في صناعة صوت الضاد، فالطرف حقق المخرج والحافة حققت الصفة المفردة اللازمة للصوت وهي الاستطالة.

لذلك نقول: إنَّ سبب الاضطراب عند المتقدمين في تحديد مخرج هذا الصوت وربما غيره من الأصوات، هو إدخال اللسان في التقسيم بكل أجزائه، واعتماده حيناً وإهماله حيناً آخر، فاللسان عضو مرن متحرك[1] يشترك في إنتاج وصناعة كثير من الأصوات؛ لذا فإن اعتماده في تحديد مخارج الأصوات يوصل إلى نوع من الاضطراب، والاقتصار على أجزاء الحنك الأعلى في نسبة الأصوات إليها أميز في الاصطلاح، وأدق في التوصيف.

ومع هذا الذي ذكرنا من تحليل ووجهة نظر، لو أردنا أن نتجاهله ولا نركن إليه، أو نردَّه لأي سبب كان، فالقول بتخطئة المتقدمين من علماء العربية والتجويد عموماً في وصفهم لهذا الصوت، أحبُّ إليَّ من القول بأن صوت الضاد قد ضاع اليوم من نطق العرب والقُراء على وجه التحديد، وأنهم اليوم ينطقون صوتاً قرآنياً لم ينطق به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا لا يمكن أن أستسيغه مطلقاً.

(١) نشير هنا إلى أن الأعضاء التي تشترك في تكوين الصوت منها ثابت ويسميه بعضهم «الناطق السلبي» ومنها متحرك ويسمى «الناطق الإيجابي». ينظر: نظرات في علم الأصوات، منير الشطناوي (٤١).

خصوصاً إذا علمنا أنَّ المتقدمين كانوا ينقلون كلام سيبويه غالباً حتى من دون زيادة، فيقول الدكتور عبد الفتاح إبراهيم في ذلك: «وقد لا تكون نصوص التراث مفيدة جدّاً في تحديد نطق هذا الحرف وتطوره؛ لأنها تُنقل عن بعضها بعضاً، ولأنّ أصحابها نادراً ما وصفوا نطق معاصريهم، فهم يلجؤون إلى نقل أقوال السابقين اعتقاداً منهم أنّه وصف لنطق العرب الفصحاء الذين صحّت عربيتهم، يضاف إلى ذلك أنّهم قد لا يحدّدون المصطلحات التي يستعملونها تحديداً شاملاً مانعاً وموحّداً»[1].

(١) مدخل في الصوتيات، عبد الفتاح إبراهيم (٩٢، ٩٣).

المبحث الثاني
صوت الطاء بين المتقدمين والمحدثين

أولاً: مخرج صوت الطاء:

حدد المتقدمون من علماء العربية والتجويد مخرج الطاء، وهو كما قرروه «ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا»[١]، وهو مخرج لصوت الدال والتاء أيضاً، هذا ما ذكره سيبويه في كتابه، ثم تبعه على ذلك كل من جاء بعده من علماء العربية[٢] والتجويد[٣]، محتفظين بعبارته من غير تبديل ولا تعديل، مع زيادة تفسيرية يسيرة من بعضهم، فيقول المبرد: «من طرف اللِّسان وأُصول الثنايا مُصْعِداً إلى الحنك مخرج الطاء والتاء والدَّال»[٤]. ويقول ابن الجزري: «من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعداً إلى جهة الحنك، ويقال لهذه الثلاثة النِّطْعِيَّة؛ لأنها تخرج من نِطْع الغار الأعلى، وهو سقفه»[٥].

وزاد المرعشي (ت: ١١٤٥هـ) تفصيلاً على ما سبق، ففرَّق الأصوات الثلاثة المذكورة ومنها الطاء على ثلاثة مخارج جزئية دقيقة - وإن كان مخرجها الأصلي الجامع هو ما ذُكر آنفاً - وذلك لأنَّ أصوات المخرج الواحد تتمايز في موضعها، فقال: «فظهر أن أصليهما ينقسمان إلى ثلاثة مواضع: فما يلي اللثة منها يخرج منه الطاء، ومن بعيده الدال ومن بعيده التاء»[٦].

---

(١) الكتاب، سيبويه (٤/٤٣٣).

(٢) ينظر: الأصول في النحو، ابن السراج (٣/٤٠٠)، وسر صناعة الإعراب، ابن جني (١/٦٠)، والمفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري (٥٤٦)، واللباب في علل البناء والإعراب، العكبري (٢/٤٦٣)، والممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور (٤٢٥).

(٣) ينظر: الرعاية، مكي القيسي (١٩٨)، الموضح في التجويد، عبد الوهاب القرطبي (٨٧)، والنشر، ابن الجزري (١/٢٠٠)، وجهد المقل، المرعشي (٢٧٩).

(٤) ينظر: المقتضب، المبرد (١/١٩٣).

(٥) النشر، ابن الجزري (١/٢٠٠).

(٦) جهد المقل، المرعشي (٢٧٩).

وقد ذكر الخليل قبل سيبويه أن «الطاء والتاء والدال نِطْعية؛ لأنَّ مبدأها من نِطع الغار الأعلى»(١)، وهو سقفه(٢)، وجاء في اللسان أن النطع هو «ما ظهر من غار الفم الأعلى، وهي الجلدة الملتزقة بعظم الحُلَيْقاء فيها آثار كالتحزيز، وهناك موقع اللسان في الحنك»(٣).

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن مصطلح «النِّطْعِيَّة» الذي عدَّه الخليل مخرجاً للطاء والدال والتاء غير دقيق، وقد جانبه التوفيق؛ لأنَّ النطع كما شرحته المعاجم هو أقرب جزء من الحنك الأعلى إلى أصول الثنايا، وتدل التجارب الحديثة على أن طرف اللسان مع هذه الأصوات يتصل بأصول الثنايا، فهي أصوات أسنانية لثويَّة(٤).

وظاهر كلام العلماء كما يقول الدكتور غانم قدوري: يقتضي نفي أن يكون مبدؤها نطع الغار الأعلى؛ لأنها تتكوَّن من نقطة تتحدد بالتقاء اللسان بأصول الثنايا، وأصول الثنايا بعيدة من نطع الغار الأعلى(٥). ولهذا فإنه يغلب على علماء العربية قلة استعمال هذا المصطلح، إضافة إلى عنايتهم بالصفات التي تتغير بفعل تجاوز الحروف بعضها من بعض، وتأثيرها على بعض، ولا سيما في الإدغام(٦).

أما تحديد مخرج صوت الطاء عند المُحْدَثين من علماء الأصوات، فيُصنَّف الطاء بأنه أسناني لثوي من حيث المخرج(٧)، ولا يختلف الأصواتيون في تحديد مخرجه، غير أنَّ الدكتور غانم قدوري أضاف تفصيلاً للأصوات التي تعرف بالأسنانية اللثوية(٨) عند عامة علماء الأصوات، فجعلها على مخرجين: أسنانية لثوية وهي: السين والصاد والزاي، ولثوية أمامية وهي: الدال والتاء والطاء والضاد(٩). وبهذا يوصف الطاء عنده بأنه صوت لثوي أمامي.

(١) العين، الخليل (٥٨/١).
(٢) ينظر: النشر، ابن الجزري (٢٠٠/١).
(٣) لسان العرب، ابن منظور: مادة (نطع) (٣٥٧/٨).
(٤) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (١٠٣، ١٠٤).
(٥) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري (١٨٠).
(٦) المصطلح الصوتي، عبد العزيز الصيغ (٢٠٠).
(٧) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان (٩٤)، والمدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٣١).
(٨) وهذه الأصوات هي: (د، ض، ت، ط، ز، س، ص).
(٩) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري (٩٥).

ثانياً: صفات صوت الطاء:

أما صوت الطاء عند المتقدمين من علماء العربية والتجويد من حيث الصفات، فهو صوت مجهور شديد مطبق[١]. وقد وصف الخليل الطاء بالصلابة والكزازة فقال: «لأنَّ الدَّال لانَتْ عن صلابة الطَّاء وكزازتها»[٢]، ولعل الصلابة التي وصف الخليل بها صوت الطاء هي القوة التي أشار لها مكي القيسي بقوله: «والطاء من أقوى الحروف؛ لأنه حرف مجهور شديد منطبق مستعلٍ، وهذه الصفات كلها من علامات قوة الحرف مع انفرادها، فإذا اجتمعت في حرف كَمُلَت قوَّته»[٣].

أما الكَزَازَةُ بالفتح أو الكُزُوزَةُ بالضم فكلاهما صحيح، وهي بمعنى الصلابة أيضاً، فهو يفسر اللفظ بردفيه، فيقول الخليل: «الكَزازةُ: اليبس والانقباض. ورجل كَزٌّ: صلب، قليل الخير والمواتاة»[٤]. ويقال: كززت الشيء، إذا ضيقته، فهو مكزوز[٥]. وصوت الطاء يحتاج إلى تضييق للنفس الخارج لتحقيق صفة الشدة في هذا الصوت.

والطاء عند المُحدَثين من علماء الأصوات صوت شديد مهموس مفخم، وهو النظير المطبق للتاء[٦]، فلا تفترق الطاء عن التاء في شيء، غير أنَّ الطاء أحد أصوات الإطباق، أي إنَّ مؤخرة اللسان ترتفع تجاه الطبق عند نطق الطاء، ولا ترتفع نحوه في نطق التاء[٧].

ومحل الاختلاف بين المتقدمين والمُحْدَثين كما هو ظاهر هو في جهر الصوت وهمسه، فصوت الطاء مجهور عند المتقدمين وأطبقوا على القول بجهره، ومهموس عند المحدثين اتفاقاً أو شبه اتفاق.

---

(١) ينظر: الكتاب، سيبويه (٤٣٦/٤)، والرعاية، مكي القيسي (١٩٨).
(٢) العين، الخليل (٥٤/١).
(٣) الرعاية، مكي القيسي (١٩٨).
(٤) العين، الخليل (٢٧٢/٥).
(٥) مقاييس اللغة، ابن فارس: مادة (كز) (١٢٧/٥).
(٦) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٦١، ٦٢)، وأصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب (٢٠٢).
(٧) ينظر: المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٧٥).

وذكر الدكتور كمال بشر ثلاثة احتمالات يمكن تقديمها لتفسير ما ذهب إليه اللغويون في وصفهم الطاء بأنها صوت مجهور:

الأول: يحتمل أن يكون المتقدمون قد أخطأوا في وصف الطاء بالجهر.

والثاني: حدوث تطور في نطق صوت الطاء.

والثالث: من الممكن أنهم كانوا يصفون صوتاً يشبه صوت الطاء الذي نسمعه في بعض لهجات الصعيد، وفي نطق بعض السودانيين اليوم، وهو صوت طاء مشربة بالتهميز[١]. يضاف إلى ذلك احتمال الاختلاف في مفهوم الجهر والهمس بين المتقدمين والمحدثين[٢].

ويرى الدكتور تمام حسان أن سبب هذا الاختلاف في وصف الطاء هو غرابة صوت الطاء على السمع؛ لذلك أخطأ النحاة والقراء، فجعلوها مجهورة في دراستهم، وجعلوا الدال مقابلاً مرقَّقاً له، يُضاف إلى ذلك أن النحاة والقُرَّاء في القديم قد وضعوا قاعدة قياسية، تقول: إن كل صوت ينتمي إلى أصوات القلقلة فهو مجهور شديد، وهذا ما جعلهم يخطئون الصواب، لا في صفة الطاء فحسب، بل في وصف أصوات مهموسة أخرى بالجهر، كالقاف والهمزة[٣].

والطاء كما يصفه الدكتور تمام حسان صوت مهموز اليوم عند البعض[٤]، «ومعنى كون الطاء مهموزة هنا، أنه صحبها إقفال الأوتار الصوتية حين النطق، فأصبح عنصر الهمز جزءاً لا يتجزأ من نطقها، هذه الطاء مهموسة قطعاً؛ لأن إقفال الأوتار الصوتية لا يسمح بوجود الجهر»[٥]. ويُرجِّح تمام حسان أن الطاء العربية الفصحى القديمة التي وصفها القراء كانت في صوتها وفي نطقها بهذا الوصف[٦].

(١) علم الأصوات، كمال بشر (٢٥١، ٢٥٢).
(٢) ينظر: المصطلح الصوتي، عبد العزيز الصيغ (٩٨).
(٣) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان (٩٥).
(٤) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان (٩٤).
(٥) المصدر نفسه.
(٦) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان (٩٥).

أما الدكتور حسام النعيمي فيؤكد أن مفهوم الجهر والهمس عند المتقدمين يختلف عن مفهومه عند المُحدَثين، فإذا كان الجهر والهمس مبنيّاً على اهتزاز الوترين الصوتيين وعدم الاهتزاز عند المُحدَثين، فهو ليس كذلك عند المتقدمين، ومن ثم فلا يصح أن يُحاكَم القدماءُ على وفق المعنى الذي وضعناه لمصطلح وافقناهم فيه في لفظه وخالفناهم في معناه، فضابط الجهر والهمس عند سيبويه جري النفس مع الحرف أو عدمه، فالطاء والقاف والهمزة لا ينطبق عليها ضابط الهمس، فهي إذن مجهورة بضابط القدماء[١].

والقول بأن مفهوم الجهر عند المتقدمين غير مفهومه عند المُحْدَثين فيه نظر؛ وإلا كيف نفسر تطابق الأصوات التي وقع عليها الوصف بين الفريقين؟ سوى مشكلة الطاء والقاف التي وقع فيها الخلاف، تضاف إليهما الهمزة وأمرها هَيّن في تقديري؛ لأن مخرجها الحَنْجَرَة والأوتار الصوتية بالتحديد[٢]، لذلك يقول عبد العزيز الصيغ: «وبالنظر إلى اتفاق الأصوات المجهورة بين القدماء والمُحْدَثين في أكثرها، فإن مفهوم القدماء يتفق مع مفهوم المحدثين من حيث المبدأ»[٣].

وكذلك رجح الدكتور غانم قدوري أن معنى الجهر عند سيبويه يتطابق مع تفسير المُحدَثين له، ويرى أن ذلك يُشير إلى حدوث تغيير في صوت الطاء العربية القديمة، وذلك بفقدانها صفة الجهر، ومن الممكن أن تكون الطاء التي ننطقها اليوم هي شبيهة بالتي سماها سيبويه «الطاء التي كالتاء»[٤] من الفروع غير المستحسنة، وهي تشارك التاء بالهمس وهي أقرب للتاء بفقدانها الجهر والإطباق[٥]. وقد فرّ الناطقون فيه من صفة التفخيم[٦].

(١) ينظر: أصوات العربية بين التحول والثبات، حسام النعيمي (٢٧، ٢٨).

(٢) اختلف المُحْدَثون في جهرها وهمسها، فمنهم من عدها مهموسة، ومنهم من قال بأنها غير مهموسة ولا مجهورة. ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٨٧)، وعلم اللغة، محمود السعران (١٥٧)، وعلم الأصوات، كمال بشر (١٧٥)، الدراسات الصوتية، غانم قدوري (٢٠٧).

(٣) المصطلح الصوتي، عبد العزيز الصيغ (٩٤).

(٤) الكتاب، سيبويه (٤/٤٣٢).

(٥) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري (٢٧٨).

(٦) التغير التاريخي للأصوات، آمنة الزعبي (١١).

ويفسر عبد القادر مرعي الجهر عند سيبويه بعبارات معاصرة، فيقول: «وإذا حاولنا تفسير كلام سيبويه وعلماء العربية القدماء للجهر... يكون معنى الجهر: صوت لغوي يُسمع بواسطة نشاط الأعضاء الصوتية في مخرج معين، ويزداد أثره السماعي نتيجة التقارب بين عضوي النطق وحدوث الجهر، أي: خروج الهواء حاملاً ذبذبات صوتية أثناء إنتاجه»(١).

وبسبب هذا الاختلاف بين المتقدمين والمُحدَثين راح بعضهم إلى القول بتطور صوت الطاء، وأنَّ الطاء القديمة تخالف الطاء التي ننطق بها الآن، واستنتج الدكتور إبراهيم أنيس من وصف المتقدمين للطاء بأنها كانت صوتاً يشبه الضاد التي نعرفها الآن، وهذا يوضح ما قاله ابن الجزري: «إن المصريين ينطقون بالضاد المعجمة طاء مهملة(٢)، فتَطوَّرَ الصوتان، فهمست الطاء القديمة وأصبحت الطاء التي نعرفها الآن، واختلف مخرج الضاد القديمة وصفتها فأصبحت تلك الضاد الحديثة»(٣).

ويذكر برجشتراسر أن الطاء المهموسة التي تُنطق اليوم، وهي مجهورة عند القدماء قد انمحى وتلاشى تماماً نطقها العتيق(٤)، وزاد الدكتور هادي نهر على ذلك فقال: «ونعدم أن نجد أثراً في العربية لطاء مجهورة، ولو كان قبل سيبويه عند العرب طاء تختلف عن طاء اليوم لبقي أثر ذلك في إحدى اللهجات المنعزلة غير المهمة، ويبدو أن الطاء القديمة كانت دالاً مفخمة، كما كانت في السامية القديمة(٥)، أما شاده فيرى أن النطق العتيق للطاء موجود عند سكان جنوب جزيرة العرب، يلفظون الطاء كأنها ضاد المصريين(٦).

(١) المصطلح الصوتي، عبد القادر مرعي (١٠٤).
(٢) ينظر: التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري (١٣١/١).
(٣) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٦٢).
(٤) ينظر: التطور النحوي، برجشتراسر (١٧).
(٥) ينظر: علم الأصوات النطقي، هادي نهر (٤٣).
(٦) ينظر: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، شاده (١٣).

ثالثاً: صوت الطاء «رؤية جديدة»:

بعد هذا العرض لما قيل في وصف الطاء وتحرير محل الخلاف، فالذي يترجح عندي هو حصول اللبس حول صوت الطاء فقيل بتطوره، وليس ثمة تطور لذلك الصوت بين القديم والحديث لأسباب:

أولاً: مخرج صوت الطاء وإن تفاوتت أقوال الأصواتيين قديماً وحديثاً، فإنها تجتمع في زوايا مشتركة كثيرة، إذا استبعدنا وجهة القائلين بأنه من الأصوات «النِّطْعِيَّة»، فمخرج الصوت عند المتقدمين «ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا»[(١)] مما يلي اللثة تحديداً[(٢)]. وهو أسناني لثوي من حيث المخرج عند المُحدَثين[(٣)]. فإننا نلحظ أن زيادة المُحدَثين هو القول بوجود ملامسة للأسنان من اللسان أيضاً، مع الإقرار بملامسة اللسان اللثة أو أصول الثنايا كما سماه المتقدمون، وبهذا نفهم التقارب بين الفريقين.

ثانياً: صوت الطاء من الأصوات التي اتصفت بنوعٍ من الغرابة في السمع كما أشار الدكتور تمام حسان إلى ذلك، وذكر بأن الطاء صوت «مهموز»؛ لذلك أخطأ النحاة والقراء، فجعلوها مجهورة في دراستهم[(٤)]. وهذه الغرابة في الصوت كثيراً ما توهم، وتجعل الأفهام تتفاوت في الحكم عليها بدقة، خصوصاً عندما يُكتَفى بالحس والذوق في التحديد والتوصيف.

ثالثاً: مما يوصف به صوت الطاء هو أنه صوت «مقلقل»؛ أي إنه ينتمي إلى أصوات القلقلة، والقاعدة السائدة عند المتقدمين هي أن أصوات القلقلة شديدة مجهورة، وهذا ما جعلهم يخطئون الصواب، لا في صفة الطاء فحسب، بل في وصف أصوات مهموسة أخرى بالجهر، كالقاف والهمزة[(٥)].

---

(١) الكتاب، سيبويه (٤/٤٣٣).

(٢) ينظر: جهد المقل، المرعشي (٢٧٩).

(٣) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان (٩٤)، والمدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٣١).

(٤) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان (٩٥). ومعنى كون الطاء مهموزة هنا، أنَّ الصوت يصحبه إقفال الأوتار الصوتية حين النطق.

(٥) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان (٩٥).

رابعاً: من صفات الطاء الأخرى التي تجعل الاضطراب في وصفه محتملاً هو أنه صوت مُطبَق، والإطباق يوحي بالجهر، فهو «تَصَعُّدٌ في اللسان إلى الحنك مع انطباقه عليه»[١]. ويفهم من هذا:

١. أن الإطباق يكون بارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى.

٢. أن الإطباق يحصر الصوت بين اللسان والحنك.

٣. أن اللسان حين يرتفع إلى الحنك الأعلى يكون لصوت الإطباق موضعان من اللسان، أحدهما موضع المخرج، وهو طرف اللسان، وثانيهما موضع التفخيم، وهو مؤخر اللسان المرتفع إلى الحنك الأعلى[٢].

والأصوات المطبقة بعضها أقوى من بعض والطاء أقواها جميعاً وأمكنها[٣]، وعلماء العربية والتجويد عَدُّوا أصوات الإطباق كلها مفخمة[٤]. وهذا التفخيم هو تفخيم كلي في أي سياق تقع فيه، والتفخيم لهذه الأصوات - الصاد والضاد والطاء والظاء - جزء لا يتجزأ من بنيتها، وبه تعرف وتنماز من سائر الأصوات الصامتة، وتشكل لها كياناً خاصّاً بها[٥].

خامساً: وُجِدَ هذا الصوت الفصيح المجهور أو الموحي بالجهر في بعض اللهجات العربية اليوم، لذلك لما وصف محمد حسن حسن جبل صوت الطاء، قال: «الطاء حرف مجهور شديد، مستعل، مطبق مفخم، مصمت يقلقل إذا سكن. وهذا الذي وصفناه هو

(١) قال سيبويه: «وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصورٌ فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف». وقال ابن جني: «والإطباق: أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى، مطبقاً له». الكتاب، سيبويه (٤٣٦/٤)، وسر صناعة الإعراب، ابن جني (٧٦/١).

(٢) ينظر: المصطلح الصوتي، عبد القادر مرعي (١١٧، ١١٨).

(٣) ينظر: الرعاية، مكي القيسي (١٢٢، ١٢٣).

(٤) ينظر: المصطلح الصوتي، عبد العزيز الصيغ (١٣٤، ١٣٥).

(٥) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر (٣٩٦).

الطاء الفصحى التي وصفها الأقدمون، ولا يزال أبناء صعيد مصر الأقحاح ينطقونها، وهي تشبه في صداها الضاد المصرية الشديدة»[1].

وهذه الصفات التي تَعْرِضُ للطاء وقت النطق به من قلقلة وتفخيم وإطباق، مع الهمز الذي أشار له الدكتور تمام حسان[2] والغرابة في الصوت كُلُّ تلك السمات جعلت الأقوال تختلف حوله، فيما يخص الجهر الذي قال به المتقدمون، والهمس الذي قال به المُحدَثون.

(١) المختصر في أصوات اللغة العربية، محمد حسن حسن جبل (١٢٤).

(٢) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان (٩٤).

المبحث الثالث
صوت القاف بين المتقدمين والمحدثين

أولاً: تحديد مخرج القاف:

صوت القاف (q) من جملة الأصوات العربية التي تَعرَّض لها المتقدمون من علماء العربية والتجويد، بتحديد مخرجها وبيان صفاتها العامة والخاصة، وبذلك يكون الصوت المشار إليه قد حظي بقدرٍ ليس قليلاً من العناية والتدقيق والضبط، للمحافظة على وجوده بصورته الأصلية التي يعرفها العربي، وحمايته من عوامل التطور الصوتي، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بقراءة القرآن الكريم وضبط نطق أصواته.

ومخرج القاف كما قال الخليل: «من بين عُكْدَة اللِّسان وبين اللَّهاة في أقصى الفم»[(١)]، وقال أيضاً: «ثم القاف والكاف لَهَوِيَّتان، والكاف أرفع...، لَهَوِيَّتان؛ لأنَّ مَبْدَأهُما من اللَّهاة»[(٢)]. وقال سيبويه في تحديد مخرج القاف: «ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف»[(٣)].

ولم تختلف وجهة علماء التجويد عن هذا التحديد، فقد قال مكي القيسي في مخرج صوت القاف: «القاف تخرج من المخرج الأول من مخارج الفم، مما يلي الحلق، من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك»[(٤)]. وقال ابن الجزري: «المخرج الخامس: أقصى اللسان مما يلي الحلق وما فوقه من الحنك هو للقاف». وقال شريح: إن مخرجها من اللَّهاة مما يلي الحلق»[(٥)]. وعلى هذا مضت سُنة علماء التجويد المُعاصرين[(٦)].

---

(١) العين، الخليل (٥٢/١).

(٢) المصدر السابق (٥٨/١).

(٣) الكتاب، سيبويه (٤٣٣/٤). وينظر في ذلك تبعاً لسيبويه: المقتضب، المبرد (١٩٢/١)، والمفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري (٥٤٦)، وشرح المفصل، ابن يعيش (٥١٦/٥).

(٤) الرعاية، مكي القيسي (١٧١).

(٥) النشر، ابن الجزري (١٩٩/١).

(٦) ينظر مثلاً: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح المرصفي (٦٦)، والقول السديد في علم التجويد، أبو الوفا (١٤٨)، وغاية المريد في علم التجويد، عطية نصر (١١٩، ١٣٠).

ومخرج القاف عند علماء الأصوات المُحدَثين هو أقصى الحنك، مؤخر اللسان مع اللَّهاة، وبذلك يُسمى الصوت حينئذ لهويّاً، ولا يوجد في العربية صوتٌ يخرج من هذا المخرج غيره. وينطق القاف برفع مؤخر الطبق حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق، ليسد المجرى الأنفي، مع رفع مؤخر اللسان حتى يصل باللَّهاة والجدار الخلفي للحلق(١).

وهنا نلحظ دقة التطابق بين تحديد المتقدمين من علماء العربية والتجويد، والمُحدَثين من علماء الأصوات في ضبط مخرج صوت القاف وعلاقته بالكاف، حتى قال الخليل قديماً: «القاف والكاف لَهَوِيَّتان، والكاف أرفع»(٢). وقال سيبويه: «ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف»(٣). وقال مكي القيسي: «القاف تخرج... مما يلي الحلق، من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك... وهي قريبة من مخرج الكاف»(٤).

وقال علماء الأصوات المُحدَثون: «لا فرق بين القاف والكاف إلا في أن القاف أعمق قليلاً»(٥). ولهذا التقارب فالقاف والكاف لا يجيئان متّصلان في كلمة واحدة في كلام العرب(٦)، وقال الدكتور أحمد مختار عمر: «والصلة الصوتية بين القاف والكاف أوضح من أن تحتاج إلى تعليق»(٧).

غير أنه مما يلاحظ على بحث سيبويه ومن تبعه - في هذا الباب - ممن جاء بعده تأخير القاف في الترتيب عن الغين والخاء والكاف، مع أن القاف مخرجها عند اللَّهاة،

(١) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٤٨)، ودراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر (٣١٨)، في صوتيات العربية، محيي الدين رمضان (١٠٥)، ودراسة السمع والكلام، سعد مصلوح (١٧٤، ١٩٢)، والمدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٥٤).

(٢) العين، الخليل (٥٨/١).

(٣) الكتاب، سيبويه (٤٣٣/٤).

(٤) الرعاية، مكي القيسي (١٧١).

(٥) المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٥٥).

(٦) ينظر: موت الألفاظ في العربية، عبد الرزاق الصاعدي (٤٣٨).

(٧) البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر (٢٢).

ومخرج الثلاثة في الطبق، وهذا راجع إلى أن الدرس الصوتي في عصرنا قد تم بمعية الآلة، وفي ضوء علم التشريح، ولم يتأت ذلك للقدماء(١).

ثانياً: القاف بين الجهر والهمس:

القاف صوت شديد مجهور كما قرر ذلك المتقدمون من علماء العربية والتجويد(٢)، وهو شديد - انفجاري - مهموس شبه مفخم في توصيف المحدَثين(٣)، بمعنى لا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به، وحين يُطلق سراح مجرى الهواء يتألف الصوت مُحدِثاً انفجاراً مسموعاً، ويتصف هذا الصوت بأنه أحد الأصوات الثلاثة شبه المفخمة أو شبه الإطباقية، وهي: القاف والخاء والغين(٤).

ومن هنا يتبين أن الخلاف بين المتقدمين من علماء العربية والتجويد وبين المُحدَثين من علماء الأصوات هو في تحديد صفة الهمس والجهر للقاف، فهو مجهور عند المتقدمين، مهموس عند المحدثين.

وبسبب هذا الخلاف قال علماء الأصوات المُحدَثون بتطور صوت القاف(٥)، وقال بعضهم استنتاجاً: إنَّ المتقدمين وصفوا القاف بالجهر؛ لأنهم كانوا يقصدون

(١) علم الأصوات التطبيقي، هادي نهر (٢٨، ٢٩).

(٢) ينظر: الكتاب، سيبويه (٤/٤٣٤)، والرعاية، مكي القيسي (١٧١)، وسر صناعة الإعراب، ابن جني (١/٢٨٧)، والنشر، ابن الجزري (١/٢٠٢).

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٨٢)، ودراسة السمع والكلام، سعد مصلوح (١٩٢)، والأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل (١٧٩).

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٨٢)، والأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل (١٧٩). والمقصود بشبه المفخمة أو شبه الإطباقية هو أنها لا تفخم إلا في بعض السياقات، فهو تفخيم (phonology)، وقد أدرج المتقدمون صوت القاف في زمرة أصوات الاستعلاء، وذلك أنها حروف اتصلت من اللسان بالحنك الأعلى. ينظر: الكتاب، سيبويه (٤/١٢٨)، والمقتضب، المبرد (٣/٤٦)، وسر صناعة الإعراب، ابن جني (١/٢٢١)، والنشر، ابن الجزري (٢/٨٣).

(٥) ينظر: التطور النحوي، برجشتراسر (١٦، ١٧)، ودروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو (١٠٧)، وعلم الأصوات، برتل مالمبرج (١٢٦).

الكاف المجهورة، المعروفة بالجيم القاهرية اليوم[١]. وذهب البعض إلى أنَّ الوصف الذي حدده المتقدمون ينطبق على صوت يشبه صوت الغين، كأنه قاف مجهورة، وهو مسموع اليوم في السودان وبعض أنحاء العراق[٢].

ويقول الدكتور إبراهيم أنيس واصفاً هذا التطور، ومبيناً العجز عن فهم حقيقة الصوت المجهور الذي وصفه المتقدمون: «وقد تطورت القاف في اللهجات العربية الحديثة تطوراً ذا شأن، لا نستطيع معه أن نؤكد كيف كان ينطق بها الفصحاء من عرب الجزيرة في العصور الإسلامية الأولى»[٣].

ويرى بعض علماء الأصوات أن نطق القاف القديم لا يزال باقياً عند بعض البدو[٤]. وقد رويت في صوت القاف لهجة في نطق المتقدمين شبيهة بالصوت (g) في الإنجليزية كما يقول الدكتور محيي الدين رمضان، ولم تزل في بلاد كثيرة كشمال الجزيرة العربية وأكثر المناطق البدوية، وهذه لهجة أكثر أهل الأردن، وصعيد مصر[٥].

وعلى بقاء الصوت المجهور في بعض النطق العربي يؤكد برجشتراسر قائلاً: أما القاف فهي في العادة مهموسة اليوم، لكنها مجهورة عند القدماء، كما هي الآن عند بعض البدو[٦]. ويفسر ذلك الدكتور حسام النعيمي بقوله: «والذي يتجه لي في هذا أن برجشتراسر أراد بالقاف العتيقة المجهورة... الكاف المجهورة، أي صوت (گ)»[٧].

(١) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٨٣)، وأصوات العربية بين التحول والثبات، حسام النعيمي (٢٩).
(٢) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٨٢)، والمختصر في أصوات اللغة العربية، محمد حسن حسن جبل (٩٣)، وعلم الأصوات النطقي، هادي نهر (٤٣).
(٣) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٨٢).
(٤) ينظر: علم الأصوات النطقي، هادي نهر (٤٣).
(٥) ينظر: في صوتيات العربية، محيي الدين رمضان (١٠٥).
(٦) ينظر: التطور النحوي، برجشتراسر (١٦).
(٧) أصوات العربية بين التحول والثبات، حسام النعيمي (٢٦).

ويقول برتيل مالمبرج مُشيراً إلى نطق القراء بالتحديد: ذكر القدماء وإمامهم سيبويه أنَّ القاف من بين الأصوات المجهورة، لذلك فالصوت قد تعرض للهمس خلال القرون، وصار ينطق بوصفه الجديد مهموساً عند قراء القرآن، وهو المقياس المثالي لسلامة النطق الحرفي للفصحى(١).

وينقل الدكتور سمير استيتية الإجماع على أن الصوت الذي نسمعه على ألسنة القُرَّاء صوت مهموس، فيقول: «وأما القاف كما ينطقها المجيدون من قراء القرآن الكريم في هذه الأيام، فلا خلاف بين علماء الأصوات على أنها صوت مهموس، وأما لماذا وصفها علماء العرب بأنها مجهورة، فيحتمل أنهم كانوا ينطقونها على نحو مشابه للصوت الذي يرمز إليه بالرمز (G) وهو مفخم صوت الجيم القاهرية»(٢).

واستبعد الدكتور غانم قدوري كون سيبويه وصف الصوت المعروف بالجيم القاهرية اليوم؛ لأنه قد حدد مخرج القاف من نقطة هي أعمق من النقطة التي تخرج منها الكاف، ومن غير المحتمل أن يغيب عن سيبويه أنَّ الكاف المجهورة تخرج من نفس موضع الكاف المهموسة(٣).

كما أنه من غير المعقول أن يغيب عن نظر علماء العربية والتجويد تقارب نطق القاف والغين، خصوصاً أنَّ سيبويه وصف القاف بالشدة، وبعيدٌ ألَّا يفطن لرخاوة ذلك الصوت، وقد وصف الغين بالرخاوة(٤).

ومع شبه الإجماع بين علماء الأصوات المُحدَثين على القول بتطور صوت القاف إلا أن الدكتور حسام النعيمي يرى أنْ لا تطور في الصوت مطلقاً، وأنَّ القاف صوت لهوي شديد مجهور وفق ضابط الجهر عند المتقدمين، وهو عدم جريان النفس عند إخفاء الحرف وترديده(٥).

(١) ينظر: علم الأصوات، برتيل مالمبرج (١١٢).
(٢) الأصوات اللغوية، سمير استيتية (١١٠).
(٣) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري (٢٨٠).
(٤) ينظر: المصدر السابق (٢٨١).
(٥) ينظر: أصوات العربية بين التطور والثبات، حسام النعيمي (٢٩).

وفي هذه الوجهة نظر؛ إذ كيف يختلف المفهوم بين المتقدمين والمُحدَثين، ونتائجهم تكاد تكون شبه متفقة، فيما لو استبعدنا الخلاف الدائر حول صوتين أو ثلاث، فاتفاق نتائج ملحوظتهم يومئ باتحاد المفهوم، إلا أنه - على ما يبدو - ثمة خلل أو وهم في رؤية أحد الطرفين، ونسبته للملاحظة والذوق أقرب في العقل وأبعد عن رصد الآلة المستعان بها اليوم في تحديد مخارج الأصوات وبيان صفاتها.

ثالثاً: صوت القاف «رؤية جديدة»:

بعد التأمل في كلام المتقدمين والمُحدَثين حول صوت القاف وما يتعلق بجهر الصوت وهمسه على وجه الخصوص، فإنني أميل إلى القول بأنَّ المتقدمين لم يضبطوا تحديد صفة القاف بدقة، وذلك فيما يتعلق بصفة الهمس والجهر تحديداً، فذروة تحقيقهم في هذا الباب هو الملاحظة والذوق والحس، وهذا منتهى ما كانوا يمتلكونه في بحثهم، وقد أجادوا وأبدعوا بلا شك، إلا أن بعض الزوايا الصوتية - ومنها المتعلقة بصوت القاف - تتطلب مراعاةً أدق، وتفتقر إلى فحص أكبر، وهذا ما سمح به علم الأصوات الحديث، فتحديد صفات الأصوات في عصرنا يتم بمعية الأجهزة والآلات الصوتية وفي ضوء علم التشريح، ولم يكن ذلك متاحاً للقدماء بهذه الدقة، وعلى هذا فالأمر غير متعلق بالتطور في ذات الصوت، ولا حاجة للقول: إنهم كانوا يصفون صوتاً آخر، إنما غاية الأمر هو خلل في دقة التوصيف، ولعل سبب قولهم بأنَّ القاف صوت مجهور ما يأتي:

أولاً: قوة صوت القاف ونصاعته وضخامة جرسه، واشتماله على جرس خاصٍّ أدى هذا التميُّز مع القوة في الصوت إلى وقوع التوهُّم في وصف الصوت بالجهر، فالقوة في الصوت والوضوح السمعي هي من أهم علامات الجهر الظاهرة عند المتقدمين[1] وعند المُحدَثين أيضاً[2]، والقاف يمتلك نوعاً من هذه القوة التي تُميِّز الصوت المجهور،

(١) يقول مكي القيسي: «الحروف المجهورة هي أقوى من المهموسة.. وبعضها أقوى من بعض، على قدر ما فيها من الصفات، ومعنى الحرف المجهور أنه حرف قوي». الرعاية، مكي القيسي (١١٦، ١١٧).

(٢) يقول سمير استيتية: «إننا لا ننكر حقيقة مؤداها أن الأصوات المجهورة أكثر وضوحاً من الأصوات المهموسة». ويقول هادي نهر: «إن الأصوات المجهورة أقوى جرساً من المهموسة». الأصوات اللغوية، سمير استيتية (١٧٠، ١٧٣)، وعلم الأصوات النطقي، هادي نهر (٣٣).

لذلك يقول الخليل: «ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حَسَّنَتَاه؛ لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جَرْسا»(١).

يضاف إلى ذلك صفة الشدة في صوت القاف، وهي مصدر قوة أيضاً للصوت(٢). لذلك فإن كثيراً من النحويين الأوربيين يذهبون إلى أن في نطق القاف شدة ثانية مصاحبة للشدة الأولى، تحصل بغلق رأس قصبة الرئة(٣).

ومن هنا فإن الدكتور غانم قدوري يرى أنَّ سبب الوهم عند سيبويه ما في صوت القاف من ضخامة ونصاعة وقوة، تجعل كثيراً من المبتدئين بدراسة الأصوات في زماننا يتوهمون كونه مجهوراً، وكذلك صعوبة أو استحالة نطق صوت شديد مجهور من مخرج القاف، على نحو ما يمكن مع صوت الكاف(٤).

ثانياً: للجهر مصدران للتصويت(٥):

الأول: صوت الحَنْجَرَة الناتج عن ذبذبة الوترين الصوتيين.

والثاني: مخرج الصوت عندما يضيق مجرى النفس أو يغلق. والثاني من المصادر التصويتية موجود في نطق صوت القاف، فإنه يُنطق برفع مؤخر الطبق، حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق، مع رفع مؤخر اللسان حتى يصل باللَّهاة والجدار الخلفي للحلق(٦).

---

(١) العين، الخليل (٥٣/١). ولمزيد بسط وتفصيل حول قضية القوة والضعف في الأصوات. ينظر: علم الأصوات، برتيل مالمبرج (١٠٧)، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري (٢٨٠ - ٢٨٤).

(٢) يقول مكي القيسي: «والشدة من علامات قوة الحرف، فإن كان مع الشدة جهر وإطباق واستعلاء، فذلك غاية القوة في الحرف؛ لأن كل واحدة من هذه الصفات تدل على القوة في الحرف». الرعاية، مكي القيسي (١١٧، ١١٨).

(٣) ينظر: دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو (١٠٧).

(٤) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري (٢٨١، ٢٨٢).

(٥) ينظر: مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، محمد يحي (٧٣).

(٦) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر (٣١٨)، ودراسة السمع والكلام، سعد مصلوح (١٧٤، ١٩٢)، والمدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٥٤).

ولذلك لما وصف بروكلمان صوت القاف قال فيه: «صوت مهموس ذو نطق مهموز شديد»[١]، وعبَّر جان كانتينو عن هذا النطق المهموز بقوله: «إنَّ شدة هذا الحرف ليست كاملة؛ ولذلك كان نطق القاف مصحوباً بصوت خاص»[٢].

زيادة على ذلك فإن جان كانتينو الذي جعل احتمال تطور الصوت وارداً، راح يُفسر كلام سيبويه، ويورد له الاحتمالات التي حملته على القول بجهر القاف، فيقول في كيفية نطق القاف: إنَّ أصل اللسان ينطبق على غشاء الحنك، ولما كان هذا الغشاء رخواً نتج عن ذلك أنَّ شدة هذا الصوت ليست كاملة، ولذلك كان نطق القاف مصحوباً بصوتٍ خاص، وقد رتب سيبويه والزمخشري القاف في عداد الأصوات المجهورة، مع أنَّ نطقه الفصيح اليوم مهموساً[٣].

ومع هذه السمات التي امتاز بها صوت القاف من القوة والشدة والهمز كما سماه بروكلمان لكنها ليست كافيةً لإطلاق صفة الجهر على القاف - وإن كانت موهمة به -؛ لعدم اهتزاز الوترين الصوتيين حال النطق بالصوت، واهتزاز الوترين الصوتيين هو الحاسم في التفريق بين الصوت المجهور والصوت المهموس عند المُحدَثين[٤].

ثالثاً: اختبار الصوت والتمثيل له أحياناً في سياقات صوتية مختلفة يجعل الصوت متذبذباً بين صفتي الجهر والهمس؛ وذلك بتأثير طاقة الإجهار والإهماس بالأصوات المصاحبة لنطقه، فـ «من الأصوات ما ينتقل من حالة الجهر إلى الهمس وعلى العكس تحت تأثير الأصوات المجاورة، أو حسب موقع الصوت من البنية أولاً أو وسطاً أو آخراً»[٥].

(١) فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان (٣٩).
(٢) دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو (١٠٦، ١٠٧).
(٣) ينظر: دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو (١٠٦، ١٠٧).
(٤) يقول رمضان عبد التواب: «ينظر إلى اهتزاز الأوتار الصوتية أو عدم اهتزازها، فالأصوات التي تهتز معها الأوتار الصوتية وتتذبذب، يسميها علماء الأصوات بالأصوات المجهورة، أما تلك التي لا تهتز معها الأوتار الصوتية، فتسمى عندهم بالأصوات المهموسة». ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (٣٦).
(٥) علم الأصوات النطقي، هادي نهر (٣٣، ٣٤).

وفي نطق القاف شبيهة بالصوت (g) الإنجليزي يقول الدكتور محيي الدين رمضان: «وتعليل ذلك يرجع إلى صوت الحركة، ولا سيما إذا كانت كسرةً أو فتحة ممالة كما هو ظاهر في لهجة البدو، وفي لفظ قراء القرآن الكريم اليوم»(١).

وأشير إلى أن المتقدمين يختبرون الأصوات ويحددون مخرجها ويلاحظون صفاتها بنطق الحرف ساكناً مسبوقاً بهمزة وصل(٢)، وهذا ما يجعل الصوت مقلقلاً بشدة؛ لذلك نبه بعض الباحثين إلى ضرورة التحرز من هذه الطريقة في الاختبار، فقال الدكتور إبراهيم أنيس في ذلك: «يجب الاحتراز من الإتيان بألف وصل قبل الصوت، كما كان يفعل القدماء من علماء الأصوات؛ لأن الصوت حينئذ لا يتحقق فيه الاستقلال الذي هو أساس التجربة الصحيحة»(٣).

ويذكر المحدثون من علماء الأصوات، أنه لاختبار جهر الصوت، يمكن أن تجري إحدى التجارب الآتية(٤):

١. حين تضع الإصبع فوق تفاحة آدم(٥)، ثم تنطق بصوت من الأصوات وحده، مستقلاً عن غيره من الأصوات، ولا يتأتى هذا إلا بأن نشكل الصوت موضع التجربة بذلك الرمز الذي يسمى السكون، مثل (ب). فإذا نطقنا بالصوت وحده، وكان من المجهورات، نشعر باهتزازات الوترين الصوتيين، شعوراً لا يحتمل الشك.

(١) في صوتيات العربية، محيي الدين رمضان (١٠٦).

(٢) قال المهدوي: «فإذا أردت معرفة حقيقة المخرج من الفم وغيره، فإنما تنطق بالحرف ساكناً، وتدخل عليه همزة الوصل، فتقول: ان، ام، فيظهر لك مخرج الحرف من الفم وغيره، وكذلك تعتبر سائر الحروف»، وهذه الطريقة في تحديد المخارج من ابتكار الخليل، قال الليث وهو يحكي صنيعه في ذوق الحروف: «وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف، نحو: اب، ات، اح، اع، اغ» «وتقوم هذه الطريقة على أمرين: الأول: نطق الحرف ساكناً. والآخر: اجتلاب همزة وصل قبله». ينظر: شرح الهداية، المهدوي (٨٠/١)، والعين، الخليل (٤٧/١).

(٣) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٢٣). وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري (٢٠٧)، والمدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٣٧).

(٤) ينظر: المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٣٦، ٣٧).

(٥) تفاحة آدم: هي بروز غضروفيّ ناتئ أعلى الرقبة، يتحرّك أثناء البلع. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر (٥٠/١).

٢. وكذلك حين نضع أصابعنا في آذاننا، ثم ننطق بالصوت المجهور، وهو وحده مستقلًّا عن غيره، نحس برنة الصوت في رؤوسنا. وفي ذلك يقول فندريس: «وإذا راعى الإنسان أن يسدَّ أذنيه عند النطق، فإنه عندما يصل إلى المجهورة، يسمع الرنين الذي تنشره الذبذبات الحنجرية في تجاويف الرأس»(١).

٣. والتجربة الثالثة هي أن يضع المرء كفه فوق جبهته في أثناء نطقه بالصوت، موضع الاختبار، فيحس برنين الصوت، وذلك الرنين هو أثر ذبذبة الوترين الصوتيين.

رابعاً: صوت القاف هو من أصوات القلقلة(٢) أيضاً، ولعل لهذه الصفة التي تطرأ على صوت القاف دوراً كبيراً في وصف الصوت بالجهر، فالقلقلة صوت إضافي لاحق، وقد لاحظ النحاة أن هذا الصوت الإضافي يختلف درجةً باختلاف المتكلمين، وقد حُكِيَ أن بعض العرب كانوا يخرجونه أشد عنفاً من غيرهم، وهذا الصوت الإضافي في حالة ما سماه نحاة العرب (حروف القلقلة)، فالرأي أنه غير مهموس؛ أي ليس نفساً، وبذا يمكن القول: إنَّ الصوت الإضافي في حالة (حروف القلقلة) يشبه بالحركة، أي: بالصَّائت القصير، ومن البديهيَّات أن الصوائت مجهورة، والأرجح أن يكون هذا الصوت الإضافي صوتاً صائتاً مركزيّاً ضعيفاً(٣).

ولهذا فإن الدكتور تمام حسان يقول: «قد مر بنا أن هذا الصوت - القاف - من أصوات القلقلة، وأن النحاة والقراء قد أخطأوا في اعتباره مجهوراً لهذا السبب»(٤). وقال أيضاً: «إنَّ النحاة، والقراء في القديم قد وضعوا قاعدة قياسية، تقول: إن كل صوت ينتمي إلى أصوات القلقلة هو صوت مجهور شديد، وهذا ما جعلهم يخطئون الصواب، لا في صفة الطاء فحسب، بل في وصف أصوات مهموسة أخرى بالجهر، كالقاف والهمزة»(٥).

---

(١) اللغة، فندريس (٥١).

(٢) وحروف القلقلة خمسة وهي: (ب ج د ط ق). ينظر: الكتاب، سيبويه (١٧٤/٤)، والرعاية، مكي القيسي (١٢٤)، وسر صناعة الإعراب، ابن جني (٧٧/١)، والنشر، ابن الجزري (٢٠٣/١).

(٣) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران (١٣٥).

(٤) مناهج البحث في اللُّغة، تمام حسان (٩٦).

(٥) المصدر السابق (٩٥).

فنلحظ أنَّ بعض أصوات القلقلة اتسمت بقوتها في النطق؛ لامتلاكها صفتي الشدة والجهر في أكثرها، وإضافة صُوَيْتٌ لها في أثناء الوقوف عليها ساكنة[١]، ووجود صوت القلقة بعد الحروف الخمسة، يحتّم أن يكون الفم مخرج الهواء حين الانفجار، الذي نسميه الشدة، والذي هو خاصة من خواص النطق بأصوات هذه الحروف[٢].

فالقلقلة صوت يشبه النبرة عند الوقف على عدد من الأصوات - منها القاف - وإرادة النطق بهن، وذلك الصوت في الوقف عليهن أبين منه في الوصل، وقيل: أصل هذه الصفة للقاف؛ لأنه حرف ضُغط عن موضعه، فلا يقدر على الوقف عليه إلا مع صوت زائد لشدة ضغطه[٣]. وقد قال فيها سيبويه: «واعلم أن من الحروف حروفاً مشربة ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صُوَيْتٌ ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلة... وذلك القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء»[٤].

أما ابن جني فقد أشار إلى هذا النوع من التصويت بقوله: «واعلم أن في الحروف حروفاً مشربة، تحفز في الوقف، وتضغط عن مواضعها»[٥]، وكشف عن كنهها بتعبير آخر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، حين قال: «والقلقلة ما تحسن به إذا وقفت عليها من شدة الصوت المتصعد من الصدر مع الحفز والضغط»[٦].

وعلى هذا فالقلقلة: «إضافة صُوَيْتٍ إلى أصوات (قطب جد) أثناء الوقوف عليها في حالة السكون، ويظهر هذا الصُّوَيْتُ على شكل انفجار من الفم»[٧]. ويلاحظ أن المحدَثين قد اتفقوا هم وعلماء العربية القدماء في معنى القلقلة، مع اختلافهم في

(١) ينظر: مفهوم القوة والضعف، محمد يحيى (٨٤، ٨٥).
(٢) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان (١٤٩).
(٣) الرعاية، مكي القيسي (١٢٤).
(٤) الكتاب، سيبويه (١٧٤/٤).
(٥) سر صناعة الإعراب، ابن جني (٧٧/١).
(٦) المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري (٥٤٧).
(٧) المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء، عبد القادر مرعي (١٢٢).

عدد هذه الأصوات، إلا أن المحدثين ركزوا على جانب الشدة أو الانفجارية في هذا الصوت، على الرغم من أن القدماء قد أدركوا هذه الصفة في هذه الأصوات(١).

والقاف التي أخطأ المتقدمون في وصفها بالجهر هي صوت مهموس ضعيف وفق هذا المعيار، فكان ينبغي أن يُدرك ذلك بالحس، لكن هذا الصوت مع همسه قد مُنح صفة أخرى أضفت عليه قوةً عَوَّضتْ - كما يبدو - عن صفة الجهر المظنونة فيه، وهي صفة القلقلة، لذلك ظنوه مجهوراً من هذا الوجه، فالقلقلة: اضطراب الحرف وتحركه بحركة عند النطق به وهو ساكن حتى يسمع له نبرة قوية(٢).

وقد مرَّ قول سيبويه حين سمى القلقة «صويتاً»، وعبَّر عنها مكي بالنبرة، وفسرها ابن جني بالتحفيز للصوت حال الوقف، ووصفها الزمخشري بالصوت المتصعد من الصدر، وهذا التوصيف المتعدد للعارض على صوت القاف ربما يكون سبباً آخر، حمل المتقدمين على وصف القاف بالجهر.

يضاف إلى ذلك أن القاف صوت مفخم سياقيّاً، وقد حرص العرب على تفخيمها كما تحكى في مثل: قام، قاد، قاس(٣). والتفخيم هو الآخر أثر سمعي ينتج عن عوامل فسيولوجية متداخلة، ندرك منها عاملين مهمين:

الأول: ارتفاع مؤخر اللسان تجاه أقصى الحنك - الحنك اللين - فيحدث تغيّر في التجويف الفموي، محدثاً رنيناً مسموعاً.

والثاني: رجوع اللسان إلى الخلف بصورة أسرع، مما يحدث له في أثناء النطق بالأصوات المرققة، فكأن للتفخيم جانبين: جانباً عضوياً وهو موضع اللسان وما يتبعه في الفم، وجانباً سمعياً ذا خاصية مميزة، وبهذا يمكن أن نحسب للصوت المفخم

(١) ينظر: المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء، عبد القادر مرعي (١٢٢)، والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ (١٥٧).
(٢) ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح (٢٨٣).
(٣) ينظر: في صوتيات العربية، محي الدين رمضان (١٠٦)، وعلم الأصوات، كمال بشر (٤٠٢).

موضعين من النطق: موضع نطقه الأصلي مصاحباً بالوضع الثاني وهو موقع اللسان عند النطق به[١].

خامساً: إجماع القراء المجيدين لنطق القرآن الكريم على نطق واحد للقاف اليوم، يُبعد في العقل افتراض القول بتطور الصوت، خصوصاً عندما نعلم طريقة تلقي القرآن وكيفية أخذ اللاحق عن السابق، ومن البعيد أيضاً تصور التواطؤ بين هؤلاء القراء مع اختلاف الأمصار على نطق واحد مخالف للنطق العتيق، لذلك يقول الدكتور حسام النعيمي: «وهذه القاف - المقروء بها اليوم - هي التي ترجح لدينا أنها القاف العربية القديمة؛ لأنه لا يتصور أن يُجمِع قراء القرآن في كل بلاد الإسلام على هذا الصوت، وهم يتلقون القراءة مشافهة من جيل إلى جيل، ثم نزعم أنه ليس الصوت القديم»[٢].

سادساً: إن هذا الخلاف الدائر حول همس القاف وجهره لا يبعد معه أن يكون الصوت مشرباً بالجهر وليس مجهوراً، وهذا يفسر إقرار كثير من علماء الأصوات بوجوده مجهوراً اليوم في بعض اللهجات العربية، حتى مع إيمانهم بتطور الصوت عن الأصل في النطق الغالب، فيقول برتل مالمبرج: «القاف صامت لهوي انفجاري مهموس مفخم، كان الناس قديماً ينطقونه مجهوراً، وما زال الناس في بعض اللهجات العربية ينطقونه كذلك»[٣]. ويقول جان كانينو: «وبما أن قسماً كبيراً من الألسن الدارجة العربية ينطق أصحابها بقاف مجهورة، أمكننا الاعتقاد على سبيل الاحتمال والترجيح بأن القاف كان فعلاً حرفاً مجهوراً في العربية القديمة»[٤].

(١) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر (٣٩٤). على أن صوت القاف مع الغين والخاء والصاد والضاد والطاء والظاء تسمى حروف الاستعلاء عند المتقدمين. ينظر: النشر، ابن الجزري (٨٣/٢).

(٢) أصوات العربية بين التحول والثبات، حسام النعيمي (٢٦).

(٣) علم الأصوات، برتل مالمبرج (١٢٦).

(٤) دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو (١٠٧). وينظر: التطور النحوي، برجشتراسر (١٦ - ٢٠).

ومما أشكل عليَّ في هذا الباب قول الشيخ محمد حسن حسن جبل حين يقول: «وقد هديتُ إلى نُطق القاف الفصحى قصوية شديدة مستعلية مجهورة، حسب ما وصفها القدماء، وأمارسه وأعلمه تلاميذي، ويتوفر فيها بهذا النطق كل ما قاله الأقدمون ولله الحمد والمنة»(١).

فهو إما أن يكون بذلك قد خالف نطق جماهير قراء الأمة اليوم، الذين ينطقون القاف مهموسة، وهذا هو المعروف من مشاهير قراء العراق والشام والجزيرة العربية وبلاد المغرب، وقد أقرَّ بذلك هو حين قال: «فقاف القراء الحديثة مهموسة فقدت صفة الجهر»(٢)، وهذه المخالفة لا يعتد بها، ولا هي مستحسنة في باب القراءة والإقراء، فالقُرَّاء في كل الأمصار قد أخذوا القرآن مشافهة، وهم مجمعون على صوت واحد بلا نكير، فكيف يخالف الشيخ جماهير القراء؟ ومن أيِّهِم أخذ القراءة؟! أو لعل الشيخ - وهو الأقرب - قد أشكل عليه أيضاً التمييز بين الجهر والهمس في هذا الصوت بالتحديد، كما أشكل على المتقدمين لغرابة نطقه وصعوبة تمييزه بصفة الجهر والهمس.

وقد رصد الدكتور إبراهيم أنيس هذا التفاوت النطقي فقال: «فالقاف في القراءات القرآنية بين المتكلمين باللغة العربية نطقان: أحدهما مهموس، وهو الأكثر شيوعاً، والآخر مجهور»(٣).

أما الدكتور حسام النعيمي فله تفسير خاص لمعنى الجهر عند المتقدمين، لذلك نجده يقول: «صوت القاف... صوت لهوي شديد مجهور على وفق معنى الجهر عند القدماء»(٤)، ويؤكد أن الصوت لم يدخله تغيير في الفصيح، وهو مجهور على وفق ضابط

(١) المختصر في أصوات اللغة العربية، محمد حسن حسن جبل (٩٤).
(٢) المصدر السابق (٩٣، ٩٥).
(٣) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٨٣).
(٤) أصوات العربية بين التحول والثبات، حسام النعيمي (٧٢).

الجهر الذي وضعه القدماء وهو عدم جريان النفس عند إخفاء الحرف وترديده، فقُرَّاء القرآن اليوم مجمعون على نطق واحد، على أن الصوت قد تقدم في لهجات بعضهم، وتأخر في لهجات الآخرين، وجاء مهموساً عند قوم، مجهوراً عند آخرين(١).

فالجهر في القاف عند النعيمي مقبول، على أن الجهر عند المتقدمين مختلف في معناه عما هو عليه عند المحدثين وإن كان بلفظ واحد، فهو عند المتقدمين تابع لتوقف النفس مع النطق بالحرف، فإذا منع النفس من الجريان حتى ينتهي النطق بالحرف كان مجهوراً، وبهذا الضابط الذي لم يكونوا يملكون غيره فرقوا بين المجهور والمهموس(٢).

وقد عرض الدكتور إبراهيم أنيس لتعريف سيبويه للمجهور، ثم قال: «هذا هو التعريف الذي وقف أمامه علماؤنا القدماء حائرين، قانعين بترديد ألفاظه بنصها دون شرح واضح»(٣). وبيَّن أنيس أن هذه القيود يمكن فهمها على وجه لا يختلف عن تفسير المحدثين للجهر، وذلك أن معنى «قوة الاعتماد» أو «إشباع الاعتماد» هو أن الصوت متمكن مشبع فيه وضوح وفيه قوة، فالمجهور أوضح في السمع من نظيره المهموس(٤). أما «منع النفس من الجريان» فهو شعور باقتراب الوترين الصوتيين حتى ليكادان يسدان طريق النفس. وهذا ما أشار إليه المُحدَثون(٥).

ثم إن الأصواتيين اليوم يُجمعون على أنَّ المتقدمين لم يكونوا على علم بالأوتار الصوتية التي من خلالها تُحدد صفتي الجهر والهمس وفق معطيات الدرس الصوتي الحديث، وبالتالي فإنَّ أسلافنا قرروا ما قرروا وقد أجادوا كثيراً اعتماداً على الذوق

(١) ينظر: أصوات العربية بين التحول والثبات، حسام النعيمي (٢٩، ٣٠).
(٢) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، حسام النعيمي (٣١٢، ٣١٣).
(٣) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (١١٧).
(٤) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (١١٧).
(٥) ينظر: المصدر السابق (١١٨).

والملاحظة فحسب، في تقرير صفة القاف وعموم المجهور والمهموس، وهم وإن نجحوا في أكثر الأصوات، فليس ببعيد أنهم أخفقوا في تحديد همس هذا الصوت، خصوصاً إذا علمنا أنَّ للصوت صفة مفردة تزيد من قوته، وتُلحقه صويتاً خفيفاً، قد تضيع معه ملاحظة صفة الهمس، فيُعتقد جهره.

أخيراً أقول: إنَّ كل هذا البحث، وتلك المناقشة والجمع، الغاية منها الوصول إلى نتيجة واحدة، كنت قد آمنت بها ولو اضطرب الفكر فيها حيناً، وهي أن تلك الأصوات القرآنية محفوظة على وجهها الذي نزلت به، وينطقها معشر القُراء المُجِيدِين اليوم على ذاك الوجه الذي نزل به القرآن على نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبه قرأ وأَقرأ، مع اختلاف التعليل في محل الخلل الذي ظهر بين المتقدمين من علماء العربية والتجويد وبين علماء الأصوات المُحدَثين في تحديد وتوصيف صوت القاف وسابِقَيه.

الخاتمة

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله، والشكر له على عظيم المنة وكبير الفضل، وبعد تمام البحث بتوفيق الله وعونه، أود أن أسرد أبرز النتائج التي خَلُص إليها البحث:

أولاً: رصد البحث الأقوال التي ذكرت حول الأصوات الثلاثة قديماً وحديثاً، محرراً محل الخلاف بينها، والخروج برؤية جديدة حول كل صوت من هذه الأصوات.

ثانياً: قرر البحث أنَّ القول بتطور الأصوات التي عليها مدار البحث مجرد دعوى، تفتقر لمزيد من النظر والبيان والتأمل، وليست مُسَلَّمة من المُسَلَّمات العلمية الصوتية كما يُفهم من كلام علماء الأصوات المُحدَثين حول هذه الأصوات.

ثالثاً: إن اللبس الذي تُحدثه غرابة الصوت يجعل ذلك الصوت قابلاً لتفاوت الأقوال في صفاته وتحديدها، وليس بعيداً أن يؤدي ذلك اللبس إلى الوقوع في الخطأ كما جاء في صوت الطاء.

رابعاً: لقد كان للصفات المفردة أثر واضح في اضطراب الأقوال حول الصوت المعين، والتوهم بتطوره، والإيمان بفكرة انعدام النطق الأصلي العتيق لذلك الصوت، كما جاء في صفة الاستطالة المتعلقة بصوت الضاد.

خامساً: مما اتضح في البحث هو أن الصفات الخاصة تؤثر في حسم القول في صفة بعض الأصوات كالقلقلة الموهمة بالجهر وكذا الإطباق والتفخيم والاستعلاء.

سادساً: إنَّ المتقدمين من علماء العربية والتجويد قرروا ما قرروا في ميدان الأصوات من تحديد مخارج الأصوات وصفاتها اعتماداً على الذوق والملاحظة فحسب، وقد أجادوا وأبدعوا بلا شك، إلا أن بعض الزوايا الصوتية - ومنها المتعلقة بالأصوات الثلاثة - تتطلب مراعاة أدق، وتفتقر إلى فحص أكبر، وهذا ما سمح به علم الأصوات الحديث، فتحديد صفات الأصوات في عصرنا يتم بمعية الأجهزة والآلات الصوتية وفي ضوء علم التشريح، وقد كان لمنهج الملاحظة المحضة والاعتماد على الذوق أثر في وقوع الوهم وعدم الدقة في تقرير بعض النتائج التي تخص هذه الأصوات.

سابعاً: إدخال اللسان في تحديد مخارج الأصوات واعتماده حيناً وإهماله حيناً آخر يوقع الوهم والتشتت، فاللسان عضو مرن متحرك يشترك في إنتاج وصناعة كثير من الأصوات؛ لذا فإن اعتماده في تحديد مخارج الأصوات يوصل إلى نوع من الاضطراب، والاقتصار على أجزاء الحنك الأعلى في نسبة الحروف إليها أميز في الاصطلاح، وأدق في التوصيف.

ثامناً: اختبار الصوت الواحد في سياقات صوتية مختلفة يجعل الصوت متذبذباً بين صفتي الجهر والهمس؛ وذلك بتأثير طاقة الإجهار والإهماس المصاحبة لنطقه، فمن الأصوات ما ينتقل من حالة الجهر إلى الهمس وعلى العكس تحت تأثير الأصوات المجاورة، أو حسب موقع الصوت من البنية أولاً أو وسطاً أو آخراً.

فهرس المصادر والمراجع

- **إبراز المعاني من حرز الأماني**: شهاب الدين أبو شامة المقدسي (ت: ٦٦٥هـ)، دار الكتب العلمية.
- **ارتشاف الضرب من لسان العرب**: أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: رجب عثمان محمد، ومراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
- **أصوات العربية بين التحول والثبات**: حسام سعيد النعيمي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، سلسلة بيت الحكمة (٤)، بغداد (١٩٨٩م).
- **أصوات اللغة**: عبد الرحمن أيوب، مطبعة الكسلاني، الطبعة الثانية (١٩٦٨م).
- **الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية**: سمير شريف استيتية، دار وائل، عمَّان، الأردن، الطبعة الأولى (٢٠٠٣م).
- **الأصوات اللغوية**: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية (٢٠٠٧م).
- **الأصوات اللغوية**: عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).
- **الأصول في النحو**: ابن السراج (ت: ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت.
- **البحث اللغوي عند العرب**: أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة الثامنة (٢٠٠٣م).
- **البديع في علم العربية**: ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ).
- **التطور النحوي للغة العربية**: برجشتراسر، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية (١٩٩٤م).
- **التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية**: آمنة صالح الزعبي، دار الكتاب الثقافي، الأردن، إربد (٢٠٠٥م).

- **التمهيد في علم التجويد**: ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م).
- **جهد المقل**: محمد بن أبي بكر المرعشي (ت: ١١٥٠هـ)، دار الحديث، القاهرة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
- **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني**: حسام النعيمي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية (١٩٨٠م).
- **دراسات في علم اللغة**: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- **دراسات في فقه اللغة**: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان (٢٠٠٩م).
- **دراسة السمع والكلام صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك**: سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
- **دراسة الصوت اللغوي**: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الرابعة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- **دروس في علم أصوات العربية**: جان كانتينو، ترجمة: صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية (١٩٦٦م).
- **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ)، دار عمار، عمان، الطبعة الرابعة (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، تحقيق: أحمد حسن فرحات.
- **سر صناعة الإعراب**: أبو الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى (١٩٨٥م).
- **شرح المفصل**: ابن يعيش (ت: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- **شرح الهداية**: أحمد بن عمار المهدوي (ت نحو: ٤٤٠هـ)، تحقيق: حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

- **شرح شافية ابن الحاجب**: الأستراباذي (ت: ٧١٥هـ)، تحقيق: عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
- **شرح طيبة النشر في القراءات العشر**: محب الدين النويري (ت: ٨٥٧هـ)، تحقيق: مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
- **شرح كتاب سيبويه**: أبو سعيد السيرافي (ت: ٣٦٨هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (٢٠٠٨م).
- **العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي**: هنري فليش، ترجمة: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، مصر.
- **علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة**: سمير شريف استيتية، دار وائل، الأردن، الطبعة الأولى (٢٠١٢م).
- **علم الأصوات النطقي دراسات وصفية تطبيقية**: هادي نهر، عالم الكتب الحديث، الأردن، إربد، الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).
- **علم الأصوات عند سيبويه وعندنا**: محاضرات للمستشرق شاده، صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية (١٩٣١م).
- **علم الأصوات**: برتل مالمبرج، تعريب: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة (١٩٨٥م).
- **علم الأصوات**: كمال بشر، دار غريب، القاهرة (٢٠٠٠م).
- **علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي**: محمود السعران، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت.
- **العين**: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- **غاية المريد في علم التجويد**: عطية قابل نصر، القاهرة، الطبعة السابعة.
- **فقه اللغات السامية**: بروكلمان، ترجمة: رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض (١٩٧٧م).
- **في صوتيات العربية**: محيي الدين رمضان، مكتبة الرسالة الحديثة، عمَّان.

- **القول السديد في علم التجويد**: على الله بن علي أبو الوفا، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثالثة (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
- **الكتاب**: سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- **لب اللباب في تحرير الأنساب**: جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار صادر، بيروت.
- **اللباب في علل البناء والإعراب**: أبو البقاء العكبري (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
- **لسان العرب**: ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- **اللغة**: فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة (١٩٥٠م).
- **المختصر في أصوات اللغة العربية، دراسة نظرية وتطبيقية**: محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة السابعة (٢٠١٢م).
- **المدخل إلى علم أصوات العربية**: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، الأردن، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
- **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- **مدخل في الصوتيات**: عبد الفتاح إبراهيم، دار الجنوب للنشر، تونس.
- **المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر**: عبد القادر مرعي الخليل، منشورات جامعة مؤتة، الأردن (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
- **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**: عبد العزيز الصيغ، دار الفكر، سورية، دمشق، الطبعة الثانية (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م).
- **معجم اللغة العربية المعاصرة**: أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- **معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية**: عبد العلي المسئول، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).

- **المفصل في صنعة الإعراب**: جار الله الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٣م).
- **مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية**: محمد يحي الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (٢٠٠٦م).
- **مقاييس اللغة**: أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- **المقتضب**: محمد بن يزيد المبرد (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
- **الممتع الكبير في التصريف**: ابن عصفور الإشبيلي (ت: ٦٦٩هـ)، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى (١٩٩٦م).
- **مناهج البحث في اللغة**: تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية (١٩٩٠م).
- **موت الألفاظ في العربية**: عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة التاسعة والعشرون، العدد السابع بعد المائة (١٤١٨هـ - ١٤١٩هـ).
- **الموضح في التجويد**: عبد الوهاب القرطبي (ت: ٤٦١هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية (١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م).
- **النشر في القراءات العشر**: ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتاب العلمية، تحقيق: علي محمد الضباع.
- **نظرات في علم الأصوات**: منير تيسير الشطناوي، الجامعة الهاشمية (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
- **نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد**: محمد مكي نصر الجريسي، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الرابعة (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).
- **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري**: عبد الفتاح المرصفي، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة الثانية.
- **الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم**: أحمد محمود عبد السميع الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	١٩
المقدمة	٢٠
المبحث الأول: صوت الضاد بين المتقدمين والمُحدَثين	٢٥
أولاً: إشكالية صوت الضاد	٢٥
ثانياً: مخرج الضاد وصفاته عند المتقدمين	٢٦
ثالثاً: الضاد في الدرس الصوتي الحديث	٢٨
رابعاً: صوت الضاد «رؤية جديدة»	٣٤
المبحث الثاني: صوت الطاء بين المتقدمين والمحدثين	٣٩
أولاً: مخرج صوت الطاء	٣٩
ثانياً: صفات صوت الطاء	٤١
ثالثاً: صوت الطاء «رؤية جديدة»	٤٥
المبحث الثالث: صوت القاف بين المتقدمين والمحدثين	٤٨
أولاً: تحديد مخرج القاف	٤٨
ثانياً: القاف بين الجهر والهمس	٥٠
ثالثاً: صوت القاف «رؤية جديدة»	٥٣
الخاتمة	٦٤
فهرس المصادر والمراجع	٦٦
فهرس الموضوعات	٧١

القولُ المبينُ في نفي الشّكّ عن سيّد المرسلين ﷺ

د. عوّاد بن مرزوق بن معوّض السّناني(١)

مُلخّصُ البَحْث

تناول البحث قول الحق عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤].

فهذه الآية الكريمة التي تناولها البحث موهمة - لمن لا علم عنده أو في قلبه مرض - باحتمال الشكّ من رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيما يأتيه من ربه، رغم أنه ممتنع أن يشكّ صفوة خلق الله بشيء مما جاءه عن الله.

ولقد اعتنى كثيرٌ من المفسرين بإيراد هذه الشبهة، وتفنيدها بالحجج والبراهين.

وقد حاولت أن استقصي أقوال المفسرين فيها، مع الترجيح بالدليل للأقوال التي تتماشى مع الفهم الصحيح لما دلّت عليه الآية الكريمة، مع إيراد الأقوال الضعيفة التي تدل على قلة الفهم لدى القائلين بها، أو أنّها دعوى من أهل الأهواء لتحميل النّص القرآني ما لا يحتمل؛ للنيل من عصمة المصطفى صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ولعلّ فيما أوردته من أقوال بأدلتها مما أفاض في بيانه أهل العلم ما يدفع الشبه ويبطل المزاعم، أملاً في فهم كلام الله وفق ما أراد الله تعالى، والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم المساعد بجامعة تبوك.

المقدّمة

الحمد لله الذي تعبد عباده بتدبر آيات القرآن الكريم، وجعلهم يتفاوتون في فهمه تبعاً لتفاوت الأفهام، أحمد ربي وأشكره وأثني عليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فمما لا شك فيه أن تدبّر كلام ربنا جَلَّ وَعَلَا مقصدٌ مهمٌ وغايةٌ نبيلة تعبد الله بها عباده، وهذا التدبّر لا يمكن إلا بفهم المعاني، وفهم المعاني يتطلب دفع ما يوهم الإشكال الذي يحول بين المرء وبين تدبّر آيات القرآن الكريم.

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية حينما قال: «قد يكون في القرآن آيات لا يعلم معناها كثير من العلماء فضلاً عن غيرهم، وليس ذلك في آية معينة، بل قد يُشكل على هذا ما يعرفه هذا، وذلك تارة يكون لغرابة اللفظ، وتارة لاشتباه المعنى بغيره، وتارة لشبهة في نفس الإنسان تمنعه من معرفة الحق، وتارة لعدم التدبر التام، وتارة لغير ذلك من الأسباب»(١).

ولعله من المناسب - هنا - أن أورد إشكالاً يطرق الذهن لبعض العلماء فضلاً عن غيرهم، وذلك في قول الله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤].

(١) مجموع الفتاوى (١٧/٤٠٠).

فهذه الآية الكريمة جاءت بعد آيات تحدثت عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقصّته مع بني إسرائيل، ومحاورته لفرعون وسحرته، وما انتهى إليه أمر فرعون من سوء العاقبة والمصير.

فالآية موهمة - لمن لا علم عنده أو في قلبه مرض - باحتمال الشكّ من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع العلم اليقيني أن وقوع الشكّ منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممتنعٌ غاية الامتناع.

قال الزجاج (ت: ٣١١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ هذه آية قد كثر سؤال الناس عنها وخوضهم فيها جدّاً. وفي السورة ما يدل على بيانها وكشف حقيقتها(١).

أما أهل الزيغ فحمّلوا الآية ما لا تحتمل؛ تدفعهم أحقادهم وظنونهم، ولكن الله قيض لهذا الدين من علمائه الربانيين من يدفع الشبه ويبطلها.

وقد حاولت - قدر الجهد - أن أستقصي أقوال أهل العلم من المفسرين مرجّحاً بالدليل ما كان صالحاً لفهم الآية فهماً سليماً ومستقيماً، فجاء هذا البحث وفق التالي:

- **المقدمة.**
- **التمهيد: تحرير مضمون الإشكال.**
- **المبحث الأول: الأقوال الصحيحة في تفسير الآية.**

المطلب الأول: إن هذا خطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمراد غيره من أهل الشّكّ على مذهب العرب في خطابهم الرجل بالشيء ويريدون به غيره.

المطلب الثاني: إنّ هذا الخطاب ليس للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل لمن كان شاكّاً في القرآن الكريم، وفي نبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المطلب الثالث: أن هذا خطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكن المراد به أن يصرّح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدم شكّه وانتفاء حاجته للسؤال.

المطلب الرابع: إنّ الشكّ بمعنى ضيق صدره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتكذيبهم له.

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١/٧٧٤، ٧٧٥).

المطلب الخامس: إنّ الخطاب في الآية ورد على سبيل الفرض والتقدير لا على سبيل الشك.

المطلب السادس: إنّ «إنْ» في الآية نافية، وليست شرطيّة.

- **المبحث الثاني: الأقوال الضعيفة في تفسير الآية.**

المطلب الأول: إنّ المراد بالآية الخطرات العارضة في النفس دون تحقيق.

المطلب الثاني: أنّ الخطاب لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن لم يشكّ، وعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنّه غير شاكّ، ولكنّ الكلام خرج مخرج التقرير والإفهام.

- **الخاتمة.**
- **الفهارس العامّة.**

التمهيد

تحرير مضمون الإشكال

الآية الكريمة ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ تثير تساؤلاً لدى من أساء فهمها بقصد أو بدون قصد، وهو: إنّها تنسب ورود الشكّ إلى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فيما جاءه من الوحي عن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وحاشاه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من ذلك، ويرمون من وراء هذه التُّهمة إلى نفي عصمته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، بدعوى شكّه فيما أنزل إليه من ربه؛ لأنه إن كان في شكّ فيما أنزل إليه فغيره أولى بالشكّ فيه منه.

ثمّ يرد تساؤلٌ آخر وهو: كيف يزول الشكّ بإخبار أهل الكتاب، وأكثرهم كفار يجحدون نبوته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وما عندهم من كتب دخلها التحريف والتبديل.

ولقد كانت عناية كثير من المفسرين بدفع هذا الإشكال والإجابة عنه في تفاسيرهم واضحة جلية؛ بياناً للحق ودفعاً لشبه المبطلين والمشككين، فأوضحوا ما دلّت عليه هذه الآية من الحق وما اشتملت عليه من البراهين.

فتناوله أولاً ابن قتيبة (ت: ٢٧٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «تأويل مشكل القرآن»، حيث قال: «وقالوا في قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ هل كان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يشكّ فيما يأتيه به جبريل؟ وكيف يدعو الشاكّين من هو على مثل سبيلهم؟ وكيف يرتاب فيما يأتيه به الروح الأمين؟ ويأتيه الثَّلَج واليقين بخبر أهل الكتاب عنه أنه الحق، وهم يكذبون ويحرفون ويقولون على الله ما لا يعلمون؟»[1].

ثمّ تتابع من بعده العلماء في دفع الفرية والردّ على هذه الشبهة التي أورد اليهود والنصارى على المسلمين فيها إيراداً، وقالوا: كان في شكّ فأُمر أن يسألنا[2].

(١) تأويل مشكل القرآن (ص٢٧).
(٢) نقلاً عن بدائع التفسير (٤١/٢).

وسأعرض في هذا البحث إن شاء الله تعالى أقوال علماء التفسير في هذه الآية، والمراد بالشكّ المذكور فيها، والجواب عن التساؤلات المحتملة، مبتدئاً بالأقوال الصحيحة التي يحتملها لفظ الآية، ثمّ الأقوال البعيدة، وقد أوردتها لوجود من قال بها من العلماء، وإن كانت أقوالهم مرجوحة بما يشبه الإجماع.

أسأل الله تعالى الإعانة والسداد والهدى والرشاد.

المبحث الأول
الأقوال الصحيحة في تفسير الآية

المطلب الأول: إن هذا خطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمراد غيره من أهل الشّكّ على مذهب العرب في خطابهم الرجل بالشيء ويريدون به غيره:

وهذا أسلوب من أساليب العرب، يخاطبون الرجل ويريدون غيره(١).

كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١]، الخطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمراد المؤمنون، يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢]، ولم يقل: تعمل.

فابن جرير (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ تناول هذا القول باستفاضة، وخلص إلى القول: بأن ذلك من كلامهم صحيح مستفيض فيهم، ثمّ يأتي بشواهد من القرآن الكريم تدعم هذا الأسلوب المعهود في كلام العرب، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

وقد علم جَلَّ جَلَالُهُ أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يقل ذلك، إلى أن قال: وأن أسلوب الآية وارد حسب لسان العرب ومعهودهم(٢).

وقال الزجاج: والدليل على ذلك قوله في آخر السورة: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤]، فأعلم الله أن نبيه ليس في شكّ، وأمره أن يتلو عليهم ذلك(٣).

---

(١) وهذا قول الفراء في معاني القرآن (٤٧٩/١)، والسمرقندي في بحر العلوم (١١١/٢)، وذكره الواحدي في الوسيط (٥٥٩/٢)، وزاد المسير (٦٣/٤)، والبغوي في معالم التنزيل (١٥٠/٤)، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٤٢/٣، ١٤٣)، وأبو حيان في البحر المحيط (١٩٠/٥)، وذكره الطبري في جامع البيان (١٦٩/١١) وجوّزه.

(٢) جامع البيان (١٦٨/١١).

(٣) معاني الزجاج (٣٢/٣، ٣٣).

ويروى عن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّه قال: «لم يشكّ ولم يسأل»(١).

وقال البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا كله خطاب مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمراد منه غيره»(٢).

وقال ابن عطية (ت: ٥٤٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والصواب في معنى الآية أنها مخاطبة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمراد بها سواه من كل من يمكن أن يشكّ أو يعارض(٣).

وممن قال بهذا القول الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بل وأكّد رجحانه بقوله: «فثبت أن الحق هو أن الخطاب وإن كان في الظاهر مع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا أن المراد هو الأمّة، ومثل هذا معتاد»(٤).

وقد خُتمت الآية الكريمة بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ وهو نظير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤].

ففي هذه الآيات ونظائرها ما يثبت نفي الشكّ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففي آية سورة آل عمران تنفي شكّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمر عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ لأن الله تعالى قال في الآية السابقة لهذه الآية: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وذلك أن وفد نجران قالوا: يا رسول الله، ما لك تشتم صاحبنا؟ قال: «وما أقول؟»، قالوا: تقول: إنه عبد، قال: «أجل، هو عبد الله ورسوله، وكلمة الله ألقاها إلى مريم العذراء البتول»، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب؟ فإن كنت صادقاً، فأرنا مثله، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾ في كونه

(١) أخرجه الطبري (١٦٨/١١)، وابن أبي حاتم (١٩٨٦/٦).
(٢) معالم التنزيل (ص٦٠٣).
(٣) المحرر الوجيز (٢١٧/٧).
(٤) التفسير الكبير (١٢٩/١٧).

خلقاً من غير أب ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ في كونه خلقاً من غير أب ولا أم، فكذلك عيسى خلق من غير أب ردّاً على يهود وفد نجران(١).

والخطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمراد أمته؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن شاكّاً في أمر عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ(٢).

وأما آية سورة الأنعام فليس المراد حقيقة النهي له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الامتراء في ذلك، بل تهييجه وتحريضه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]. ويحتمل أن يكون الخطاب في الحقيقة للأمّة على طريق التعريض وإن كان له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صورة(٣).

وهذا المذهب - وهو أن الخطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمراد غيره من أهل الشكّ - هو القول الثابت عن جميع من وقفت على أقوالهم من المفسرين في الآية التي تلي هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [يونس: ٩٥].

المطلب الثاني: إنّ هذا الخطاب ليس للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل لمن كان شاكّاً في القرآن الكريم، وفي نبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أي إن كنت أيها السامع في شكّ مما أنزلنا على لسان نبينا إليك فاسأل، فـ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ على هذا نظير قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، وفي جعل القراءة صلة الموصول إشارة إلى أنّ الجواب لا يتوقف على أكثر منها.

وفي الآية تنبيه على أنّ من خالجته شبهة في الدين ينبغي له مراجعة من يزيلها من أهل العلم، بل المسارعة إلى ذلك حسبما تدل عليه الفاء الجزائية بناءً على أنّها تفيد التعقيب(٤).

---

(١) رواه الطبري في جامع البيان (٣/٢٩٥، ٢٩٦)، وانظره في الإتقان للسيوطي (٦/٢٣٣٧).
(٢) انظر: معاني القرآن، للزجاج (١/٤٢٢، ٤٢٣)، ومعاني القرآن، للنحاس (١/٤١٣).
(٣) انظر: روح المعاني، للألوسي (٨/٣٥٣، ٣٥٤).
(٤) روح المعاني (١١/٢٥٢، ٢٥٣).

فابن جرير يقول في هذا القول: ولو قال قائل: إن هذه الآية خوطب بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمراد بها بعض من لم يكن صحّت بصيرته بنبوته ممن كان قد أظهر الإيمان بلسانه، تنبيهاً له على موضع تعرف حقيقة أمره الذي يزيل اللبس عن قلبه، كما قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١]، كان قولاً غير مدفوعة صحته[١].

وقد استحسن هذا القول ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ، لكنّه رجّح القول الأول، حيث قال: كان الناس في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصنافاً، فمنهم كافر به مكذب، وآخر مؤمن به مصدق، وآخر شاكّ في الأمر لا يدري كيف هو، فهو يقدّم رجلاً ويؤخر، فخاطب الله تعالى هذا الصنف من الناس، وقال: فإن كنت أيها الإنسان في شكّ مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاسأل الأكابر من علماء أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأشباههم، فيشهدون على صدقه، ولم يرد المعاندين منهم[٢].

ومال إلى هذا القول أبو جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ)، قال المعنى: يا محمد قل للشاكّ: إن كنت في شكّ ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾؛ أي فاسأل من آمن من أهل الكتاب فيخبرك بصفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كتابه[٣].

وممن ذكر هذا القول القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، ونسبه إلى الثعلبي والمبرد، وقال: «لأن عبدة الأوثان كانوا يقرّون لليهود أنهم أعلم منهم من أجل أنّهم أصحاب كتاب فدعاهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن يسألوا من يقرّون بأنهم أعلم منهم: هل يبعث الله برسول من بعد موسى»[٤].

---

(١) جامع البيان (١٩٤/١١).
(٢) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ص٢٧٢).
(٣) معاني القرآن، للنحاس (٤٩٢/١).
(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣٨٢/٨).

وفي هذا التوجيه ما لا يخفى من إقامة الحجة على منكري نبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما جاء به من الوحي، فمن شكّ فليسأل أهل الكتاب، فإنّهم مقرّون بنبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه موجود عندهم في كتبهم.

المطلب الثالث: أن هذا خطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكن المراد به أن يصرّح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدم شكّه وانتفاء حاجته للسؤال:

فالله تعالى علم أنّ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يشكّ، ولكنه أراد أن يأخذ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: (لا شكّ ولا امتراء)، بل إقامة للحجة على الشّاكّين من قومه، وذلك مثل قوله تعالى لعيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿**ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ**﴾، وهو يعلم أنه لم يقله؛ ليأخذه بقوله: ﴿**سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ**﴾ [المائدة: ١١٦]، إقامة للحجة على النصارى(١).

فالمقصود من هذا الخطاب أن يصرّح المخاطبون بالبراءة من ذلك فيكون حجة على من سواهم.

قال الطبري: «وقد علم جَلَّ جَلَالُهُ أن عيسى لم يقل ذلك، وهذا من ذلك، لم يكن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاكّاً في حقيقة خبر الله وصحته، والله تعالى بذلك من أمره كان عالماً، ولكنّه جَلَّ جَلَالُهُ خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضاً، إذ كان القرآن بلسانهم نزل»(٢).

وقال الرازي (ت: ٦٠٦هـ): «إنه تعالى علم أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يشكّ في ذلك، إلا أن المقصود أنه متى سمع هذا الكلام فإنّه يصرّح ويقول: يا ربّ لا أشكّ ولا أطلب الحجة من قول أهل الكتاب، بل يكفيني ما أنزلته عليّ من الدلائل الظاهرة»(٣).

(١) معاني القرآن، للفراء (٤٧٩/١).
(٢) جامع البيان (١٦٩/١١).
(٣) التفسير الكبير، للرازي (١٢٩/١٧).

ولذا فقد أورد كثير من المفسرين الأثر المرسل عن قتادة (ت: ١١٧) رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «ذكر لنا أنّ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا أشكّ ولا أسأل». فقد رواه ابن جرير بإسنادين عن قتادة.

ورواه أيضاً بإسناده عن سعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ) من قوله: «ما شكّ وما سأل».

ورواه بإسناده عن الحسن (ت: ١١٠هـ) من قوله: «لم يشكّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يسأل»[١].

فهذا الأثر الذي رواه قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وإن كان مرسلاً - إلا أنّه مع الآثار التي رويت عن غيره، بالإضافة إلى تلقي أئمة التفسير له بالقبول يدلّ على صحّته، كما صرّح بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمته[٢].

المطلب الرابع: إنّ الشكّ بمعنى ضيق صدره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتكذيبهم له:

فالمراد بالشكّ هنا الضيق والشدّة بما يعانيه من أذى قومه؛ أي: إن ضقت ذرعاً بما تلقى من أذى قومك ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ كيف صبر الأنبياء على أذى قومهم، فاصبر كذلك[٣].

قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقيل: الشك ضيق الصدر؛ أي إن ضاق صدرك بكفر هؤلاء فاصبر، واسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك فيخبرونك كيف صبر الأنبياء من قبلك على أذى قومهم، وكيف كان عاقبة أمرهم من النصر والتمكين»[٤].

وقال أبو حيان: (ت: ٧٤٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقيل: كنى - هنا - بالشكّ عن الضيق؛ أي: فإن كنت في ضيق من اختلافهم فيما أنزل إليك وتعنّتهم عليك[٥].

---

(١) جامع البيان (١٦٨/١١).
(٢) شرح مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية (ص١٣٢، ١٧٠).
(٣) البحر المحيط (١٩١/٥) بتصرف.
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٣٨٢/٨).
(٥) البحر المحيط (١٩١/٥).

وأورد هذا القول الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لكنّه ضعّفه حيث قال: «... ومثله ما قيل: إن الشكّ بمعنى الضيق والشدّة بما يعانيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تعنّت قومه وأذاهم؛ أي: إن ضقت ذرعاً بما تلقى من أذى قومك وتعنّتهم، فاسأل أهل الكتاب كيف صبر الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ على أذى قومهم وتعنّتهم فاصبر كذلك، بل هو أبعد جدّاً من ذلك[١].

وهذا المعنى جاء قريب منه في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ * وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧ - ٩٩].

المطلب الخامس: إنّ الخطاب في الآية ورد على سبيل الفرض والتقدير لا على سبيل الشّكّ:

فالآية لا تؤكد وجود شكّ إطلاقاً، بل ولا تقرر حتى إمكانه، لكنّها تفرضه فرضاً، وتبين وجه إبطاله بسؤال من تقرر عندهم نبوته، والبشارة بمبعثه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال بهذا القول الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال في تفسير الآية: أي فما كنت في شك فاسأل، يعني لا نأمرك بالسؤال، لأنك شاكّ، ولكن لتزداد يقيناً، كما ازداد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بمعاينة إحياء الموتى[٢]... إلى أن قال: وهذا بمعنى الفرض والتقدير، كأنه قيل: فإن وقع لك شكّ مثلاً وخيّل لك الشيطان خيالاً منه تقديراً، ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾، كعبد الله بن سلام وأصحابه، فإنّهم من الرسوخ في العلم والإحاطة بصحة رسالتك وتحقيق معرفتك، بالمنزلة التي تصلح لمن تداخله شكّ وامتراء أن يراجعهم ويستوضح ما التبس عليه من جهتهم[٣].

(١) روح المعاني، للآلوسي (٢٥١/١١).
(٢) الكشاف، للزمخشري (٣٥١/٢).
(٣) الكشاف، للزمخشري (٣٥١/٢).

وبهذا القول قال ابن القيم (ت: ٧٥٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «وليس في الآية ما يدلّ على وقوع شكّ ولا السؤال أصلاً، فإنّ الشرط لا يدل على وقوع المشروط، بل ولا على إمكانه، كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢]، وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، ونظائره.

فرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يشك ولم يسأل»[١].

ورجّح هذا القول البيضاوي (ت: ٧٩١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حيث قال: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القصص على سبيل الفرض والتقدير، ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ فإنّه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما ألقينا إليك، والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدّمة وأن القرآن مصدق لما فيها، أو وصف أهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إليه، أو تهييج الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزيادة تثبيته لا إمكان وقوع الشكّ له، ولذلك قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا أشكّ ولا أسأل»[٢]

وهذا القول فيه من باب التنزّل في محاجّة الخصم، وإقامة الحجة على المعاندين الأمر الواضح، كما أن فيه تكثير الدلائل وتقويتها مما يزيد في قوة اليقين وطمأنينة النفس وسكون الصّدر، ولهذا فقد أكثر الله في كتابه من تقرير دلائل التوحيد والنبوة والبعث وسائر مسائل الإيمان.

---

(١) أحكام أهل الذمة لابن القيم (٢٦/١)، ونقل عنه ذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٨٢/٨).
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٤٤٦/١).

المطلب السادس: إنّ (إنْ) في الآية نافية، وليست شرطيّة:

والمعنى حينئذٍ كما قال الزجاج (ت: ٣١١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره: «فما كنت في شكّ مما أنزلنا إليك، فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك سؤال ازدياد؛ أي لسنا نأمرك لأنّك شاكّ، ولكن لتزداد يقيناً، كما ازداد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بمعاينة إحياء الموتى ﴿**قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فالزيادة في التثبت ليست مما يبطل صحّة القصد»[١].

(١) معاني الزجاج (٧٧٥/١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦٣/٤)، وأبو حيان في البحر المحيط (١٩٠/٥)، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز منسوباً للحسن (٢١٧/٧).

المبحث الثاني
الأقوال الضعيفة في توجيه الآية

المطلب الأول: إنّ المراد بالآية الخطرات العارضة في النّفس دون تحقيق:

والمراد به: أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع كمال إيمانه ويقينه، إلا أنّه بشر قد يعرض له خاطر يطرده بالأدلة واليقين، وأنّ ذلك العارض لا يقدح في مقامه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ(١).

قال الرازي: «فهو تعالى أنزل هذا النوع من التقريرات حتى أن بسببها تزول عن خاطره تلك الوساوس، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢](٢).

روى ابن أبي حاتم بإسناده عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يجيب سائلاً يقول: «إنّي أجد في نفسي شيئاً لا أستطيع التكلم به، قال: لعلّه شكّ أو شيء من شكّ؟ قلت: نعم، قال: ما نجا من هذا أحد حتى نزل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾، ثمّ قال: إذا وجدت من ذلك فقل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]»(٣).

قال ابن عطية: «وذكر الزّهراوي: أنّ هذه المقالة أُنكرت أن يقولها ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وبذلك أقول؛ لأنّ الخواطر لا ينجو منها أحد، وهي خلاف الشكّ الذي يحال فيه على الاستشفاء بالسؤال»(٤).

---

(١) معاني القرآن، للزجاج (٤٩٢/١).
(٢) التفسير الكبير (١٢٩/١٧).
(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (ص٩٤).
(٤) المحرر الوجيز (٢١٩/٧).

المطلب الثاني: أنّ الخطاب لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وإن لم يشكّ، وعلم** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **أنّه غير شاكّ، ولكنّ الكلام خرج مخرج التقرير والإفهام:**

كما يقول القائل لعبده: إن كنت عبدي فأطعني، ولأبيه: إن كنت والدي فتعطّف عليّ، ولولده: إن كنت ابني فبرّني، يريد بذلك المبالغة، وربما خرجوا في المبالغة إلى ما يستحيل، كقولهم: بكت السماء لموت فلان؛ أي: لو كانت تبكي السماء على ميت لبكت عليه، وكذلك هاهنا يكون المعنى: لو كنت ممن يشكّ فشككت ﴿**فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ**﴾ ويشير إلى هذا قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا أشكّ ولا أسأل»(١).

قال أبو حيان: إنّ «إنْ» الشرطيّة تقتضي تعليق شيء على شيء، ولا تستلزم تحتم وقوعه، ولا إمكانه، بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلاً، كقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ**﴾ [الزخرف: ٨١]، ومستحيل أن يكون له ولد، فكذلك هذا مستحيل أن يكون في شكّ، وفي المستحيل عادة، كقوله تعالى: ﴿**وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ**﴾ [الأنعام: ٣٥]، أي: فافعل، لكن وقوع إن للتعليق على المستحيل قليل، وهذه الآية من ذلك، ولما خفي هذا الوجه على أكثر الناس اختلفوا في تخريج هذه الآية(٢).

---

(١) معاني الزجاج (٧٧٥/١)، وجامع البيان (١٩٤/١١)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٨٧/١).

(٢) البحر المحيط (١٩٠/٥).

الخاتمة

وبعد هذا التطواف في مذاهب علماء التفسير في تفسيرهم للآية الكريمة: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾، يمكن الوصول إلى:

أولاً: يظهر لكل ذي لبّ وبصيرة استحالة أن يخالف الأنبياء - بما فيهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شيئاً مما جاءوا به من عند الله تعالى أو أن يخالجهم الشّكّ فيه، فهم أعرف الناس بالله عَزَّوَجَلَّ، وقد أجمعت الأمّة على ضرورة عصمة الأنبياء من الكفر والشكّ والريب، وذلك لأن العصمة صفة أساسية لهم، فليس من المعقول أن يدعو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس إلى التوحيد والإيمان، ويكفر بما جاء به، مع اليقين أن هؤلاء الرسل صفوة خلق الله اختارهم لهداية الخلق ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [الحج: ٧٥].

فالكمال البشري لا ينسب لأحد كما هو الحال بالنسبة لأنبياء الله تعالى، وهو عامل رئيس وسبب قوي من أسباب تبليغ رسالات الله تعالى، وإذا كان الكمال العقلي صفة ملازمة لرسل الله عَزَّوَجَلَّ، فإمامهم في ذلك نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا شكّ.

ثانياً: إنّه ليس في القرآن الكريم ما يدل على شكّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أنزل إليه من ربه، وهو الذي تحمّل عبء هذه الدعوة مدّة حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولقي في سبيلها صنوف الأذى، والشواهد على ذلك كثيرة جدّاً، بل ولا يمكن حصرها، فجزاه الله خير ما جزى نبيّاً عن أمته.

ثالثاً: إن ما استشهد به أهل الأهواء والمبطلين على خلاف ذلك فمن باب الفهم المغلوط، وتحميل النص القرآني ما لا يحتمل، فالأنبياء معصومون عن كل نقيصة، وهذا قول عامة المفسرين، بل إنّ في السورة نفسها ما دلّ على بعد هذا التأويل - أعني نسبة الشكّ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حيث قال الله تعالى مؤكداً نفي الشك عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤]، ففيها تقرير لحاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنّه ما شكّ فيما أنزل إليه من ربه، ولم يسأل أحداً من أهل الكتاب ولا غيرهم؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتقى الناس وأعرفهم بالله تعالى.

فلا يتصور بعد هذا كله أن يوصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالشكّ والارتياب وهو المُزكّى من رب العباد، ولعل فيما ذكرت من أقوال بأدلتها مما أفاض في بيانه أهل العلم ما يدمغ الشبه بالحجج ويهدي للتي هي أقوم.

والله تعالى أسأله الإخلاص في القول والعمل، إنّه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**: لأبي سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ).
- **البحر المحيط**: محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية (١٤٢٨هـ).
- **بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم الجوزية**: جمع: يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ).
- **تأويل مشكل القرآن**: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ).
- **التسهيل لعلوم التنزيل**: لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، صححه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).
- **تفسير القرآن العظيم**: لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، جزء مطبوع تفسير سورة يونس، من تفسير القرآن العظيم، تحقيق: د. عبادة بن أيوب الكبيسي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ).
- **التفسير الكبير**: لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي (ت: ٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ).
- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: محمود شاكر الحرستاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **الجامع لأحكام القرآن**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة (١٤١٨هـ).
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق. محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- **زاد المسير في علم التفسير**: لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي القرشي البغدادي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: د. محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ).
- **شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية**: د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الثانية (١٤٢٨هـ).
- **الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد**: للحافظ المنجب الهمداني (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى (١٤٢٧هـ).
- **الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل**: للزمخشري، صححه: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ).
- **مجموع فتاوى ابن تيمية**: جمع عبد الرحمن بن قاسم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (١٤١٦هـ).
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم.
- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**: لأبي البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت: ٧١٠هـ)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ).
- **معالم التنزيل**: لأبي محمد البغوي، تحقيق: محمد النمر وآخرون، دار طيبة، السعودية، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ).
- **معاني القرآن وإعرابه**: لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ).
- **معاني القرآن**: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق: د. يحي مراد، دار الحديث، القاهرة (١٤٢٥هـ).

- **معاني القرآن**: لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء، تقديم: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ).
- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**: لأبي الحسن الواحدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الكتب العلمية، توزيع دار الباز، السعودية، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	٧٣
المقدمة	٧٤
التمهيد: تحرير مضمون الإشكال	٧٧
المبحث الأول: الأقوال الصحيحة في تفسير الآية	٧٩
المطلب الأول: إن هذا خطاب للنبي ﷺ والمراد غيره من أهل الشّكّ على مذهب العرب في خطابهم الرجل بالشيء ويريدون به غيره	٧٩
المطلب الثاني: إنّ هذا الخطاب ليس للنبي ﷺ، بل لمن كان شاكّاً في القرآن الكريم، وفي نبوة محمد ﷺ	٨١
المطلب الثالث: أن هذا خطاب للنبي ﷺ؛ لكن المراد به أن يصرّح النبي ﷺ بعدم شكّه وانتفاء حاجته للسؤال	٨٣
المطلب الرابع: إنّ الشكّ بمعنى ضيق صدره ﷺ بتكذيبهم له	٨٤
المطلب الخامس: إنّ الخطاب في الآية ورد على سبيل الفرض والتقدير لا على سبيل الشّكّ	٨٥
المطلب السادس: إنّ (إنْ) في الآية نافية، وليست شرطيّة	٨٧
المبحث الثاني: الأقوال الضعيفة في توجيه الآية	٨٨
المطلب الأول: إنّ المراد بالآية الخطرات العارضة في النّفس دون تحقيق	٨٨
المطلب الثاني: أنّ الخطاب لرسول الله ﷺ وإن لم يشكّ، وعلم ﷺ أنّه غير شاكّ، ولكنّ الكلام خرج مخرج التقرير والإفهام	٨٩
الخاتمة	٩٠
فهرس المصادر والمراجع	٩٢

هَمْزُ مَا لَيْسَ بِمَهْمُوزٍ فِي القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ
مَوَاضِعُهُ وَعِلَلُهُ

د. علي حمد عبد العزيز الشيخ حمد[1]

مُلخّصُ البَحْث

تشتمل العربية الفصحى ولهجاتها المتفرعة عنها على مجموعة من الظواهر اللغوية، تلوح للدارسين والمهتمين بالدرس اللغوي بشواهدها شعراً ونثراً، وليس بعيداً أنْ نجد آثار وتطبيقات تلك الظواهر اللغوية واللهجية الفرعية في لغة القراءات القرآنية المتواترة منها والشاذة، وظاهرة «همز ما ليس بمهموز» واحدة من تلك الظواهر اللغوية التي وجدت لها محلًّا على ألسنة بعض القبائل العربية، وعللها المتقدمون من علماء العربية بعلل مختلفة، وقد وُجِدت مجموعة من الشواهد لهذه الظاهرة اللغوية الصوتية في القراءات القرآنية، وحظيت باهتمام المعنيين بالاحتجاج للقراءات تعليلاً وتفسيراً، وعلى ذلك جاء البحث كاشفاً عن مواضع ورود هذه الظاهرة في القراءات القرآنية مع بيان عللها، بعد تقرير الجانب النظري لهذه الظاهرة والتعريف بها.

كلمات مفتاحية: همز - ليس بمهموز - القراءات - القرآنية.

(١) كلية الإمام الأعظم الجامعة، قسم أصول الدين، العراق، بغداد.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد: فإن الدرس اللغوي المرتبط بلغة القرآن الكريم ما يزال ثريّاً رغم ضخامة وكثرة الجهود التي تنضوي تحت خيمته، وهو باقٍ كذلك يحتاج مزيداً من الاستثمار بالدراسة والبحث، للكشف عن مسائل جديدة وزوايا لم تقف على أعماقها أقلام الباحثين بعد، ومن هذا الوجه كان الدرس اللغوي القرآني مغرياً للباحثين على مدار السنين، بأن يتتبعوا - جادين - مسائله، ويبذلوا أوقاتهم وجهودهم، ويُسَخِّروا عقولهم ومعارفهم لخدمته واستخلاص درره.

مشكلة البحث:

تتشكل الظواهر اللغوية على ألسنة الناطقين باللغة تحت تأثيرات كثيرة، اللغوية منها وغير اللغوية، ومن هذه الظواهر «همز ما ليس بمهموز» من الألفاظ، وهي ظاهرة لغوية أقرب ما تكون إلى مباحث الدرس اللغوي الصوتي، وقد وردت هذه الظاهرة مفرقةً في دواوين اللغة والتفسير بشواهدها شعراً ونثراً وقراءات قرآنية متواترة وشاذة، مما احتيج إلى ضبط مفهوم هذه الظاهرة أولاً، ثم الشروع في جمع شتاتها ثانياً، ثم رصد مواضع ورودها في القراءات القرآنية، مع بيان عللها وأسبابها.

حدود البحث:

رويت شواهد ظاهرة «همز ما ليس بمهموز» موثقةً في اللهجات العربية القديمة، وكذا جاء أثرها في القراءات القرآنية، وقد تشكلت هذه الظاهرة في العربية على أربعة وجوه: همز زائد مُقحم، وهمز الألف، وهمز الواو، وهمز الياء. وسأقتصر في هذا البحث على دراسة المواضع التي جاءت بالوجهين الأول والثاني، وذلك حين تدخل الهمزة طارئة مُقحَمة على اللفظ من غير حصول إبدال، وكذا الوجه الذي هُمز فيه الألف - الصائت الطويل - لتجنب التطويل والإسهاب الذي يجعل من البحث المختصر دراسةً مستفيضة، ولتضييق دائرة الرصد والتتبع والاستقراء لشواهد هذه الظاهرة اللغوية الصوتية.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق ثلاثة مقاصد جوهرية:

الأول: تقرير مفهوم ظاهرة «همز ما ليس بمهموز»، وبيان حدودها، وذكر القبائل الناطقة بها، والوقوف على كلام المتقدمين من علماء العربية حولها.

الثاني: رصد مجموعة المواضع التي همزت فيه بعض الألفاظ القرآنية المنحصرة في حدود البحث، وهي مندرجة تحت هذه الظاهرة المشار إليها.

الثالث: تحرير العلل والأسباب التي أدت إلى وجود هذه الظاهرة في القراءات القرآنية وفي العربية عموماً، بجمع أقوال المتقدمين من علماء العربية والتفسير حول كلِّ موضع.

الدراسات السابقة:

بعد جهد من الاستقصاء والتنقيب عن دراسات متعلقة بموضوع البحث الذي عزمت على الكتابة فيه، لم أجد دراسة شاملة خاصة بظاهرة «همز ما ليس بمهموز»، تكشف عن مفهوم الظاهرة، وتجمع شتات الحديث عنها عند المتقدمين من علماء العربية، وترصد مواضعها في القراءات القرآنية، وتُبَيِّن وتُوَضِّح عللها وأسباب وجودها، إلا أربع دراسات علمية تتضمن إحصاءات لمواضع ورود ظاهرة همز ما ليس بمهموز في القراءات، أو إشارات موجزة تتعلق بتعليل هذه الظاهرة فيما يُذكر من شواهد، وهذه الأربع:

أولاً: دراسة الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة في كتابه «دراسات لأسلوب القرآن»، وذلك بعد مباحث «لمحات عن تخفيف الهمزة» أورد المؤلف عنواناً فرعيّاً سماه «همز الألف وغيرها»، سرد فيه عدداً من القراءات القرآنية التي تضمنت ظاهرة همز ما ليس بمهموز[1].

(١) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة (٥١٠/٧).

ثانياً: في كتاب «القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث»، للدكتور عبد الصبور شاهين، فصل بعنوان «القراءات المهموزة»[1]، ذكر فيه المؤلف مجموعة من الشواهد التي تندرج تحت مفهوم ظاهرة همز ما ليس بمهموز، موزعة على عناوين فرعية، ثم تبع ذلك بإشارات سريعة إلى بعض أقوال اللغويين حولها.

ثالثاً: كتاب «الهمزة في العربية دراسة تاريخية مقارنة في الصوت والصرف والدلالة والقراءات القرآنية» من تأليف الدكتور درويش محمود جويدي. وقد تناول فيه المؤلف - مما يتعلق ببحثنا - قضية إبدال الهمز من بعض الحروف العربية، ومنها الألف والواو والياء، وذلك في الفصل الثاني من الباب الثاني من الكتاب، وفي الباب الخامس عرض المؤلف قضية «الهمزة في القراءات القرآنية»، مشيراً إلى منهج بعض القُرَّاء في الهمز.

رابعاً: بحث يحمل عنوان «الهمز بين القراء والنحاة»، للدكتور أكرم علي حمدان، وقد نشر هذا البحث في مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد الثامن، السنة الرابعة، (ص١٦٩ - ٢٠٦). وهو منشور أيضاً في مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الشرعية، المجلد الثالث عشر، العدد الثاني (ص٢٣ - ٥١) (٢٠٠٥م).

وقد تناول البحث مجموعة من القضايا التي تتعلق بالهمزة، كـ «وصف الهمزة، وحالاتها بين التحقيق والتخفيف والتسهيل والحذف والإبدال، واجتماع الهمزتين، وهمز كلمة النبيء» ليس منها ظاهرة «همز ما ليس بمهموز»، وإن كان الباحث قد أشار إلى بعض شواهدها إشارة عابرة، وبذلك نختلف في هذا البحث عن كل ما سبق ذكره، من حيث إنَّ مقصود البحث هنا هو التركيز على تحرير هذه الظاهرة، وضبط مفهومها، وجمع ما قيل حولها لغويّاً، ثم رصد شواهدها في القراءات القرآنية المتواتر منها والشاذ والتعليل لذلك.

(١) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين (١١٥، ١١٦).

خطة البحث:

بُني البحث الموسوم «همز ما ليس بمهموز في القراءات القرآنية، مواضعه وعلله» على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، ثم خاتمة تُلخص أهم نتائج البحث، أما التمهيد فقد خُصص لدراسة صوت الهمزة، والتنوع النطقي لها في العربية والساميات، وأما المبحث الأول فقد عُقد للتعريف بظاهرة «همز ما ليس بمهموز» في العربية، وأخيراً جاء المبحث الثاني متضمناً المواضع القرآنية التي جاءت فيها هذه الظاهرة مع تعليلها من كتب المتقدمين وبيان آرائهم فيها. والله تعالى أسأل التوفيق والسداد في البدء وفي الختام، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

وصف الهمزة صوتيّاً:

الهمزة صوت حلقي مجهور شديد وفق وصف المتقدمين من علماء العربية والتجويد[١]، وأضافه البعض إلى مجموعة الأصوات المقلقلة[٢] بسبب جهره وشدته[٣].

وصوت الهمزة في عُرف الأصواتيين المُحدَثين حنجري شديد، مخرجه المزمار نفسه، إذ عند النطق بالهمزة تنطبق فتحة المزمار انطباقاً تامّاً، فلا يُسمحُ بمرور الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة، فيُسمع صوتٌ انفجاريٌّ هو ما نُعبِّر عنه بالهمزة[٤].

أما من حيث الهمس والجهر، فقد وصف بعض المُحْدَثين الهمزة بأنها صوت لا مجهور ولا مهموس[٥]، وذهب بعضهم إلى أنها صوت مهموس[٦].

وقد علل الدكتور غانم قدوري للقائلين بجهر الهمزة، بأن اختبار صوت الهمزة بنطقها مسبوقة بهمزة وصل يظهر في هذه العملية سلسلة صوتية تبدأ بفتح الوترين ثم تذبذبهما لإنتاج صوت الحركة، ثم يعقبه تضام الوترين مرة أخرى، ثم انفراجهما بهدوء، فلوحظ طغيان ذبذبة الوترين الصوتيين على الأحداث الصوتية في هذا الاختبار، وهذا ما دعا بعضهم للقول بصفة الجهر للهمزة[٧].

---

(١) ينظر: الكتاب، سيبويه (٤/٤٣٣، ٤٣٤)، وسر صناعة الإعراب، ابن جني (١/٨٣)، والرعاية، مكي القيسي (١٤٥)، والموضح في التجويد، عبد الوهاب القرطبي (٨٦، ٩٧، ٩٩).

(٢) والقلقلة: «إضافة صويت إلى أصوات (قطب جد) أثناء الوقوف عليها في حالة السكون، ويظهر هذا الصويت على شكل انفجار من الفم». ينظر: المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء، عبد القادر مرعي (١٢٢).

(٣) ينظر: النشر، ابن الجزري (٣/٥٣٩).

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٨٧)، وأصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب (٢١٧).

(٥) كذا وصفها إبراهيم أنيس والسعران وكمال بشر. ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٨٧)، وعلم اللغة، محمود السعران (١٥٧)، وعلم الأصوات، كمال بشر (١٧٥).

(٦) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان (٩٧)، وأصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب (٢١٧)، ودروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو (١٢٣).

(٧) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري (٢٠٧).

التنوُّع النطقي للهمزة:

تتعرض الهمزة في العربية الفصحى ولهجاتها المتفرعة عنها قديماً وحديثاً، وكذا في القراءات القرآنية المتواترة منها والشاذة إلى تَنَوُّعٍ نطقيٍّ كبير؛ لذلك تجد من العناية البحثية اللغوية ما يفوق غيرها من أصوات العربية؛ نظراً لتنوعها النطقي الذي أُشير إليه، ولكثرة الظواهر اللغوية الصوتية التي تتدخل الهمزة في تشكيلها(١).

ففي اللهجات العربية القديمة مثلاً لم تكن الهمزة سواء في النطق؛ إذ كانت البيئة البدوية - تميم وما جاورها - هي وحدها التي تحقق نطق الهمزة، أما البيئة الحضرية الحجازية - قريش وما جاورها - فكانت تُسَهِّلُ الهمزة، أي تترك نطقها في غير أول الكلمة. وقد أخذت العربية الفصحى تحقيق الهمزة من تميم(٢).

يقول الدكتور محمود فهمي حجازي: «أول ما يلفت النظر في لهجة الحجاز من الناحية الصوتية أنها لا تعرف تحقيق الهمز، أي النطق بالهمزة باعتبارها صامتاً، والكتب العربية تتحدث دائماً عن تحقيق الهمز وتنسبه إلى لهجة تميم، وعن تخفيف الهمز أو نطق الهمزة نطقاً بين بين، وتنسبه إلى لهجة الحجاز»(٣).

ومع أن هذا الصوت أصيل في اللغات السامية عموماً، إلا إن الجهد العضلي الذي يتطلبه في نطقه أدى إلى محاولة التخلص منه في كثير من مفردات اللغات السامية، وفي اللهجات الحجازية العربية القديمة، يقول سيبويه (ت: ١٨٠هـ): «اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء: التحقيق، والتخفيف، والبدل. فالتحقيق قولك: قرأت، ورأس، وسأل، ولؤم، وبئس، وأشباه ذلك. وأما التخفيف فتصير الهمزة فيه بين بين، وتبدل، وتحذف»(٤).

---

(١) من ذلك ظاهرة العنعنة مثلاً، وهي ظاهرة صوتية تُعرَف في لغة قيس وتميم، حيث يجعلون الهمزة المبدوء بها عيناً، فيقولون في (أنَّك): (عَنَّك)، وفي (أسْلم): (عَسْلم)، وفي (أذُن): (عُذُن). ينظر: المزهر، السيوطي (١٧٦/١).

(٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب (٢٢٣).

(٣) علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي (٢٢٥).

(٤) الكتاب، سيبويه (٥٤١/٣).

ويبدو أن تخفيف الهمزة كان يعني عند سيبويه أن الالتقاء الذي يُحدث إغلاقاً لحظيّاً في أقصى الحنجرة لم يحدث، وأن الهواء المندفع إلى الحنجرة كان يمضي من دون أن يعترضه هذا الإغلاق الحنجري(١).

وقال ابن يعيش (ت: ٦٤٣هـ): «اعلم أن الهمزة حرف شديد مستثقل، يخرج من أقصى الحلق؛ إذ كان أدخل الحروف في الحلق، فاستثقل النطق به؛ إذ كان إخراجه كالتهوّع، فلذلك الاستثقال ساغ فيه التخفيف، وهو لغة قريش، وأكثر أهل الحجاز، وهو نوع استحسان لثقل الهمزة، والتحقيق لغة تميم وقيس، قالوا: لأنّ الهمزة حرفٌ، فوجب الإتيانُ به كغيره من الحروف. وتخفيفُها كما ذُكر بالإبدال والحذف، وأن تجعل بين بين»(٢).

ولأجل هذا التنوع النطقي اكتسب هذا الصوت خصوصية فريدة في الدرس العربي، يقول الدكتور إبراهيم أنيس: إن للهمزة حكماً خاصاً يخالف جميع الأصوات الأخرى؛ لأنها صوت ليس بالمجهور ولا المهموس، وهي أكثر الأصوات الساكنة شدة، وعملية النطق بها وهي محققة من أشق العمليات الصوتية؛ ولهذا مالت كل اللهجات السامية إلى التخلص منها في النطق(٣).

الهمز عند القبائل العربية:

تُجمع كتب العربية على أن تحقيق الهمزة لغة لتميم، وقيس، وبني أسد ومن جاورها، أي قبائل وسط شبه الجزيرة وشرقيها، وأن تسهيلها لهجة أهل الحجاز(٤).

وذكر أحمد علم الدين الجندي أن القبائل التي تميل إلى تحقيق الهمز هي: تميم، وتيم الرباب، وغني، وعُكل، وأسد، وعقيل، وقيس، وبنو سلامة من أسد. أما القبائل

(١) علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي (٢٢٦).
(٢) شرح المفصل، ابن يعيش (٢٦٥/٥).
(٣) ينظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس (٦٨).
(٤) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين (٢٧)، ومشكلة الهمزة العربية، رمضان عبد التواب (١٢، ١٣).

الأخرى كالحجاز وغاضرة وهذيل وأهل المدينة والأنصار وقريش وكنانة وسعد بن بكر، فيميلون إلى البعد عن الهمز، بالتخفيف أو التسهيل أو غيرها. ويظهر من هذا التقسيم أن قبائل البدو تجنح إلى تحقيق الهمز، وأما الحضرية فإنها تميل إلى التخلي عن الهمزة(١).

ومن المؤكد أن القوانين التي تخضع لها اللهجات ليست كالقوانين الطبيعية في الكون، تلتزم حالة واحدة لا شذوذ فيها، بل يكتفي اللغوي عادةً حين يحكم على صفات لهجة من اللهجات بالحكم على الكثرة الغالبة من صفاتها(٢).

الهمزة في الساميات:

يستنتج الباحثون المعنيون بدراسة الساميات بأنَّ هذه العائلة اللغوية وعن طريق المقارنة بين اللغات المنتمية إليها تشترك في بعض الأصوات اللغوية، وصوت الهمزة من الأصوات التي تشترك في استعمالها هذه المجموعة اللغوية(٣). ومن الناحية التعليمية فإنَّ الهمزة هي الصوت الأول في معظم اللغات السامية التي نعرفها(٤).

لكن بسبب صعوبة نطق الهمزة لم يبق هذا الصوت على حاله في كثير من اللغات السامية منذ زمن قديم، كما لم يكن العرب سواءً في معاملته في العصر الجاهلي، فلم يكن ينطق به على صورته الأصلية إلا القبائل النجدية، وبخاصة تميم وقيس. ويسمي اللغويون العرب نطقهم هذا: بتحقيق الهمز، أما القبائل الحجازية، وعلى رأسها قبيلة قريش، فإنها كانت تُسقط الهمزة من نطقها، في غير أول الكلمة، في غالب الأحيان(٥).

(١) ينظر: اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي (٣٣٦/١).
(٢) ينظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس (٦٨).
(٣) ينظر: فقه اللغات السامية، بروكلمان (٣٩، ٤٠)، وقواعد العربية الجنوبية، ف. ل. بيستون (٢٠)، ومدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، سباتينو وآخرين (٧٦).
(٤) ينظر: اللغة المؤابية، يحيى عبابنة (٥٥).
(٥) بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبد التواب (٢٧٣).

وإنَّ ما حدث للهمزة في اللهجة الحجازية العربية من الميل نحو التخلص من الهمز تسهيلاً أو تخفيفاً أو حذفاً، حدث مثله في اللغتين: العبرية والآرامية؛ إذ تسقط فيهما الهمزة في غير أول الكلمة(١).

ولسقوط الهمزة من اللفظ شواهد متعددة في اللغة الكنعانية، ففيها يتعرض الصوت إلى السقوط تماماً في بعض الاستعمالات اللغوية؛ لصعوبة نطقه(٢). ومثل ذلك في الآشورية(٣).

ويقول يحي عبابنة: «ويبدو من مطالعة المرقوعات المؤابية(٤) أن صوت الهمزة ظلَّ موجوداً فيها، وإن كنا نعتقد بأنَّه تعرَّض لما يمكن أن يتعرَّض له من سقوط أو تسهيل، بسبب صعوبة نطقه، أسوة بالكنعانية وغيرها من اللغات السامية الأخرى»(٥).

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب (٢٢٣).
(٢) ينظر: اللغة الكنعانية، يحي عبابنة (١٧٣، ١٧٤).
(٣) ينظر: مدخل إلى نحو اللغات السامية، سباتينو وآخرين (٧٨).
(٤) يراد بالمرقوعات المؤابية النقوش التي عُثر عليها مكتوبة باللغة المؤابية. ينظر: اللغة المؤابية، يحي عبابنة (٨، ٩). وقد نقل الكاتب صورة عن بعض هذه النقوش في كتابه، كما في (ص٢٠٣).
(٥) ينظر: اللغة المؤابية، يحي عبابنة (٥٥).

المبحث الأول
همز ما ليس بمهموز في العربية

همز ما ليس بمهموز عند المتقدمين:

عَهِدت اللغة العربية ولهجاتها المتفرعة عنها قديماً وحديثاً أنواعاً من الظواهر اللغوية المتعلقة بصوت الهمزة، ومن تلك الظواهر اللغوية ما يُسمى عند المتقدمين من اللغويين «همز ما ليس بمهموز» من الألفاظ والمفردات العربية، فقد جاءت بعض الألفاظ العربية مهموزة في عدد من اللهجات العربية، رغم أنها ليست كذلك في الأصل، حتى ذكر ابن السكيت (ت: ٢٤٤هـ) باباً قال فيه: «باب ما تكلمت به العرب من الكلام المهموز مع غيره مما ليس بمهموز، فتركوا همزه، فإذا أفردوه همزوه، وربما همزوا ما ليس بمهموز. وقيل لامرأة من العرب: ما أذهب أسنانك؟ قالت: أكل الحأر وشرب القأر»[١].

وجاء عند ابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) في أدب الكاتب باب قال فيه: «باب ما لا يُهمز، والعوام تهمزه»[٢]. ومن ذلك قولهم: رجل أعزَب وإنما هو عَزَب، ويُقال: الكُرَة ولا يقال: أُكْرَة[٣]، ويقال: أساءَ سَمْعاً فأساء جَابَةً، هكذا بلا ألف، ويقال: فلان أعسرُ يَسَرٌ وهو الذي يعمل بكلتا يديه، ولا يقال: أيسرُ، ويقال: فلان خير الناس وشر الناس، ولا يقال: أخير، ولا أشرَّ. ويقولون: تخطأْتُ إلى كذا، وإنما هو: تَخَطَّيتُ من الخطوة، ويقولون: أبْدَأْتَ لي سوءاً، بالألف، وإنما هو: أبْدَيْتَ لي، أي: أظهرت، من بدا الشيء يَبْدو[٤].

---

(١) كتاب الألفاظ، ابن السكيت (٤٩٩).

(٢) أدب الكاتب، ابن قتيبة (٣٧٢).

(٣) قال الأزهري: «قال الفراء: يقال للذي يُلْعَبُ به: الكُرَةُ، ولا تقل: الأكْرَةُ، وقال غيره: الأكْرَةُ: لغة ليست بجيدة». تهذيب اللغة، الأزهري (١٩٠/١٠).

(٤) أدب الكاتب، ابن قتيبة (٣٧٢).

وقال ابن درستويه (ت: ٣٤٧هـ): «قد يهمزون ما ليس بمهموز، على تشبيه الشيء بغيره، حتى قالوا في الزرع أيضاً إذا اصفر من داء أصابه: قد أرق، فهو مأروق. ومنهم من يقول: يرق فهو ميروق، على قولهم: اليرقان»(١).

وذكر أبو الفرج النهرواني (ت: ٣٩٠هـ) أمثلة مما همز ولا أصل للهمز فيه، وجاء بشواهد لذلك من القراءات القرآنية الشاذة(٢).

وعند ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) «باب في شواذ الهمز»، قال فيه: «وذلك في كلامهم على ضربين، وكلاهما غير مقيس. أحدهما أن تقر الهمزة الواجب تغييرها، فلا تغيرها. والآخر أن ترتجل همزاً لا أصل له، ولا قياس يعضده»(٣).

ومن الأول قولهم: «غفر الله له خطائئه»(٤)، ومن الثاني قولهم: «تأبلت القدر بالهمز. ومثله: التأبل والخأتم والعألم، ونحو منه ما حكوه من قول بعضهم: بأز، بالهمز، وهي البئزان بالهمز أيضاً»(٥). ومنه أيضاً قولهم: «لبأت بالحج، ورثأت زوجي بأبيات، وحَلَّأْتُ السَّوِيق، واستلأمت الحجر، وإنما هو استلمت: افتعلت»(٦).

وفي المزهر باب «ذكر ما تُرك فيه الهمز وأصله الهمز وعكسه»، أورد فيه السيوطي (ت: ٩١١هـ) قول الجوهري (ت: ٣٩٣هـ) عن الفراء (ت: ٢٠٧هـ) قوله: «وربما خرجت بهم فصاحتهم إلى أن يهمزوا ما ليس بمهموز، فقالوا: لبأْت بالحج، وحَلَّأْتُ السَّوِيق، ورثأت الميت»(٧). وقول الفراء في هذا أنه جعله من قبيل الغلط كما جاء في «معاني القرآن»(٨).

(١) تصحيح الفصيح وشرحه، ابن درستويه (٤٠٩).
(٢) ينظر: الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، النهرواني (٢٩١).
(٣) الخصائص، ابن جني (١٤٥/٣).
(٤) الخصائص، ابن جني (١٤٥/٣).
(٥) الخصائص، ابن جني (١٤٧/٣).
(٦) الخصائص، ابن جني (١٤٨/٣).
(٧) المزهر، السيوطي (٢٢٠/٢). وينظر: الصحاح، الجوهري (٧٠/١)، ومعاني القرآن، الفراء (٤٥٩/١).
(٨) ينظر: معاني القرآن، الفراء (٤٥٩/١).

وقد وُجِدَ نظير لهذا الهمز في بعض اللغات السامية، ففي اللغة النبطية رُصدت أمثلة على هذا الواقع الاستعمالي، وإن كانت هذه الشواهد قليلة أو نادرة؛ لافتقار اللغة النبطية المكتشفة إلى نظام لغوي متكامل يمكن من خلاله الحكم على طبيعة النظام المقطعي فيها(١).

القبائل التي تهمز ما ليس بمهموز:

عُرفت هذه الظاهرة الصوتية عند بعض القبائل العربية، كتميم وقيس وعُكْل وبني عقيل، قال ابن السكيت (ت: ٢٤٤هـ): «إنما يهمزونه كراهية اجتماع الساكنين. وهي في بني تميم وعكل، يقرأ الأعرابي منهم: (علَيهِمْ ولا الضَّأَلِّينَ). وقرأ عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير: (إنسٌ ولا جأَنٌّ)(٢).

وقال أبو حيان (ت: ٧٤٥هـ): «وربما فُرَّ من التقائهما - أي الساكِنَين - بجعل الألف همزة في نحو (ولا الضألين)، وهو لغة في تميم، وعكل... وقيل لامرأة منهم: ما أذهب أسنانك؟ فقالت أكل الحأر، وشرب القأر، ولا ضرورة»(٣).

وتميم - التي نُسبت إليها هذه الظاهرة - تَجَمُّعٌ كبير للعرب، فقد كانت قبائل عدة تنتمي إليها كـ(كعب بن سعد بن زيد مناة، وحنظلة بن مالك بن زيد بن مناة، وهم البراجم، وبني دارم، وبني زرارة بن علس، وبني أسيد، وعمرو بن تميم)، فهي بقبائلها تؤلف تجمعاً بدويّاً في عاداته وتقاليده، وقد امتلأت منهم البلاد، وكانوا أهل منعة وبأس، وأصحاب فصاحة وشعر(٤). وعلى هذا فإنَّ من الصعب القول: إنَّ فروع تميم كلها، وقد استوطنت بلاداً شتى، قد احتفظت بخصائص لغوية واحدة في الأصوات والنبر والدلالات(٥).

(١) ينظر: اللغة النبطية، يحيى عبابنة (١٧٦).
(٢) كتاب الألفاظ، ابن السكيت (٤٩٩).
(٣) ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان (٧١٧/٢).
(٤) ينظر: في اللهجات العربية القديمة، إبراهيم السامرائي (٤٦).
(٥) ينظر: في اللهجات العربية القديمة، إبراهيم السامرائي (٥١).

ومن أبرز خصائص لهجة تميم نبر الهمزة، أي: تحقيقها والتزام النطق بها، يشاركها في ذلك أكثر البدو، على حين يسهل الحجازيون الهمزة ولا ينبرونها إلّا إذا أرادوا محاكاة التميميين استلطافاً لهذه الصفة من صفات لهجتهم(١).

وقال ابن يعيش (ت: ٦٤٣هـ): «اعلم أن الهمزة حرف شديد مستثقل، يخرج من أقصى الحلق؛ إذ كان أدخل الحروف في الحلق، فاستثقل النطق به؛ إذ كان إخراجه كالتهوّع، فلذلك الاستثقال ساغ فيه التخفيف، وهو لغة قريش، وأكثر أهل الحجاز، وهو نوع استحسان لثقل الهمزة، والتحقيق لغة تميم وقيس»(٢).

وفي لسان العرب أن «أهل الحجاز وهُذَيْل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون، وقف عليها عيسى بن عمر فقال: ما آخذ من قول تميم إلّا بالنبر، وهم أصحاب النبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا»(٣). ومعنى هذا أنَّ الحجازيين يُسَهِّلون الهمز في لغة الخطاب، لكنهم يلجأون إلى تحقيق الهمز ويخرجون عن عاداتهم وسليقتهم في تسهيل الهمز كلما عنَّ لهم أمر يتطلب استعمال اللغة النموذجية شعراً أو خطابة(٤).

وجاء نزول القرآن بنبر الهمزة دليلاً على أن اللغة المثالية كانت قبل الإسلام قد استحسنت في هذا لحن تميم، فاقتبسته واتخذته صفة من صفات نطقها الفصيح، ولكن الإسلام - جرياً على عادته في التخفيف على القبائل ومراعاة لهجاتها - لم يلزم أحداً بتحقيق الهمزة، وإن التزمه في الوحي، فمالت قراءات أكثر الحجازيين إلى التسهيل لا النبر، كما هي الحال في قراءة نافع وأبي جعفر من أشهر قراء المدينة، وفي بعض القراءات الشاذة غلو في نبر الهمزة في مثل (رَبِّ الْعَأْلَمِين)(٥)، بل تجاوز القراء

(١) ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح (٧٧)، وعلم اللغة العربية، محمود حجازي (٢٢٥).
(٢) شرح المفصل، ابن يعيش (٢٦٥/٥).
(٣) لسان العرب، ابن منظور (١٤/١).
(٤) ينظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس (٦٩، ٧٠).
(٥) لم أجد من قرأ بذلك.

الحدود حين قرأوا بهمزة مفتوحة مثل: (كَعَصْفٍ مَأْكُول)[1]، وبهمزة قبل الحرف المشدد في (وَلا الضَّأَلِّين)[2].

«ويطمئن الدارس إلى أنه إذا كان أهل الصحراء قد اضطروا إلى الهمز بحكم بيئتهم، فإن أهل الحواضر قد عملوا على التخلص من الهمز؛ لانتفاء الحاجة إليه؛ لأنهم يعيشون غالب أوقاتهم في حيز محدود وفرته لهم طبيعة مساكنهم هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لصعوبة النطق بها، فأهل الحضر دائماً يميلون إلى السهولة واليسر. وإذا كان هذا هو التوجه العام الذي يضبط الهمز، فلا ينبغي أن يُعْتَقَدَ فيه صرامة القوانين العلمية التي تضبط كل أفراد جنسها، بل وُجِدَتْ له اختراقاتٌ كأن تجد الهمز عند بعض ساكني الحواضر، وكذلك العكس: التسهيل عند بعض ساكني البوادي»[3].

وتُعرف هذه الظاهرة أيضاً عمَّن لغته النقر كما عَبَّر عن ذلك الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) حين قال: «ولقد جَدَّ في الهرب من التقاء الساكنين من قال: دأَبَّة وشأَبَّة، ومن قرأ: (وَلا الضَّأَلِّين) (ولا جَأَنٌّ)، وهي عن عمرو بن عبيد ومن لغته النقر في الوقف»[4].

همز ما ليس بمهموز في الشعر:

جاء في الشعر العربي ما يُخرَّج على ضابط هذه الظاهرة اللغوية؛ أي أنه من قبيل همز ما ليس بمهموز، ومن ذلك قول كثير[5]:

وَأَنْتَ ابْنَ لَيْلَى خَيْرُ قَوْمِكَ مَشْهَداً ... إِذَا مَا احْمَأَرَّتْ بِالْعَبِيطِ الْعَوَامِلُ

قال ابن جني (ت: ٣٩٢هـ): «يريد احمارَّت»[6].

(١) قرأ أبو الدرداء: (كعصف مَأَكول) بفتح الهمزة. ينظر: مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه (١٨٠).
(٢) ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح (٧٧، ٧٨).
(٣) أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية، عبد الرازق القادوسي (١١٥).
(٤) المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري (٤٩٥).
(٥) ديوان كثير (٢٩٤).
(٦) الخصائص، ابن جني (١٥٠/٣).

ومثله قول كثير أيضاً[١]:

وَلِلأَرْضِ أَمّا سُودُها فَتَجَلَّلَت بَياضاً وَأَمّا بِيضُها فادْهَأَمَّتِ[٢]

قال ابن عصفور (ت: ٦٦٩هـ): «يريد: فادهامَّت»[٣].

وأنشدوا من الرجز[٤]:

يَا عَجَباً وَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبَا
حِمَارَ قَبَّانَ يَسُوقُ أَرْنَبَا
خَاطِمَهَا زَأَمَّهَا أَنْ تَذْهَبَا

قال ابن خالويه (ت: ٣٧٠هـ): «أراد زامها فهمز»[٥]. وقال ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) معقباً على هذا الشاهد: «فهذه الهمزات في هذه المواضع، إنما وجبت عن تحريك الألف؛ لسكونها وسكون ما بعدها»[٦].

وقال دُكَين[٧]:

راكِدةٌ مِخلاتُه ومحلبُه وجُلُّه حتى ابيأَضَّ ملبَبُه

قال ابن جني (ت: ٣٩٢هـ): «يريد: ابْيَاضَّ، فهمز»[٨].

---

(١) ديوان كثير (٣٢٣).
(٢) ينظر: الخصائص، ابن جني (١٥٠/٣).
(٣) الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور (٢١٥).
(٤) الأبيات بلا نسبة في شرح كتاب سيبويه، السيرافي (٢٢٦/١)، وفي الخصائص، ابن جني (١٥٠/٣)، وفي شرح المفصل، ابن يعيش (٢٩٩/٥)، وفي لسان العرب، ابن منظور (٢٧٢/١٢).
(٥) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه (٣٤). وينظر: ضرائر الشِّعْر، ابن عصفور (٢٢٣).
(٦) المنصف، ابن جني (٢٨١).
(٧) ينظر: الخصائص، ابن جني (١٥٠/٣)، والمحتسب، ابن جني (٣٢٠/١)، وضرائر الشعر، ابن عصفور (٢٢٢)، ولسان العرب، ابن منظور (٩٦/١٣).
(٨) سر صناعة الإعراب، ابن جني (٨٧/١).

ومن هذه الظاهرة قول العجاج[1]:

مُبـــارِكٍ للأنبيـــاءِ خأتَـــمِ
فَخِنْـدِفٌ هامَـةُ هـذا العألَـمِ

قال الصغاني (ت: ٦٥٠هـ): «لغة العجّاج هَمْزُ خاتم وعالم، فيقول: خأْتَمٌ وعأْلَمٌ»[2].

تعليل همز ما ليس بمهموز:

يرى ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) أنَّ ذلك الهمز - مما هو داخل تحت مسمى هذه الظاهرة - كله مُعلَّل، وله وجهه في العربية، ولم يكن اعتباطيّاً، فقال: «وأنا أرى ما ورد عنهم من همز الألف الساكنة في (بأز) و(سأق) و(تأبل) ونحو ذلك، إنما هو عن تطرق وصنعة، وليس اعتباطاً هكذا من غير مسكة»[3].

وقد عُلِّلَت هذه الظاهرة عند اللغويين بمجموعة علل:

الأولى: تخيل الحركة في الساكن لمجاورته المتحرك: قال ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) في تعليل ذلك: «ثبت عندنا من عدة أوجه أن الحركة إذا جاورت الحرف الساكن فكثيراً ما تجريها العرب مجراها فيه، فيصير لجواره إياها كأنه محرك بها، فإذا كان كذلك فكأن فتحة باء (بَاز) إنما هي في نفس الألف. فالألف لذلك - وعلى هذا التنزيل - كأنها محركة، وإذا تحركت الألف انقلبت همزة»[4].

الثانية: الحمل على الشبيه: فقد وَجَّه ابن درستويه (ت: ٣٤٧هـ) هذا النوع من الظواهر الصوتية على أنه نوع من القياس على ألفاظ أخرى، وحملاً للفظ على شبيهه، فقال: «قد يهمزون ما ليس بمهموز، على تشبيه الشيء بغيره، حتى قالوا في الزرع أيضاً إذا اصفر من داء أصابه: قد أرق، فهو مأروق. ومنهم من يقول: يرق فهو ميروق، على قولهم: اليرقان»[5].

---

(١) ديوان العجاج (٢٨٥).
(٢) العباب الزاخر واللباب الفاخر، حرف السين، الصغاني (١٨).
(٣) الخصائص، ابن جني (١٤٧/٣).
(٤) الخصائص، ابن جني (١٤٧/٣).
(٥) تصحيح الفصيح وشرحه، ابن درستويه (٤٠٩).

وقال مكي القيسي (ت: ٤٣٧هـ): «وقد حُكِيَ أن بعض العرب يهمز الحرف إذا ضارع المهموز، فيهمزون غير المهموز. كما حكى الفراء عن امرأة قالت: رَثَأْتُ زوجي بأبيات»(١).

الثالثة: التخلص من التقاء الساكنين: قال أبو حيان (ت: ٧٤٥هـ): «وربما فُرَّ من التقائهما - أي الساكِنَين - بجعل الألف همزة»(٢). وذهب السيوطي (ت: ٩١١هـ) أيضاً إلى أنَّ من أسباب ذلك الهمز هو الفرار من التقاء الساكنين في بعض مواضعه، فقال: «وربما فُرَّ من التقائهما - أي الساكِنَين - في المتصل بإبدال همزة مفتوحة من الألف»(٣).

الرابعة: الوهم والغلط: فقد جاء عن الفراء (ت: ٢٠٧هـ) قوله: «وربما غلطت العرب فِي الحرف إذا ضارعه آخر من الهمز فيهمزون غير المهموز، سمعت امرأة من طيئ تقول: رثأت زوجي بأبيات. ويقولون: لبَّأْت بالحج، وحَلَّأْتُ السَّوِيق، فيغلطون لأن حَلات قد يُقال في دفع العِطاش من الإبل، ولبَّأت ذهب إلى اللبأ الذي يؤكل، ورثأت زوجي ذهبت إلى رثيئة اللبن وذلك إذا حلبت الحليب على الرائب»(٤).

الخامسة: الحذلقة والتفصح(٥) والقياس الخاطئ: يرى الدكتور رمضان عبد التواب أن سبب هذا الهمز هو الحذلقة والمبالغة في التفصح، فيقول: «يشيع في العربية الفصحى همز ما ليس أصله الهمز، بسبب عقدة الحجازيين في صوت الهمزة، وتوهمهم في الأمثلة التي يوجد في مكان منها واو أو ياء، أنهما ناتجتان بسبب الانزلاق بين حركتين، بعد سقوط الهمزة في نطقهم؛ ولذلك يزيدون في هذه الأمثلة همزات غير أصلية فيها على طريق الحذلقة والمبالغة في التفصح»(٦).

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي القيسي (٣٢٣٦/٥). وينظر: معاني القرآن، الفراء (٤٥٩/١).

(٢) ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان (٧١٧/٢).

(٣) همع الهوامع، السيوطي (٤٠٩/٣، ٤١٠). وبه قال أبو حيان. ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان (٧١٧/٢).

(٤) معاني القرآن، الفراء (٤٥٩/١).

(٥) الحذلقة أو التفصح أو التقعر في الكلام، اصطلاحات من وضع الدكتور رمضان عبد التواب لما يقابل في الإنجليزية: (overcorrectness).

(٦) مشكلة الهمزة العربية، رمضان عبد التواب (١٥٣).

وقال في موضع آخر مفتخراً بهذا التعليل: «وأما الجهد الذي يفخر به صاحب الكتاب حقّاً، فهي محاولة الكشف عن السر في كتابة بعض الكلمات بالهمز، وهي في الأصل غير مهموزة. وبهذا الكشف انتفى البحث الصعب عن مبرر صوتي لانقلاب الواو والياء همزة في بعض أمثلة العربية، وحلَّ محله قانون القياس الخاطئ والحذلقة»(١).

ومعنى القياس الخاطئ هو «الميل العارض الذي لا يمكن التنبؤ بحدوثه من كلمة أو صيغة إلى الخروج عن مدارها الطبيعي في التطور، والدخول في طبيعة كلمة أو صيغة أخرى؛ لوجود مشابهة حقيقة أو متوهمة بينهما»(٢).

(١) مشكلة الهمزة العربية، رمضان عبد التواب (٦). وقد فصَّل القول حول قانون القياس الخاطئ وقانون الحذلقة والتفصح في كتابه التطور اللغوي مظاهره وعلله. ينظر: (ص ١٠٠، ١١٥).

(٢) أسس علم اللغة، ماريوباي (١٤١).

المبحث الثاني
همز ما ليس بمهموز في القراءات القرآنية

اهتم علماء العربية وعلماء القراءات اهتماماً كبيراً بالهمزة وتنوعاتها النطقية والظواهر الصوتية التي ترتبط بها في النطق العربي عموماً وفي نطق آي القرآن الكريم على وجه الخصوص، فعقدوا لذلك فصولاً مطولة ومباحث مستقلة في مدوَّناتهم، تحدثوا فيها عن أحكام الهمزة محققة، أو مخففة ومُسَهَّلة، أو مبدلة، أو محذوفة، أو غير ذلك من الظواهر الصوتية الطارئة على صوت الهمزة، بعد تحديد مخرجها من جهاز النطق والصفات المصاحبة لنطقها؛ وكل ذلك البسط لأجل وصف النطق العربي بدقة، وضبط القراءة والإقراء في هذا الصوت العربي كثير التحولات.

ومع أنَّ تحقيق الهمز ومنه «همز ما ليس بمهموز» قد نُسب إلى قبائل بعينها، إلا أن المرء لا يكاد يصل إلى حكم خاص يمكن نسبته إلى بيئة معينة حين يكون الحديث عن القراءات القرآنية، نظراً لاختلاف القُرَّاء في أحكام الهمز اختلافاً كثيراً، فإننا نجد بعض القُراء قد خالفوا أحياناً في قراءاتهم صفات اللهجات التي شاعت بين ظهرانيهم، فكما أنَّ ابن كثير مثلاً خالف في تسهيل الهمز ومال إلى تحقيقه وهو مكي، فإنَّ عاصماً قد خالف في الإمالة والإدغام رغم أنه كوفي[1]. وذلك لأنَّ مبنى القراءة الرواية والسند والتلقي، وهذا ما يجعل التعميم - المؤسس على الجغرافيا - غير معتبر في مثل هذه المحطات.

وقد جاءت ظاهرة «همز ما ليس بمهموز» في القراءات القرآنية المتواترة منها والشاذة كما جاءت هذه الظاهرة في النطق العربي واللهجات العربية المختلفة، فضُبطت هذه الظاهرة ودُوِّنتْ منسوبة للقُرَّاء الذين نطقوا بها دون أحكام عامَّة، تماماً كما حُفظت القراءات القرآنية بمختلف ظواهرها اللغوية والصوتية.

(١) ينظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس (٦٧، ٦٨).

ففي القراءات القرآنية جاءت نماذج لهذه الظاهرة التي عرفتها العربية ولهجاتها، فقرأ بعضهم ألفاظاً قرآنية مهموزة في حين أنها ليست كذلك في أصلها، وسأعرض في هذا المبحث لمواضع هذه الظاهرة الواردة في القراءات القرآنية معللة، مرتَّبة على ترتيب ورودها في المصحف، وهي على ما يأتي:

الموضع الأول: في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] قرأ أيوب السختياني وقيل: السجستاني، وعمرو بن عبيد، والحسن، وأبو السَّمَّال: (ولا الضَّأَلِّين) بالهمز[١].

ويوحي كلام بعضهم بأنَّ قراءة الهمز في هذا الموضع تجري على لفظ ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ ونظائر هذا النوع من المدود في كل القرآن، قال النَّوْزَاوَازِي (من علماء القرن السادس الهجري): «القراءة المعروفة ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، وبابه بألف ساكنة ومدَّة بعدها، وقرأ أيوب السجستاني، وعمرو بن عبيد، والحسن، وأبو السَّمَّال: بالهمزة المفتوحة كلّ القرآن، وكذا أخواته مثل: (جانّ) و(دابَّة)، وأشباههما كل القرآن»[٢].

تعليل القراءة: علَّل ابن خالويه (ت: ٣٧٠هـ) الهمز بروايةٍ عن صاحب القراءة - أيوب السختياني - مُبَيِّناً أن علَّة الهمز في لفظ (الضألين) هو الفرار من التقاء الساكنين[٣]، فقال: «قرأ أيوب السختياني: (ولا الضأَلِّين) بالهمزة، فقيل لأيوب: لم همزت؟ فقال: إنَّ المدة التي مددتموها أنتم لتحجزوا بها بين الساكنين هي هذه الهمزة التي همزتُ»[٤].

---

(١) ينظر: مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه (٩)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (١٧/١)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (٧٨/١) (٢٣٤/٥)، والمغني في القراءات، النَّوْزَاوَازِي (٣٧٠/١)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٥١/١)، والبحر المحيط، أبو حيان (٥٢/١).

(٢) المغني في القراءات، النَّوْزَاوَازِي (٣٧٠/١).

(٣) مع أنَّ التقاء الساكنين في مثل هذه المواضع مقبول في النظام الصوتي العربي، إلا إنَّ بعض اللهجات العربية تستثقله، لذلك نقل ابن يعيش (ت: ٦٤٣هـ) عن بعض العرب أنَّهم يفرُّون من التقاء الساكنين حتى مع إمكان ذلك الالتقاء واستساغته صوتيّاً، فقال: «اعلم أنّ من العرب من يكره اجتماع الساكنين على كلّ حال، وإن كانا على الشرط الذي يجوز فيه الجمع بين ساكنين من نحو: (دابَّة) و(شابَّة)، فيُحرِّك الألف لالتقاء الساكنين، فتقلب همزة». ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش (٢٩٩/٥).

(٤) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه (٣٤).

وبهذه العلَّة - التخلُّص من الساكنين - علَّل القراءة ابنُ السكيت (ت: ٢٤٤هـ)[١]، ثم نسب الظاهرة إلى القبائل التي تنطق بها على هذا النحو فقال: «إنما يهمزونه كراهية اجتماع الساكنين. وهي في بني تميم وعُكل، يقرأ الأعرابي منهم: (عليهم ولا الضَّأَلِّينَ)»[٢].

ونبَّه أبو الفرج النهرواني (ت: ٣٩٠هـ) على أصل الظاهرة، مشيراً إلى مخالفتها قراءة العامة، فقال: «وبعضهم يكره التقاء الساكنين في منثور الكلام، ويهرب منه إلى الهمز، فيما لا أصل للهمز فيه، وقد قرأ أيوب السختيانيّ: (ولا الضَّأَلِّينَ) بالهمز، وهذه قراءة مخالفة لقراءة سائر الأئمَّة، ولما نقله مَن في نقله الحُجَّة من الأئمَّة، وكذلك سبيل القراءة التي رويناها»[٣].

وحرَّرَ ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) مراحل هذا التحوُّل نحو همز اللفظ فقال: «واعلم أنَّ أصل هذه ونحوه: الضالين، وهو الفاعلون، من ضَلَّ يَضِلُّ، فكره اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد على غير الصور المحتملة في ذلك، فأُسكنتْ اللام الأولى وأُدغمت في الآخرة، فالتقى ساكنان: الألف واللام الأولى المدغمة، فزيد في مدَّة الألف، واعتُمدت وطأة المد، فكان ذلك نحواً من تحريك الألف؛ وذلك أنَّ الحرف يزيد صوتاً بحركاته كما يزيد الألف بإشباع مدته»[٤].

وزاد ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) تفسير هذه الظاهرة وما ماثلها بقوله: «ومن طريف حديث إبدال الألف همزة ما حكاه اللحياني من قول بعضهم في الباز: البأز بالهمزة،

(١) وبها أيضاً قال الأزهري والزمخشري وغيرهما. ينظر: معاني القراءات، الأزهري (١١٩/١)، والكشاف، الزمخشري (١٧/١). ويرى أمين الدولة الطرابلسي (ت بعد: ٥١٥هـ) أن هذه الطريقة في الفرار من الساكنين لغة ضعيفة في أحكام الساكنين إذا التقيا، فقال: «ومن العرب من يهمز، وهذه اللغة أضعف اللغتين، ويقول: دأَبَة». ينظر: المجموع اللفيف، الطرابلسي (٢٨٨).

(٢) كتاب الألفاظ، ابن السكيت (٤٩٩). وكذلك نسب أبو حيان لغة الهمز في (الضالين) إلى من تشتهر هذه الظاهرة في لغتهم قائلاً: إنها لغة في تميم، وعكل... قيل لامرأة منهم: ما أذهب أسنانك؟ فقالت: أكل الحأر، وشرب القأر، ولا ضرورة للهمز. ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان (٧١٧/٢).

(٣) ينظر: الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، النهرواني (٢٩١).

(٤) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني (٤٦/١).

ووجه ذلك: أن الألف ساكنة، وهي مجاورة لفتحة الباء قبلها، وذلك أن الحرف الساكن إذا جاور الحركة فقد تُنْزِله العرب منزلة المتحرك بها، من ذلك قولهم في الوقف على بكر: هذا بَكُر، ومررت ببكِر، ألا ترى حركتي الإعراب لما جاورتا الراء صارتا كأنهما فيها؟ ومنه قول جرير[1]:

لَحَبَّ المُؤْقِدَانِ إليَّ مُؤْسى

فهَمَزَ الواو في الموضعين جميعاً؛ لأنهما جاورتا ضمة الميم قبلهما، فصارت الضمة كأنها فيهما، والواو إذا انضمت ضمّاً لازماً فهَمْزُها جائز، نحو: (أُقِّتَتْ) في (وُقِّتتْ)، و(أُجُوه) في (وجوه)، ونظائر ذلك كثيرة.

وكذلك الفتحة قبل الألف في (البَاز)، لما جاورتها صارت على ما ذكرنا كأنها فيها، والألف إذا حركت هُمزت على ما ذكرنا في (الضَّأَلِّين) و(جَأن)، فهذا وجهه»[2].

ويفهم من كلام ابن جني أن هذه الظاهرة نوع من المماثلة الصوتية[3]، وذلك أن الفتحة وهي - الصائت القصير - التي قبل الألف لها أثر في إحداث هذا الهمز في اللفظ، علاوةً على حاجة المتلفظ إلى التخلص من الساكنين.

وفي موضع آخر صرَّح بأنَّ الألف حرف ضعيف واسع المخرج، لا يتحمل الحركة، فإذا اضطروا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف منه، وهو الهمزة، وعلى ذلك ما حكاه أبو زيد فيما قرأته على أبي علي في كتاب الهمز عنه، من قولهم: شأَبَّة ومأَدَّة[4].

---

(١) من قصيدة لجرير يمدح بها هشام بن عبد الملك, والبيت بتمامه:

لَحَبَّ المُؤْقِدَانِ إلَيَّ مُؤْسَى وجَعْدَةُ لو أضَاء هُمُا الوَقُودُ

ينظر: ديوان جرير (١١٦)، وشرح الشواهد الشعرية، محمد شُرَّاب (٣٥٥/١).

(٢) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني (٤٧/١).

(٣) في قانون المماثلة وتأثير الصوائت على غيرها. ينظر: التطور اللغوي، رمضان عبد التواب (٥١).

(٤) ينظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني (٨٦/١). وقال أيضاً: «واعلم أن الألف متى حركت انقلبت همزة، وذلك لضعفها عن تحمل الحركة». سر صناعة الإعراب، ابن جني (٣٥٩/٢).

وذكر مكي القيسي (ت: ٤٣٧هـ) أن هذا النوع من الهمز قليل عند العرب، ومع قلته وندرته فإنه يتوافق مع خط المصحف، وله وجه مقبول في العربية فقال: «قرأ أيوب السختياني (ولا الضَّالِّين) بهمزة مفتوحة في موضع الألف... وهو قليل في كلام العرب، وهذا كله موافق لخط المصحف، والقراءة به من رواه عن الثقات جائزة، لصحة وجهه في العربية، وموافقته الخط إذا صح نقله»(١).

أما العكبري (ت: ٦١٦هـ) فقد جعل هذا الهمز لغةً فاشية(٢) فقال: «والجمهور على ترك الهمز في (الضَالِّين)، وقرأ أيوب السختياني بهمزة مفتوحة، وهي لغة فاشية في العرب في كل ألف وقع بعدها حرف مشدد، نحو ضالٌّ، ودابَّة، وجانّ؛ والعلة في ذلك أنه قلب الألف همزة لتصح حركتها؛ لئلا يجمع بين ساكنين»(٣).

وبين الشيوع والندرة يُقال على أقل تقدير: هي لغة ثابتة عن العرب(٤)، ويمكن عدّها نوعاً من التخفيف في اللفظ عند المتكلم كما قال الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): «وقرئ: (والدوابِ) مخففاً(٥)، ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ: (ولا الضَأَلِّين)؛ لأنّ كل واحد منهما فرار من التقاء الساكنين، فحرَّك ذاك أوّلهما، وحذف هذا آخرهما»(٦).

وأشار الزمخشري أيضاً إلى العلاقة بين هذه الظاهرة وبين الوقف، فقال: «قرأ: (ولا الضَأَلِّين)... وهي عن عمرو بن عبيد ومن لغته النقر في الوقف»(٧).

---

(١) الإبانة عن معاني القراءات، مكي القيسي (١٢٢، ١٢٣).

(٢) وكلام المتقدمين من المفسرين وعلماء العربية وشواهد اللغة تدل على خلاف ذلك، فقد وصفت هذه اللغة بالندرة والقلة والضعف وأنها على غير قياس.

(٣) التبيان في إعراب القرآن، العكبري (١١/١).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٧٨/١).

(٥) في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [فاطر: ٢٨] قرأ الزهري: (والدَّوَابِ) خفيفة. قال ابن جني: «ولا أعلم أحداً خففها سواه... لعمري إن تخفيفها قليل ضعيف قياساً وسماعاً». ومثل ذلك لفظ (الدواب) في سورة الحج آية [١٨]. ينظر: المحتسب، ابن جني (٧٦/٢) (٢٠٠/٢)، والمحرر الوجيز، ابن عطية (١١٣/٤).

(٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (٦١٠/٣). يريد تخفيف التشديد من لفظ (الدواب) وهو نوع من الحذف، وتحريك الألف في (الضالِّين) الذي آل إلى همز، وكلاهما فرار من التقاء الساكنين.

(٧) المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري (٤٩٥).

وذكر ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) في إبدال الهمزة وجوهاً، منها: ما «يختصّ ببعض اللغات، وذلك إذا كان بعد الألف حرف مشدّد نحو: دأَبَّة، همزوا الألف لإزالة التقاء الساكنين، وعليه قرئ قوله تعالى: (وَلَا الضَّالِّينَ)... بالهمز، ومنه قول العجّاج:

فَخنْـدِفٌ هامَـةُ هـذا العألَـمِ»[١]

وبيَّن أبو حيان (ت: ٧٤٥هـ) أن هذا الهمز له نظائر وشواهد في اللغة، غير أنه غير قابل للقياس لندرته، مع الإشارة إلى إمكانية القياس عليه كما يفهم من قول بعضهم، فقال أبو حيان: «وقرأ أيوب السختياني: (ولا الضَأَلِّين)... وجاءت منه ألفاظ، ومع ذلك فلا ينقاس هذا الإبدال؛ لأنه لم يكثر كثرة توجب القياس، نصَّ على أنه لا ينقاس النحويون... قال أبو الفتح: وعلى هذه اللغة قول كُثير.... - قال أبو حيان -: وعلى ما قال أبو الفتح: إنها لغة، ينبغي أن ينقاس ذلك»[٢].

ومع أن المتقدمين مُجْمِعُون على أنَّ همز (الضالِّين) هنا هو فرار من التقاء الساكنين، إلا إنَّ من اللغويين المُحدَثين من يرى أن هذه الظاهرة نوع من الغلو في مراعاة النبر، فيقول الدكتور صبحي الصالح: «وفي بعض القراءات الشاذة غلو في نبر الهمزة في مثل: (رَبِّ الْعَأَلَمِين)، بل تجاوز القراء الحدود حين قرأوا بهمزة مفتوحة مثل: (كَعَصْفٍ مَأْكُول)، وبهمزة قبل الحرف المشدد في (وَلا الضَّأَلِّين)»[٣].

ثم أبدى عجبه من جعل هذه الظاهرة لغة عن العرب فقال: «ولا ينقضي عجبك من قول العكبري في هذه القراءة الشاذة: وهي لغة مسموعة من العرب[٤]!. والحق أن الذي سُمع من العرب في باب الهمزة - على تنوعه تبعاً لتنوع القبائل ولهجاتها -

(١) البديع في علم العربية، ابن الأثير (٤٩١/٢). وعجز البيت للعجاج، وهو بتمامه:

مُبـارِكٍ للأنبيـاءِ خأتَـمِ فَخِنْـدِفٌ هامَـةُ هـذا العألَـمِ

بهمز لفظ الخاتم والعالم. ينظر: ديوان العجاج (٢٨٥).

(٢) البحر المحيط، أبو حيان (٥٢/١).

(٣) دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح (٧٩).

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، العكبري (١١/١).

لم يكن فيه مثل هاتيك الصورة الشاذة التي ذكرها العكبري وأضرابه على سبيل الإغراب حتى بالغوا فيها، وإلّا فكيف صحَّ لعلماء اللغة أن يكتشفوا الفروق بين ما يهمز فيكون له معنى، وما لا يهمز فيختلف معناه؟ وما الذي يسوغ لهم أن يحكموا بأن بعض ما همز ليس أصله الهمز؟ أو أن بعض ما تركت العرب همزه أصله الهمز؟»[1].

كما يرى الدكتور عبد الرازق بن حمودة القادوسي أنَّ ذلك الهمز من قبيل التوهم فقال: «وكما أبدلوا الواو همزة على تَوَهُّمِ أنها مضمومة لانضمام ما قبلها، كذلك أبدلوا الألف همزة لِتَوَهُّمِ أنه مفتوحٌ لانفتاح ما قبله، وقد جاءت القراءة بذلك في ثلاثة مواضع: (الضَّأَلِّينَ) و(سَأَقَيْها) و(جَأَنٌّ)»[2].

وقد سبق توجيه ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) لذلك، وأنَّ الهمز باختيار وقصد وليس توهماً، فقال: «وأنا أرى ما ورد عنهم من همز... إنما هو عن تطرق وصنعة، وليس اعتباطاً هكذا من غير مسكة... ومن ذلك قراءة: (ولا الضأَلِّين)»[3].

الموضع الثاني: في قوله تعالى: ﴿**وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ**﴾ [البقرة: ٥٨]. قرأ الأهوازي، وابن منصور، وابن واصل، والشيرازي عن الكسائي، والزَّعفرانيُّ عن ابن فُلَيح عن ابن كثير (خَطَأيَاكُم)، بهمز الألف الأولى وسكون الألف الأخيرة، وقرأ الخُزيمي عن ابن فُلَيح عن ابن كثير (خَطَايَأْكُم) بهمزة ساكنة بعد الياء قبل الكاف[4].

تعليل القراءة: قال أبو حيان (ت: ٧٤٥هـ) في توجيه همز الألف في القراءتين: «وتوجيه هذا الهمز أنه استثقل النطق بألفين، مع أن الحاجز حرف مفتوح، والفتحة تنشأ عنها الألف، فكأنه اجتمع ثلاث ألفات، فهمز إحدى الألفين ليزول هذا الاستثقال، وإذ كانوا قد همزوا الألف المفردة بعد فتحه في قوله:

(١) دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح (٧٩).
(٢) ينظر: أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية، عبد الرازق بن حمودة (١٣٧).
(٣) الخصائص، ابن جني (١٤٩/٣).
(٤) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١٥٠/١)، والمغني في القراءات، التَّوزاوازي (٤١٦/١، ٤١٧)، والبحر المحيط، أبو حيان (٣٦١/١)، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل (٩٩/٢).

وَخنْـدِفٌ هامَـةُ هـذا العألَـمِ[1]

فلأن يهمزوا هذا أولى»[2].

وفي هذا التوجيه الذي ذهب إليه أبو حيان يمكن ملاحظة مبدأين أساسيين:

الأول: مبدأ السهولة والتيسير[3]، وهو الذي نحا نحوه من قرأ بقراءة الهمز، وذلك لتجنب الاستثقال الحادث بنطق الألفين كما أشار أبو حيان، والسهولة والتخلص من الاستثقال مقصد تسعى له اللغات عموماً، فساغ التعليل به هنا.

الثاني: مبدأ المخالفة الصوتي، أو كما يسميه اللغويون المُحْدَثون (قانون المخالفة Dissimilation)، فإنَّ الاستثقال في لفظ (خطاياكم) حاصل من اجتماع الألفين كما يرى أبو حيان، وإذا احتسبنا فتحة الياء يُتصوَّر اجتماع ثلاثة ألفات على ما قال، والتخلص من هذا التماثل في الكلمة الواحدة يكون بالمخالفة، وذلك بهمز أحد الألفين.

وحاصل قانون المخالفة أنَّ المتكلم يعمد - بتأثير هذا القانون - إلى صوتين متماثلين تماماً في كلمة من الكلمات، فيغير أحدهما إلى صوت آخر؛ والغاية في هذا تيسير النطق وتقليل الجهد المبذول، ومثال ذلك كلمة (شمس) في العربية، فإنها في السامية الأولى (شمش)، جرى عليها في العربية قانون المخالفة، فأحالها إلى (شمس)[4]، ومثل ذلك ما حدث مع قراءة (خَطَأيَاكُم) أو (خَطَايَأْكُم)، فإنَّ القارئ قد تخلص من التماثل بين الألفين في الكلمة الواحدة بهمز أحدهما.

ويشير الدكتور فوزي الشايب إلى أنَّ العربية تحرص على المخالفة الصوتية؛ لما تؤمن به من تنوُّعٍ موسيقي مُحَبَّب، تظهر معه الأصوات على حقيقتها، نطقاً وسمعاً[5].

(١) شطر بيت سبق تخريجه.

(٢) البحر المحيط، أبو حيان (٣٦١/١).

(٣) ولاستيفاء التفصيل حول مبدأ السهولة والتيسير ينظر: التطور اللغوي، رمضان عبد التواب (٥٥).

(٤) ينظر: التطور اللغوي، رمضان عبد التواب (٥٧)، وأثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، فوزي الشايب (٢٩٨).

(٥) ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، فوزي الشايب (٢٩٨).

الموضع الثالث: في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]. قرأ زهير القرشي، ويقال له: زهير الكسائي وزهير الفُرْقُبي (أدنأُ) بهمزة مضمومة في آخره(١).

تعليل القراءة: ضَعَّفَ عدد من العلماء قراءة الهمز في لفظ ﴿أَدْنَىٰ﴾، مع أن لها وجهاً مقبولاً في العربية، وقال بعضهم بأنها لم تُسمع عن العرب، وأنَّ ترك همز اللفظ أولى، فقال الفراء (ت: ٢٠٧هـ): «وقد كان زُهير الفُرْقُبي يهمز ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]، ولم نر العرب تهمزُ ﴿أَدْنَىٰ﴾ إذا كان من الخِسَّة»(٢)، وقال الزجاج (ت: ٣١١هـ): «ترك الهمزة أولى بالاتباع»(٣).

مع الإقرار منهم بأنَّ لقراءة الهمز وجهاً ومخرجاً مقبولاً في اللغة، فقال الفراء (ت: ٢٠٧هـ): «﴿أَدْنَىٰ﴾ أي: الذي هو أقرب، من الدُّنُوِّ، ويقال: من الدَّناءة»(٤). وقال الزجاج (ت: ٣١١هـ): «و﴿أَدْنَىٰ﴾: القراءة فيه بغير الهمز، وقد قرأ بعضهم: (أدنأ)، وكلاهما له وجه في اللغة، إلا أن ترك الهمزة أولى بالاتباع.

أما ﴿أَدْنَىٰ﴾ غير مهموز، فمعناه الذي هو أقرب، وأقل قيمة، كما تقول: هذا ثوب مقارب، فأما الخسيس فاللغة فيه أنه مهموز، يقال: دَنُؤَ دناءة، وهو دنيء بالهمزة، ويقال: هذا أدنأ منه بالهمزة»(٥).

---

(١) ينظر: معاني القرآن، الفراء (١٤٤/١)، ومختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه (١٤)، والكشاف، الزمخشري (١٤٥/١)، والمحرر الوجيز، ابن عطية (١٥٣/١)، ومفاتيح الغيب، الرازي (٥٣٢/٣)، والمغني في القراءات، النَّوزاوازي (٤٢٠/١)، والبحر المحيط، أبو حيان (٣٧٧/١).

(٢) معاني القرآن، الفراء (٤٢/١).

(٣) معاني القرآن، الزجاج (١٤٣/١).

(٤) معاني القرآن، الفراء (٤٢/١).

(٥) معاني القرآن، الزجاج (١٤٤/١). قال الخليل: «دَنُؤَ يَدْنُؤُ دَناءةً فهو دَنِيءٌ، أي حقيرٌ قريبٌ من اللُّؤْم. والدُّنُوُّ، غير مهموز، دَنَا فهو دانٍ ودَنِيٌّ». العين، الخليل (٧٥/٨).

وقول علي بن سليمان الأَخْفَش (ت: ٣١٥هـ) أن أصل ﴿أَدْنَىٰ﴾: (أَدْنَأُ) مهموزاً، من دَنَأَ يَدْنَأُ دَنَاءَة، وهي الشيء الخَسيس، إلا أنه خفّف همزته[١]. وقال أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ): «وقرئ (أدنأُ) من الدناءة، وقد حملت المشهورة - ﴿أَدْنَىٰ﴾ - على أن ألفها مبدلة من الهمزة»[٢].

ويرى العكبري (ت: ٦١٦هـ) أنَّ ألف ﴿أَدْنَىٰ﴾ منقلبة عن واو لا عن همز؛ لأنه من دنا يدنو إذا قرب. وله معنيان: أحدهما: أن يكون المعنى ما تقرب قيمته لخساسته، ويسهل تحصيله. والثاني: أن يكون بمعنى القريب منكم لكونه في الدنيا[٣].

وعلل بعضهم بأن ﴿أَدْنَىٰ﴾ مأخوذ من الدون أي الأحط، فأصله: (أدون) أفعل، قُلب فجاء: أفلع، وقُلبت الواو ألفاً لتطرفها[٤]. وهذا بعيد إن لم يكن خطأً، فقد خَطَّأ ذلك التوجيه الواحدي بعد تعليل القراءة؛ لأن (دون) لا يشتق منها فعل.

قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ): «﴿أَدْنَىٰ﴾ أفعل من الدنو، ومعناه: أتستبدلون الذي هو أقرب وأسهل متناولاً... ويجوز أن يكون معنى الدنو في قرب القيمة... ويجوز أن يكون أفعل من الدناءة، وتُرك همزه؛ لأن العرب تقول: إنه لَدَنِيٌّ يُدَنّي في الأمور، غير مهموز، أي: يتتبع خسيسها وأصاغرها... وقال بعض النحويين: ﴿أَدْنَىٰ﴾ هاهنا بمعنى أدون، أي: أوضع وأخس، فقدمت النون وحولت الواو ألفاً، وهذا خطأ، فقد أجمعوا على أنه لا يشتق فعل من (دون) إذا كان بمعنى أخس، كقولهم: فلان دونك في الشرف»[٥].

وفي المحتسب أنَّ العرب «تقول: دَنُؤ الرجل يَدْنُؤ دناءَة، وقد دَنأ يدنأ إذا كان دنيئاً لا خير فيه، غير أن القراءة بترك الهمز: ﴿أَدْنَىٰ﴾، وينبغي أن يكون من دنا يدنو؛ أي: قريب»[٦].

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١٥٣/١)، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل (١١٩/٢).
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (١٠٧/١).
(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، العكبري (٦٨/١).
(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية (١٥٣/١).
(٥) التفسير البسيط، الواحدي (٥٨٦/٢).
(٦) المحتسب، ابن جني (٨٩/١).

ونلاحظ هنا أنَّ أصل الاشتقاق في الكلمة والحمل على معنى جديد هو المُعَوَّل عليه في توجيه قراءة الهمز، ولولا حمل اللفظ على اشتقاق مغاير لِمَا جاءت عليه قراءة العامة، لَمَا ساغ همز اللفظ مطلقاً.

الموضع الرابع: في قوله تعالى: ﴿**وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَا**﴾ [النساء: ١٦]. قرئ (وَاللَّذَأَنِّ) بالهمزة وتشديد النون[١].

تعليل القراءة: تعللت قراءة الهمز هنا بالتخلص من الساكنين، فقال أبو حيان (ت: ٧٤٥هـ): «قرئ (وَاللَّذَأَنِّ) بالهمزة وتشديد النون، وتوجيه هذه القراءة أنه لما شدد النون[٢] التقى ساكنان، ففر القارئ من التقائهما إلى إبدال الألف همزة، تشبيهاً لها بألف (فاعل) المدغم عينه في لامه كما قرئ: (وَلَا الضَّأَلِّينَ)»[٣].

فالتقاء الساكنين هو الداعي للتخلص منه ولو بهمز الكلمة، فقد تقرر أن همز الحرف وجهٌ من وجوه التخلص من الساكنين في العربية، قال السيوطي (ت: ٩١١هـ): «وربما فُرَّ من التقائهما - أي: الساكنين - في المتصل بإبدال همزة مفتوحة من الألف»[٤].

والساكنان في لفظ (اللذانِّ) مشددة النون هما الألف والنون المدغمة في مثلها، فأُريد تحريك الساكن الأول وهو الألف فهُمز، إذ إنَّ الألف تؤول همزة عند تحريكها، قال ابن جني (ت: ٣٩٢هـ): «وإذا تحركت الألف انقلبت همزة»[٥].

---

(١) ينظر: مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه (٣٢)، والكشاف، الزمخشري (٤٨٨/١)، والبحر المحيط، أبو حيان (٥٦٠/٣).

(٢) قراءة الجمهور: (واللذان) بتخفيف النون. وقرأ ابن كثير: بالتشديد. ينظر: الحجة للقراء السبعة، الفارسي (١٤١/٣)، وحجة القراءات، ابن زنجلة (١٩٣)، والكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، الهذلي (٥٢٦)، وتحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري (٣٣٦).

(٣) البحر المحيط، أبو حيان (٥٦٠/٣).

(٤) همع الهوامع، السيوطي (٤٠٩/٣، ٤١٠).

(٥) الخصائص، ابن جني (١٤٩/٣). وينظر: الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور (٢١٨).

وقد أشار أبو حيان في توجيهه للقراءة إلى أمرٍ آخر، وهو تشبيه إبدال الألف همزة هنا فراراً من التقاء الساكنين بألف فاعل المدغم عينه في لامه، وذلك في مثل الفعل (حلَّ) الذي أصله (حلل)، فإنَّ اسم الفاعل منه (حالٌّ)، وذلك في كلِّ ثلاثي مضعف نحو: ضلَّ، وردَّ وأمثالها.

فقد ورد همزه أيضاً تخلصاً من التقاء الساكنين، كما في قراءة (الضألِّين) التي سبق تخريجها وتعليلها. ووجه الشبه وقوع الألف قبل المدغم المشدد، فهُمز في اللفظين (اللذانِّ والضالِّين).

الموضع الخامس: في قوله تعالى: ﴿**قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦ**﴾ [يونس: ١٦]. قرأ ابن عباس والحسن وأبو رجاء وابن سيرين (ولا أَدْرَأْتُكُم به) بالهمز والتاء[(١)].

تعليل القراءة: ذهب الفراء (ت: ٢٠٧هـ) إلى أنَّ هذا الهمز يحتمل أن يكون لغة عن العرب؛ لامتناع اشتقاق الكلمة من الفعل (درى) مهموزة على هذا النحو، ويحتمل أنه نوع من القياس والحمل على الشبيه، قياساً من المتكلم على فعلٍ مهموز شبيه بـ (درى)، وهو الفعل (درأ) مهموز اللام، وهذا نوع من الغلط كما يُفهم من كلام الفراء، حيث قال: «فإن يكن فيها لغة سوى (دريت) و(أدريت) فلعلّ الحسن ذهب إليها. وأمّا أن تصلح من (دريت) أو (أدريت) فلا؛ لأن الياء والواو إذا انفتح ما قبلهما وسكنتا صحَّتا ولم تنقلبا إلى ألف، مثل: (قضيت) و(دعوت). ولعل الحسن ذهب إلى طبيعته وفصاحته فهمزها؛ لأنها تضارع (درأت الحد) وشبهه.

---

(١) ينظر: معاني القرآن، الفراء (٤٥٩/١)، ومختصر في شواذ القراءات، ابن خالويه (٦١)، وجامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٤٢/١٥)، والمحتسب، ابن جني (٣٠٩/١)، والمحرر الوجيز، ابن عطية (١١٠/٣)، والمغني في القراءات، التَّوزاوازي (٩٥٢/٢).

وربما غلطت العرب في الحرف إذا ضارعه آخر من الهمز فيهمزون غير المهموز، سمعتُ امرأة من طيئ تقول: رثأْتُ زوجي بأبيات. ويقولون: لبَّأْت بالحج، وحَلَّأْتُ السَّوِيق فيغلطون؛ لأنَّ (حَلَّأْت) قد يُقال في دفع العِطاش من الإبل، و(لبَّأت) ذهب إلى اللِّبأ الَّذي يؤكل، و(رثأتُ زوجي) ذهبتْ إلى رثيئة اللبن، وذلك إذا حلبت الحليب على الرائب»[1].

وقد خَطَّأ هذه القراءة كثيرون، معللين ذلك بأنْ لا وجه للقراءة في العربية، فقال الطبري (ت: ٣١٠هـ): «وهذه القراءة التي حكيت عن الحسن عند أهل العربية غلطٌ... وكان بعض البصريين يقول: لا وجه لقراءة الحسن هذه؛ لأنها من (أدريت) مثل (أعطيت)، إلا أن لغةً لبني عقيل: أعطَأتُ، يريدون: أعطيت، تحوِّل الياء ألفاً»[2]. وقال أبو عبيدة: «ما أرى ذلك إلا غلطاً منه في الرواية؛ لأنه لا مخرج لها في العربية»[3].

وفي المحتسب أوجد ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) للقراءة تأويلاً افتراضيّاً بعد إظهار التعجب منها، فقال: «هذه قراءة قديمة التناكر لها والتعجب منها، ولعمري إنها في بادئ أمرها على ذلك غير أن لها وجهاً، وإن كانت فيه صفة وإطالة.

وطريقه أن يكون أراد: (ولا أدريتكم به) ثم قلب الياء ألفاً لانفتاح ما قبلها. وإن كانت ساكنة ألفاً، كقولهم في ييئس: ياءَس، وفي ييبس: يابَس... فلما صارت (أدريتكم) إلى (أدراتكم) همز على لغة من قال في الباز: البأز، وفي العالم: العألم، وفي الخاتم: الخأتم»[4].

وهذا التأويل وإن كان متكلفاً وفيه من التطويل ما فيه، إلا أنه أولى من القول بغلط القراءة كما يرى ابن جني، فقد قال بعد تمام الاحتجاج لهذه القراءة: «وهذا وإن طالت الصنعة فيه أمثل من أن تُعطَى اليد بفساده وترك النظر في أمره»[5].

(١) معاني القرآن، الفراء (٤٥٩/١).
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٤٣/١٥).
(٣) بحر العلوم، السمرقندي (١٠٨/٢).
(٤) المحتسب، ابن جني (٣٠٩/١، ٣١٠).
(٥) المحتسب، ابن جني (٣١٠/١).

وخَرَّج الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) همز القراءة على وجهين:

«**أحدهما**: أن تقلب الألف همزة، كما قيل: لبَّأْتُ بالحج، ورثأت الميت، وحَلَّأْتُ السَّوِيق؛ وذلك لأنّ الألف والهمزة من واد واحد، ألا ترى أنّ الألف إذا مستها الحركة انقلبت همزة.

والثاني: أن يكون من (درأته) إذا دفعته، و(أدرأته) إذا جعلته دارئاً، والمعنى: ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤوننى بالجدال وتكذبونني»[١].

وتوجَّهت القراءة كذلك عند أبي حيان (ت: ٧٤٥هـ) على الوجهين السابقين بمزيد بيان، ففي الأول: أن الأصل (أدريتكم) بالياء فقلبها همزة[٢] على لغة من قال: لبَّأْتُ بالحج... وجاز هذا البدل لأن الألف والهمزة من واد واحد، ولذلك إذا حركت الألف انقلبت همزة، كما قالوا في العالم: العألم، وفي المشتاق: المشتأق. وفي الثاني: أن الهمزة أصل في اللفظ وهو من (الدرء)، وهو الدفع، يقال: درأته دفعته، كما قال: ﴿**وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ**﴾ [النور: ٨][٣].

ونسب أبو إسحاق الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) القراءة إلى بني عقيل كما نسبها قبله الطبري، فقال الثعلبي: «قرأ الحسن: (ولا أدرأتكم به)، وهي لغة بني عقيل، يحولون الياء ألفاً، فيقولون: أعطأت بمعنى أعطيت... وجاراة وناصاة للجارية والناصية»[٤]. وقال ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ): «وروينا عن قطرب: أن لغة عقيل في أعطيتك أعطأتك»[٥].

---

(١) الكشاف، الزمخشري (٣٣٥/٢).

(٢) والمقصود هنا قلب الياء ألفاً ثم همز الألف، وليس همز الياء ابتداءً، ودليل ذلك تمام كلام أبي حيان، وقال أبو حاتم: قلب الحسن الياء ألفاً كما في لغة بني الحارث بن كعب، يقولون: السلام علاك، ثم همز على لغة من قال في العالم: العألم. ينظر: البحر المحيط، أبو حيان (٢٦/٦).

(٣) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان (٢٥/٦)، والدر المصون، السمين الحلبي (١٦٤/٦).

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي (١٢٤/٥).

(٥) المحرر الوجيز، ابن عطية (١١٠/٣).

الموضع السادس: في قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]، قرأ الحسن وعمرو بن عبيد وأبو السَّمَّال وأيوب السختياني: (الجَأَنَّ) بهمزة مفتوحة، غير أن عمرو بن عبيد أسكن الهمزة(١).

ومثل ذلك هُمز لفظ (الجانّ) في مواضع أخرى كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [النمل: ١٠](٢)، وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦](٣).

تعليل القراءة: بيَّن النحاس (ت: ٣٣٨هـ) أن الهمز هنا للتخلص من اجتماع الساكنين، وأن ترك الهمز أجود وأفصح؛ لإمكان اجتماع الساكنين في مثل هذا التركيب الصوتي، حيث وجود حرف المد والصوت بعده مدغم، فقال النحاس: «وروي عن الحسن أنه قرأ (والجَأَنَّ خلقنه) بالهمز كأنه كره اجتماع الساكنين. والأجود بغير همز، ولا ينكر اجتماع ساكنين إذا كان الأول حرف مد ولين والثاني مدغماً»(٤).

وخرَّج الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) القراءة على أنها لغة، وهي للخلاص من التقاء الساكنين أيضاً، فقال: «قرأ عمرو بن عبيد: (ولا جَأَنٌّ) وهذه لغة من جدّ في الهرب من التقاء الساكنين»(٥). وقال ابن جني (ت: ٣٩٢هـ): «لما حرك الألف لالتقاء الساكنين همزها»(٦).

---

(١) ينظر: مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه (٧٤، ٧٥)، والكشاف، الزمخشري (٥٧٦/٢)، والمحرر الوجيز، ابن عطية (٣٥٩/٣)، والمغني في القراءات، النَّوزاوازي (١٠٨٨/٣)، والبحر المحيط، أبو حيان (٤٧٦/٦)، وإتحاف فضلاء البشر، البناء (٣٤٦).

(٢) ينظر: المحتسب، ابن جني (١٣٥/٢).

(٣) قرأ الحسن وعمرو بن عبيد: (ولا جأن) بالهمز. ينظر: مختصر في شواذ القراءات، ابن خالويه (٧٥)، والكشاف، الزمخشري (١٧/١) (٤٥٠/٤)، والمحرر الوجيز، ابن عطية (٢٣٤/٥).

(٤) إعراب القرآن، النحاس (٢٣٩/٢).

(٥) الكشاف، الزمخشري (١٧/١) (٤٥٠/٤).

(٦) المحتسب، ابن جني (٣٠٥/٢).

وحكى أبو زيد قال: سمعت عمرو بن عبيد يقرأ: (فيومئذ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جَأَنٌّ)، فظننته قد لحن حتى سمعت من العرب: دأَبَّة وشأَبَّة»[1].

ومن الواضح هنا أن التخلص من التقاء الساكنين هو الذي حمل القارئ على همز الألف، وإن كان هذا الالتقاء مما يجيزه المقطع الصوتي العربي، والساكنان هما الألف والنون الأولى المدغمة، وتحريك الحرف الأول من الساكنين يُخرج المقطع من التقاء الساكنين، ولما كان الأول ألفاً وحُرِّك هُمز.

الموضع السابع: في قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ﴾ [الحج: ٥، فصلت: ٣٩]، قرأ الجمهور: (وَرَبَتْ)، وقرأ أبو جعفر المدني يزيد بن القعقاع (وَرَبَأَتْ) في الموضعين - الحج وفصلت - بهمزة مفتوحة بعد الباء[2]، وكذلك قرأ بالهمز عبد الله بن جعفر، وخالد بن إلياس، وأبو عمرو بن العلاء في رواية رواها الرؤاسي[3].

تعليل القراءة: ذهب أكثر العلماء إلى أن الفارق بين القراءتين هو الاشتقاق، فقراءة (رَبَتْ) مشتقة من الفعل (ربا يربو) وأما قراءة (رَبَأَتْ) فهي مشتقة من الفعل (رَبَأَ يَربَأ) إذا ارتفع، وعلى هذا التوجيه فليس ثمة همز لما ليس بمهموز، لاختلاف الاشتقاق في الكلمتين. قال الزجاج (ت: ٣١١هـ): «ومن قرأ: (وَرَبَتْ) فهو من ربا يربو إذا زاد على أي الجهات، ومن قرأ (وَرَبَأَتْ) بالهمز فمعناه ارتفعت»[4]. وقال في موضع آخر: «ويُقرأ (وَرَبَأَتْ) بالهمز، ومعنى (رَبَتْ) عَظُمَتْ، ومعنى (رَبَأَتْ) ارتفعت؛ لأن النبت إذا هم أن يظهر ارتفعت له الأرض»[5].

(١) المحتسب، ابن جني (٤٧/١)، والمحرر الوجيز، ابن عطية (٢٣٤/٥).

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر، النيسابوري (٣٠٥)، وجامع البيان، الطبري (٥٧١/١٨)، والنشر، ابن الجزري (١٨١٤/٥، ١٨٩٥/٥، ١٨٩٦).

(٣) ينظر: معاني القرآن، الفراء (٢١٦/٢)، ومختصر في شواذ القراءات، ابن خالويه (٩٦)، وجامع البيان، الطبري (٥٧١/١٨)، والمحتسب، ابن جني (٧٤/٢)، والكشاف، الزمخشري (٢٠١/٤)، والمحرر الوجيز، ابن عطية (١٠٩/٤)، والمغني في القراءات، النَّوزاوازي (١٢٨١/٣)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٣/١٢)، والبحر المحيط، أبو حيان (٤٨٧/٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٤١٣/٣).

(٥) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣٨٨/٤).

وقال النحاس (ت: ٣٣٨هـ): «وقراءة أبي جعفر (اهتزّت وَرَبَأَتْ) مأخوذ من الربيئة، يقال: رَبَأَ يَربَأ فهو رابئ، وربُؤ يربُؤ فهو ربيء، وربيئة على المبالغة، إذا ارتفع إلى موضع عال يرقب، فمعنى (وَرَبَأَتْ): ارتفعت»(١).

يقال: «رَبَأْتُ القومَ رَبْأً، إذا كنتَ ربيئة لهم، وهذا مهموز. والرَّبْو: مَوضع مرتفع»(٢). وربأتُ القومَ أربُؤهم رَبْأً، إذا كنت لهم طَليعة. ورَبَأْتُ بك عن هذا الْأَمر أربَأ بك، أَي عظَّمتُك وأجللتك عنه(٣). وفي العين: «رَبَأَ القوم على الشَّيء يربؤون إذا أشرفوا عليه»(٤)، ورَبَأْتُ المربأة وارتبأتها أي: علوتها. والربيء، والرَبيئَةُ: الطليعة، والجمع: الربايا(٥).

وقال قوم بغلط القراءة، حتى على أنها من قبيل همز ما ليس بمهموز من الألفاظ، وقد وصفها ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ) بأنها غير وجيهة(٦)، وممن قال بغلطها الفراء (ت: ٢٠٧هـ) حيث قال: «وبعض القُرَّاء قد قرأ: (وَرَبَأَتْ)، ونرى أنه من غلط القارئ؛ لأنِّي سمعتُ امرأةً من العرب تقول: رَثَأْتُ زوجي بأبيات»(٧).

وذكر احتمالاً آخر للقراءة في معاني القرآن، فقال: «قرأ - أبو جعفر المدني - (اهتَزت ورَبَأَت) مهموزة، فإن كان ذهب إلى الرَّبيئة الَّذي يحرس القوم فهذا مذهب، أي ارتفعت حتى صارت كالموضع للربيئة، فإن لم يكن أراد من هذا هذا فهو من غلط قد تغلطه العرب فتقول: حَلَّأْتُ السَّوِيق، ولبَّأت بالحجّ، ورثأت الميّت. وهو كما قرأ الْحَسَن (وَلَأَدْرَأتكم بِهِ) يهمز، وهو ممّا يُرفَض من القراءة»(٨).

(١) إعراب القرآن، النحاس (٤٤/٤) (٢٧٣/٦). وبمثله قال مكي القيسي في مشكل إعراب القرآن (٦٤٢/٢).
(٢) جمهرة اللغة، ابن دريد (١٠٢٠/٢).
(٣) جمهرة اللغة، ابن دريد (١٠٩٧/٢).
(٤) العين، الخليل (٢٨٨/٨).
(٥) الصحاح، الجوهري (٥٢/١).
(٦) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١٠٩/٤).
(٧) كتاب فيه لغات القرآن، الفراء (٩٨).
(٨) معاني القرآن، الفراء (٢١٦/٢).

وقال ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) في توجيه قراءة الهمز هنا: «المسموع في هذا المعنى رَبَتْ؛ لأنه من ربا يربو: إذا ذهب في جهاته زائداً، وهذه حال الأرض إذا ربت. وأما الهمز فمن: رَبَأْتُ القوم: إذا أشرفتَ مكاناً عالياً لتنظر لهم وتحفظهم. وهذا إنما فيه الشخوص والانتصاب، وليس له دلالة على الوفور والانبساط، إلا أنه يجوز أن يكون ذهبه إلى علوّ الأرض؛ لما فيه من إفراط الربو، فإذا وصف علوَّها دل على أن الزيادة قد شاعت في جميع جهاتها؛ فلذلك همز، وأخذه من: ربأتُ القوم؛ أي: كنت لهم طليعة. وهذا مما يذكر أحد أوصافه، فيدل على بقية ذلك وما يصحبه»(١).

والمعنيان متقاربان وإن اختلف اللفظ والاشتقاق، يقول ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) عن قراءة الهمز: «هذه القراءة راجعة بمعناها إلى معنى ما عليه قراءة الجماعة، وذلك أن الأرض إذا ربت ارتفعت، والرابئ أيضاً كذلك؛ لأنه هو المرتفع. ومنه الربيئة، وهو طليعة القوم، وذلك لشخوصه على الموضع المرتفع»(٢).

واختار الهذلي (ت: ٤٦٥هـ) قراءة العامة (وَرَبَت) على قراءة الهمز، فقال: «(وربأت) بفتح الهمزة أبو جعفر وشيبة، غير أن الْعُمَرِيّ يلينها حيث وقعت، الباقون بغير همز، وهو الاختيار»(٣).

وقراءة (وربأت) تحتمل أنها من قبيل الهمز المقحم، وتحتمل أنها من قبيل همز الألف، فإنَّ لام الفعل ألف (ربا)، وتسقط هذه الألف باتصال التاء الساكنة بالفعل فنقول: (رَبَتْ)، وإدخال الهمزة إقحام لها على الفعل من هذا الوجه.

أما لو قلنا: إنَّ الفعل (ربا) أريد وصله بتاء التأنيث من غير حذف لاجتمع ساكنان، فهمز القارئ الألف بدل إسقاطها، وهنا يكون من قبيل همز الألف، والعلة التخلص من التقاء الساكنين.

---

(١) المحتسب، ابن جني (٢/٧٤).
(٢) المحتسب، ابن جني (٢/٢٤٧).
(٣) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، الهذلي (٣٩٤).

الموضع الثامن: في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ [النمل: ٤٤]، قرأ ابن كثير وحده في رواية أبي الإخريط (سَأقَيهَا) بالهمزة(١). قال ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ): «واختلفوا في: (ساقيها)، و(بالسوق) في ص(٢)، و(على سوقه) في الفتح(٣)، فروى قنبل همز الألف والواو فيهن»(٤).

تعليل القراءة: علل ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) الهمز في القراءة بأنَّه «على لغة من همز الألف والواو، وهي لغة أبي حية النميري... وقال أبو حيان: بل همزها لغة فيها. قلتُ: وهذا هو الصحيح والله أعلم»(٥).

وقال ابن زنجلة (ت: ٤٠٣هـ): «قرأ القوَّاس (عَن سَأقَيهَا) بِالْهَمْز، وقرأ الباقون بترك الهمز وهما مثل: كاس وياس وساق، والعرب تهمز ما لا يهمز تشبيهاً بما يهمز، فـ (كاس وياس وساق) وزنها واحد يشبه بعضها ببعض، أَلا ترى أَن العرب تقول: حَلَّأْتُ السَّوِيق، وَالْأَصْل: حلَّيْتُ، تشبيهاً بـ (حلأت الْإِنْسان عن المَال والإبل)»(٦).

ويرى الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) أنه من قبيل الحمل على الشبيه، فقال: «ووجهه أنه سمع: سؤقاً، فأجرى عليه الواحد»(٧). وضعفها بعضهم فـ «قال أبو علي: وهي ضعيفة، وكذلك يضعف الهمز في قراءة قنبل (يكشف عن سأق)، فأما همز (السؤق) و(على سؤقه) فلغة مشهورة في همز الواو التي قبلها ضمة»(٨).

---

(١) ينظر: السبعة، ابن مجاهد (٤٨٣)، والتيسير، الداني (١٦٨)، والمبسوط في القراءات العشر، النيسابوري (٣٣٣)، والمحرر الوجيز، ابن عطية (٢٦٢/٤).

(٢) يريد قوله تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣].

(٣) يريد قوله تعالى: ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

(٤) النشر، ابن الجزري (١٨٣٨/٥). وينظر: الكشاف، الزمخشري (٣٧٠/٣)، وإتحاف فضلاء البشر، البناء (٤٢٩).

(٥) النشر، ابن الجزري (١٨٣٨/٥).

(٦) حجة القراءات، ابن زنجلة (٥٣٠).

(٧) الكشاف، الزمخشري (٣٧٠/٣).

(٨) المحرر الوجيز، ابن عطية (٢٦٢/٤). وينظر: الحجة للقراء السبعة، الفارسي (٣٩٢/٥)، والبحر المحيط، أبو حيان (٢٤٤/٨).

وجعل الأزهري (ت: ٣٧٠هـ) ذلك من قبيل الوهم، فقال: «قال أبو منصور: لا وجه لما روى قنبل عن ابن كثير في همز (ساقيها)، وهو وَهْمٌ، فإيَّاك وهمزه، فإنه ليس من باب الهمز»(١).

وفرَّق أبو علي الفارسي (ت: ٣٧٧هـ) بين هذه الألفاظ المهموزة، فاستبعد أن يكون للهمز وجه في الإفراد والتثنية - (ساق) و(ساقيها) - وأما (على سؤقه) و(بالسّوق) فهمز ما كان من الواوات الساكنة إذا كان قبلها ضمة، قد جاء في كلام العرب وإن لم يكن بالفاشي(٢).

وقال النيسابوري (ت: ٣٨١هـ): «والصحيح المأخوذ به ترك الهمز في جميع الروايات»(٣).

ونبه الباقولي (ت: ٥٤٣هـ) هنا إلى فكرة طرد الباب على وتيرة واحدة عند المتكلم، فقال: «وقوله: (فَاسْتَوى عَلى سُؤقِهِ). همز الواو لمجاورة الضمة، كما همزها إذا انضمت، ولهذا قرأ من قرأ: (كَشَفَتْ عَنْ سأقَيْها)، بالهمز، كما اعتاد الهمز في (السوق)»(٤).

وجاء عند ابن خالويه (ت: ٣٧٠هـ) وجهان لتعليل القراءة: حمل على الشبيه، وإبدال صوتي، فقال: «قرأه الأئمة بإرسال الألف إلا ما قرأه ابن كثير بالهمز مكان الألف، وله في ذلك وجهان: أحدهما: أن العرب تشبه ما لا يهمز بما يهمز فتهمزه تشبيهاً به، كقولهم: حَلَّأْتُ السَّوِيق، وإنما أصله في قولهم: حلأت الإبل عن الحوض، إذا منعتها من الشرب. والآخر: أن العرب تبدل من الهمز حروف المد واللين، فأبدل ابن كثير من حروف المد واللين همزة تشبيهاً بذلك»(٥).

وقال البَنَّاء (ت: ١١١٧هـ): «فقنبل بهمزة ساكنة بدل الألف، والواو لغة فيها، وهي أصلية على الصحيح، وقيل: فرعية كهمز (يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوج)»(٦).

(١) معاني القراءات، الأزهري (٢٤١/٢).
(٢) ينظر: الحجة للقراء السبعة، الفارسي (٣٩٢/٥).
(٣) المبسوط في القراءات العشر، النيسابوري (٣٣٣).
(٤) إعراب القرآن، الباقولي (٨٨١/٣).
(٥) الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه (٢٧٢).
(٦) إتحاف فضلاء البشر، البناء (٤٢٩).

الموضع التاسع: في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾ [يونس: ٢٤]، وفي لفظ (وازَّيَّنَتْ) التي هي قراءة الجمهور[١] جاءت قراءات متعددة[٢]، اثنان منها مهموزة، الأولى على أنها من قبيل همز ما ليس بمهموز، والثانية مهموزة على الأصل.

فقد قرأ أبو عثمان النَّهْديُّ وأبو العالية الرِّياحيُّ (وازْيأَنَّت) بهمزة وصل بعدها زاي ساكنة وياء مفتوحة وهمزة كذلك ونون مشددة وتاء تأنيث[٣].

وقرأ سعد بن أبي وقاص، والأعرج، والشعبي، وقتادة، وأبو العالية، ونصر بن عاصم، والحسن رواية ابن أرقم، وعيسى الثقفي، والجعفي، ويونس، وهارون عن أبي عمرٍو (وأَزْيَنَتْ) بهمزة قطع وزاي ساكنة وتخفيف الياء؛ أي: صارت ذات زينة[٤].

تعليل القراءة: الأصل في قراءة الجمهور (وازَّيَّنَتْ): (تزيّنت)، أدغمت التاء في الزاي وجيء بألف الوصل لأن الحرف المدغم مقام حرفين الأول منهما ساكن، والساكن لا يمكن الابتداء به، واجتلاب همزة الوصل لضرورة تسكين الزَّاي عند الإدغام[٥].

---

(١) قرأ السبعة ومروان بن الحكم وأبو جعفر وشيبة ومجاهد والجمهور: (وَازَّيَّنَتْ). ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١١٤/٣)، والبحر المحيط، أبو حيان (٣٨/٦).

(٢) ومع تعددها فإنَّ معناها واحد. قال ابن عطية بعد ذكر القراءات والوجوه: «والمعنى في هذا كلِّه: ظهرت زينتها». ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١١٤/٣).

(٣) ينظر: مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه (٦١)، والمحتسب، ابن جني (٣١١/١)، والمغني في القراءات، التَّوزاوازي (٩٥٧/٢)، وروح المعاني، الآلوسي (٩٥/٦). وعن أبي عثمان النَّهْدِيِّ أيضاً: (وَازْيَانَتْ) وروي عنه (وأَزْيَنَتْ) ثلاث قراءات. ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣٢٧/٨).

(٤) ينظر: إعراب القرآن، النحاس (١٤٥/٢)، والمحتسب، ابن جني (٣١١/١)، ومشكل إعراب القرآن، مكي القيسي (٣٤٣/١)، والكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، الهذلي (٣٨٧)، والمغني في القراءات، التَّوزاوازي (٩٥٦/٢)، والبحر المحيط، أبو حيان (٣٨/٦)، وإتحاف فضلاء البشر، البناء (٣١١).

(٥) إعراب القرآن، النحاس (١٤٤/٢، ١٤٥). وينظر: التبيان في إعراب القرآن، العكبري (٦٧١/٢)، وإعراب القرآن العظيم، زكريا الأنصاري (٣١٨)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣٢٧/٨)، والبحر المحيط، أبو حيان (٣٨/٦).

وأما قراءة (وازْيأَنَّت) فهي على وزن (افْعَأَلَّتْ)، كأنه كانت في الوزن بوزن احْمَارَّتْ، لكنهم كرهوا الجمع بين ساكنين، فحركت الألف فانقلبت همزة مفتوحة[1]. فالهمز هنا للتخلص من التقاء الساكنين.

قال ابن جني (ت: ٣٩٢هـ): «وأما (ازْيأَنَّت) فإنه أراد افعالَّت، وأصله: ازيانَّت مثل: ابياضَّت واسوادَّت، إلا أنه كره التقاء الألف والنون الأولى ساكنتين، فحرك الألف فانقلبت همزة»[2]. وعلى هذا تكون القراءة بهذه الصيغة هي من قبيل همز ما ليس بمهموز، وتخريج الهمز فيها تخلصاً من التقاء الساكنين.

وقد نسب ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ) القراءة إلى فرقة، وخَرَّجها على أنها لغة من لغات العرب، وذكر لها شاهداً شعريّاً يكثر ترداده في مثل هذه المواضع فقال: «وقرأت فرقة (وازْيأَنَّت)، وهي لغة، منها قول الشاعر ابن كثير:

إذا ما الهوادي بالغبيط احمأرّت»[3]

وأما قراءة (وأَزْيَنَتْ) فهي وإن كانت مهموزة إلا أنَّ همزها أصلي، فاشتقاقها من الفعل (أزين). قال النحاس (ت: ٣٣٨هـ): «أي جاءت بالزينة، وجاء بالفعل على أصله ولو أعلّه لقال: أزانت»[4].

وقال مكي القيسي (ت: ٤٣٧هـ): «(وأَزْيَنَتْ) على وزن أفعلت، معناه: جاءت بالزينة، لكنه كان يجب على مقاييس العربية أَن يُقال: وأزانت، مثل: أقالت، فتقلب الياء ألفاً، لكن أَتى به على الأصل ولم يعله، كما أَتَى (استحوذ) على الأصل، وكان القياس استحاذ»[5].

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان (٣٨/٦).
(٢) المحتسب، ابن جني (٣١٢/١).
(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية (١١٤/٣).
(٤) إعراب القرآن، النحاس (١٤٥/٢). وكذا قال القرطبي. ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣٢٧/٨).
(٥) مشكل إعراب القرآن، مكي القيسي (٣٤٣/١).

والمعنى الذي جاءت به القراءة على هذا الوزن هي الصيرورة أو الحينونة. قال ابن جني (ت: ٣٩٢هـ): «أما (أَزْيَنَتْ) فمعناه: صارت إلى الزينة بالنبت، ومثله من أَفعَل أي: صار إلى كذا، أجذع المهر صار إلى الإجذاع، وأحصد الزرع وأجزَّ النخل: أي صار إلى الحصاد والجزاز، إلا أنه أخرج العين على الصحة، وكان قياسه أَزانت، مثل أشاع الحديث، وأباع الثوب: أي عرضه للبيع»(١).

وقراءة الجمهور (وَازَّيَّنَتْ) هي التي اختارها الهذلي (ت: ٤٦٥هـ) ورجحها على قراءة (وَأَزْيَنَتْ)، وعلل ذلك بأنَّ الأول أشهر، فقال: «(وَأَزْيَنَتْ) بقطع الهمزة قتادة والحسن رواية ابن أرقم والجعفي ويونس وهارون عن أبي عمرو، الباقون بوصلها مشدد، وهو الاختيار؛ لأن (ازَّيَّنَ) أشهر من (أَزْيَنَ)»(٢).

الموضع العاشر: في قوله تعالى: ﴿**لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾ [النحل: ٢٣]، قرأ هارون عن أبي عمرو بن العلاء (لَأَجْرَمَ) بهمز الألف(٣).

تعليل القراءة: ذكر أبو بكر الأنباري (ت: ٣٢٨هـ) أن في ﴿**لَا جَرَمَ**﴾ ست لغات عند العرب، وأضاف لها لغة الهمز، فقال: «يقال: لا جَرَمَ أَنَّكَ محسن، وهي لغة أهل الحجاز. ولا جُرْمَ أَنَّكَ محسن، بضم الجيم وتسكين الراء. وبنو فزارة يقولون: لا جَرَ أَنَّكَ محسن. وبنو عامر يقولون: لا ذا جَرَمَ أَنَّكَ قائم. ويقال: لا أنْ ذا جَرَم أنك محسن، ولا عَنْ ذا جرم أنك محسن، وروى عبيد بن عقيل عن هارون عن أبي عمرو (لأجْرَمَ أنّ لهم النار)، على وزن لأكْرَمَ»(٤). وعلى قول الأنباري تكون الهمزة في القراءة المشار إليها هنا لغة عند بعض العرب.

(١) المحتسب، ابن جني (٣١١/١، ٣١٢). وينظر: البحر المحيط، أبو حيان (٣٨/٦).
(٢) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، الهذلي (٣٨٧).
(٣) ينظر: مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه (٧٦)، والكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، الهذلي (٥٨٤)، والمغني في القراءات، النَّوزاوازي (١١٠٣/٣)، والبحر المحيط، أبو حيان (١٣٨/٦).
(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري (٢٧٣/١، ٢٧٤).

ولم يذكر ابن سيده (ت: ٤٥٨هـ) لغة الهمز حين قال: «وَيُقَال: لَا جَرَم، وَلَا ذَا جرم، وَلَا أَنْ ذَا جرم، وَلَا عَنْ ذَا جرم، وَلَا جَرَ، حذفوه لكثرة استعمالهم إِيَّاه»[١]. وقال الصغاني (ت: ٦٥٠هـ): «وفي (لا جَرَمَ) لغات، وهي: لا جَرَمَ، ولا جَرَ، بحذف الميم، ولا ذا جَرَمَ، ولا أَنْ ذا جَرَمَ، ولا جَرُمَ، بوزن (كَرُمَ). ومعنى (لا ذا جَرَمَ) و(لا أَنْ ذا جَرَمَ): أَستغفر الله»[٢].

وزعم الفرّاء (ت: ٢٠٧هـ) أَن (لا جرم) كلمة كانت في الأصل والله أعلم بمنزلة (لابُدّ) و(لا محالة)، فكَثُر استعمالها حتى صارت بمنزلة (حقّاً). وأصلها من (جَرَمْتُ)، أَي: كَسَبْتُ الذَّنب[٣].

وقال ابن سيده (ت: ٤٥٨هـ): «إن الخليل وسيبويه ومن تبعهما من البصريين يجعلون جرم فعلاً ماضياً، ويجعلون لا داخلة عليها، فمنهم من يجعلها جواباً لما قبلهما وهم الخليل ومن تابعه ومثله يقول الرجل كان كذا وفعل كذا، فيقول: لا جرم أنهم سيندمون»[٤].

واختار الهذلي (ت: ٤٦٥هـ) القراءة من غير همز، فقال: «(لَأَجْرَمَ) بفتح الهمزة وإسكان الجيم هارون عن أَبِي عَمْرٍو، الباقون بغير همز مع فتح الجيم، وهو الاختيار على أن (جرم) مع (لا) مبنى»[٥].

وعلى ما مرَّ يكون الهمز في (لا جرم) لغة سابعة في هذا التركيب عند العرب.

الموضع الحادي عشر: في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة: ٤]. قال ابن خالويه (ت: ٣٧٠هـ): قرأ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والحسن وجماعة: (لَيُنبَذَأَنَّ) بالهمز[٦].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٤١٦/٧).
(٢) التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، الصغاني (٦٠٠/٥).
(٣) تهذيب اللغة، الأزهري (٤٦/١١). وينظر: معاني القرآن، الفراء (٨/٢).
(٤) المخصص، ابن سيده (٧٦/٤).
(٥) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، الهذلي (٥٨٤).
(٦) ينظر: مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه (١٨٠).

تحرير القراءة: القراءة المعروفة التي هي قراءة الجمهور (لَيُنْبَذَنَّ) فيه ضمير الواحد[١]. وقرأ أبو الدرداء، والحسن، ومحمد بن كعب، ونصر بن عاصم، ومجاهد، وحميد: (لَيُنبَذَانِّ) بألف وكسر النون المشددة على التثنية[٢].

وعن الحسن أيضاً (لَيُنبَذُنَّ) بضم الذال[٣]، وعن أبي عمرو وعن الحسن (لننبذنه) بنون العظمة وهاء النصب ونون التأكيد على إخبار الله تعالى عن نفسه[٤]. وعن الحسن أيضاً (لَيَنْبُذَنَّه) على معنى لينبذن ماله[٥]. وعن الحسن وأبي الأشهب (لينبِذَنَّه)[٦]، وقرئت (لَتَنْبُذُنَّ) فِي الْحُطَمَةِ، فمعناه أنه لينبذ هو وجمعُه في الحطمة[٧].

ومما تدعو الحاجة إلى تحريره هنا هو أنَّ عليّاً رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم تُنسب له قراءة بالهمز في هذا الموضع، ومثل ذلك ما نسبه ابن خالويه للحسن، فلم يذكر الهمز في القراءة هنا إلا ابن خالويه، ولا يبدو لي أنه ثمة همز في القراءة؛ إذ لم يقل أحد من العلماء بأنَّ قراءة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ والحسن بالهمز، وإنما نصوا على أنهما قرآ مع غيرهم بألف التثنية - (لَيُنْبَذَانِّ) -. قال الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ): «وقرأ عليّ كرم الله تعالى وجهه والحسن بخلاف عنه وابن محيصن وحميد وهارون عن أبي عمرو: (لَيُنْبَذَانِّ) بضمير الاثنين العائد على الهُمَزَةِ وماله، وعن الحسن أيضاً (ليُنبذُنَّ) بضم الذال وحذف ضمير الجمع،

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣٦٢/٥)، والمغني في القراءات، النَّوزاوازي (١٩٥٥/٤)، والبحر المحيط، أبو حيان (٥٤١/١٠).

(٢) ينظر: الكشاف، الزمخشري (٧٩٦/٤)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٨٤/٢٠)، والمحرر الوجيز، ابن عطية (٥٢٢/٥)، والمغني في القراءات، النَّوزاوازي (١٩٥٥/٤)، وإتحاف فضلاء البشر، البناء (٥٩٩).

(٣) ينظر: الكشاف، الزمخشري (٧٩٦/٤)، ومفاتيح الغيب، الرازي (٢٨٥/٣٢)، والبحر المحيط، أبو حيان (٥٤١/١٠).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٨٤/٢٠)، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل (٤٩٢/٢٠)، وروح المعاني، الآلوسي (٤٦٢/١٥).

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٨٤/٢٠)، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل (٤٩٢/٢٠)، والبحر المحيط، أبو حيان (٥٤١/١٠).

(٦) ينظر: المغني في القراءات، النَّوزاوازي (١٩٥٥/٤).

(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣٦٢/٥).

فقيل: هو راجع لكل هُمَزَة، باعتبار أنه متعدد، وقيل: له ولعدده أي: أتباعه وأنصاره، بناء على ما سمعت في قراءته هناك»[1].

وقال الفراء (ت: ٢٠٧هـ) في قوله تعالى: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾: «قرأها العوام: (لَيُنْبَذَنَّ) على التوحيد، وقرأها الحسن البصري وحده (لَيُنْبَذَانِّ فِي الْحُطَمَةِ) يريد: الرجل وماله»[2].

وقال النحاس (ت: ٣٣٨هـ): «والمعروف من قراءة الحسن (لَيُنْبَذَانِّ في الحطمة) بعينه وماله، وقد روي عنه (لَيُنْبَذُنَّ) بضم الذال. فقيل: لا يجوز لأنه إنما تقدّم ذكر اثنين، وقيل: هو للهُمَزَةِ واللُمَزَةِ والذي جمع مالاً»[3].

وقال مكي القيسي (ت: ٤٣٧هـ): «وَقَرَأَ الْحسن (لَيُنْبَذَانِّ) على التثنية، رده على المال وصاحبه، ويروى عنه (ليُنبذُنَّ) بضم الذَّال على الجمع، رده على الهُمزَة واللمزة والمال»[4].

وحاصل القراءات المنقولة عن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أربع، ليس منها القراءة بالهمز: (لَيُنْبَذَانِّ) بألف التثنية، أي: هو وماله. و(ليُنبذُنَّ) بضم الذال، وهو مسند لضمير الجماعة، والمعنى: ليطرحن الهُمزة، وأنصاره، واللمزة، والمال، وجامعه معاً. و(ليُنبذَنَّه) على معنى لينبذن ماله. و(لَتَنْبُذَنَّه) على إخبار الله تعالى عن نفسه، وأنه ينبذ صاحب المال[5].

والذي يبدو لي أن ابن خالويه (ت: ٣٧٠هـ) أشكل عليه أمران:

الأول: رسم الألف الشبيه برسم الهمزة، فليس بين الألف والهمزة في مثل هذا الموطن إلا النبرة التي على الألف، وقد تكون الألف أشكلت على ابن خالويه برسمها فظنها همزةً.

---

(١) روح المعاني، الآلوسي (١٥/٤٦٢).
(٢) معاني القرآن، الفراء (٣/٢٩٠).
(٣) إعراب القرآن، النحاس (٥/١٨١).
(٤) مشكل إعراب القرآن، مكي القيسي (٢/٨٤٣). وينظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، الهذلي (٦٦٣)، وإعراب القرآن، الأصبهاني (٥٥٠).
(٥) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل (٢٠/٤٩٢).

الثاني: ورود لفظ «الهُمَزة» في هذا السياق، حيث يذكره من يحتج للقراءة، وأن الألف هنا في (لينبذان) تعود على الهُمزة واللمزة، أو على المال وصاحبه، وذلك حين الحديث عن عود الضمير في الفعل كما مرَّ.

وعلى هذا فليس ثمة همز في هذا الموضع، ولا يمكن عدُّ اللفظ من مواضع همز ما ليس بمهموز وإن ذكره بعضهم، وقد استلزم تحريرها هنا لأنها مما ذُكرت في سياق شواهد ظاهرة «همز ما ليس بمهموز» اللغوية وهي ليست كذلك.

الخاتمة

بعد حمد الله على التمام والختام، وله الشكر على العون والتوفيق في كل حال، فإنني وفي خاتمة هذا البحث أودُّ أن أَنُصَّ على أبرز النتائج التي خلُص إليها البحث:

أولاً: مما تقرر أن الهمزة من الأصوات العسيرة التي يصعب على جهاز النطق إنتاجها؛ لما تتطلبه من جهد عضلي زائد، ولأجل ذلك سعت اللهجات العربية والساميات عموماً إلى إجراء تغييرات على هذا الصوت، تمثلت بالتسهيل والإبدال وبالحذف أحياناً، إضافة إلى مشاركة صوت الهمزة في تشكيل عدد من الظواهر اللغوية الصوتية.

ثانياً: ظاهرة «همز ما ليس بمهموز» واحدة من الظواهر اللغوية الصوتية التي كان للهمزة دور رئيس في تشكلها، وقد نُسبت هذه الظاهرة إلى عدد من القبائل العربية، كبني تميم، وعكل، وبني عقيل، ولها من الشواهد اللغوية شعراً ونثراً ما يؤيد حضورها في بعض اللهجات العربية القديمة.

ثالثاً: كما نُقلت هذه الظاهرة عن بعض القبائل العربية واللهجات القديمة، فكذلك جاءت واضحة في القراءات القرآنية المتواترة والشاذة، وقد جاء البحث ليرصد ما جاء من شواهد هذه الظاهرة في القراءات.

رابعاً: وردت ظاهرة «همز ما ليس بمهموز» بما استقر عليه البحث من تحديد دائرته، وبما ذَكَرَتهُ كتب القراءات في أحد عشر موضعاً، وذلك فيما يخص همز الألف أو إدخال الهمزة مقحمةً على اللفظ من دون وجود إبدال أو تعويض، وقد أسقط البحث الموضع الأخير مما أدرج شاهداً لهذه الظاهرة، بسبب وجود إشكال في نسبة القراءة إلى الهمز، فتبقى بذلك عشرة مواضع.

خامساً: التخلص من التقاء الساكنين والفرار من هذا الشكل من المقاطع الصوتية في العربية كان سبباً مباشراً في وجود ظاهرة همز ما ليس بمهموز في بعض الألفاظ العربية شعراً ونثراً وفي القراءات القرآنية أيضاً، بعد الإقرار بأنها لغة عند العرب.

سادساً: من المبادئ التي يمكن تخريج هذه الظاهرة على ضابطها مبدأ السهولة والتيسير وتجنب استثقال اللفظ، ومبدأ المخالفة الصوتي، ومثل ذلك مبدأ المماثلة.

سابعاً: وُجِّهت ظاهرة الهمز بناءً على أصل الاشتقاق في بعض المواضع، وذلك أن الكلمة التي همزت قراءةً يمكن حملها على اشتقاقين، الأول من دون همز، والثاني مهموز، كما وُجِّهت قراءة (أدنأُ) في الموضع الثالث، وقراءة (ورَبَأَتَ) في الموضع السابع من هذا البحث.

ثامناً: وُصِفت هذه الظاهرة بالغلط في بعض الألفاظ عند بعض العلماء، وبأنها غير وجيهة أحياناً. وقال بعضهم: هو نوع من القياس أو حمل على الشبيه، وذلك أن المتكلم يهمز اللفظ لأنه يقيسه على لفظ آخر مهموز، وهو من جنس الخطأ أيضاً.

تاسعاً: فَسَّر بعض اللغويين المُحدثين الظاهرة بتمامها على أنها تندرج تحت مبدأ القياس الخاطئ، أو من قبيل الحذلقة والتفصح، أو الوهم، أو الغلو في مراعاة النبر.

عاشراً: رجح بعض المفسرين القراءة التي لا تتضمن الهمز على القراءة التي تشتمل على هذه الظاهرة في اللفظ الواحد، فترك الهمز وإبقاء اللفظ على الأصل من غير همز هو الأجود والأفصح كما يرى بعض اللغويين والمفسرين؛ لإمكان وجود التقاء الساكنين في هذا النوع من المقاطع الصوتية العربية، مع وجود صوت مدغم قبله حرف مد أو لين.

والله الموفق والمعين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

- **الإبانة عن معاني القراءات**: مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
- **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**: أحمد بن محمد البناء (ت: ١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الثالثة (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).
- **أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً**: الدكتور عبد الرازق ابن حمودة القادوسي، رسالة دكتوراه بإشراف الأستاذ الدكتور رجب عبد الجواد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة حلوان (١٤٣١هـ- ٢٠١٠م).
- **أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية**: فوزي حسن الشايب، عالم الكتب الحديث، الأردن، إربد (٢٠٠٤م).
- **أدب الكاتب**: ابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.
- **ارتشاف الضرب من لسان العرب**: أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ- ١٩٩٨م).
- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**: أبو السعود العمادي (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **أسس علم اللغة**: ماريوباي، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الثامنة (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).
- **أصوات اللغة**: عبد الرحمن أيوب، مطبعة الكسلاني، الطبعة الثانية (١٩٦٨م).
- **الأصوات اللغوية**: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية (٢٠٠٧م).
- **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم**: ابن خالويه (ت: ٣٧٠هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٦٠هـ- ١٩٤١م).
- **إعراب القرآن العظيم**: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري (ت: ٩٢٦هـ)، حققه وعلق عليه: د. موسى على موسى مسعود، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ- ٢٠٠١م).

- **إعراب القرآن**: أبو جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ).
- **إعراب القرآن**: علي بن الحسين الباقولي (ت: ٥٤٣هـ)، تحقيق ودراسة: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الرابعة (١٤٢٠هـ).
- **إعراب القرآن**: قوام السنة الأصبهاني (ت: ٥٣٥هـ)، قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ- ١٩٩٥م).
- **بحر العلوم**: نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م).
- **البحر المحيط في التفسير**: أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت (١٤٢٠هـ).
- **بحوث ومقالات في اللغة**: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة (١٤١٥هـ- ١٩٩٥م).
- **البديع في علم العربية**: ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق ودراسة: د. فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ).
- **التبيان في إعراب القرآن**: أبو البقاء العكبري (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- **تحبير التيسير في القراءات العشر**: ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان، الأردن، عمان، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).
- **تصحيح الفصيح وشرحه**: ابن درستويه (ت: ٣٤٧هـ)، تحقيق: د. محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).
- **التطور اللغوي مظاهره وعلله**: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م).

- **التفسير البسيط**: الواحدي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: رسائل دكتوراه، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ).
- **التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية**: الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (ت: ٦٥٠هـ)، تحقيق: عبد العليم الطحاوي وآخرين، مطبعة دار الكتب، القاهرة.
- **تهذيب اللغة**: أبو منصور الأزهري (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى (٢٠٠١م).
- **التيسير في القراءات السبع**: أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: أوتو يرتزل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
- **جامع البيان في تأويل القرآن**: ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- **الجامع لأحكام القرآن**: أبو عبد الله القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، الرياض (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).
- **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي**: أبو الفرج بن زكريا النهرواني (ت: ٣٩٠هـ)، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
- **جمهرة اللغة**: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٨٧م).
- **حجة القراءات**: ابن زنجلة (ت: ٤٠٣هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
- **الحجة في القراءات السبع**: ابن خالويه (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة (١٤٠١هـ).
- **الحجة للقراء السبعة**: أبو علي الفارسي (ت: ٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الثانية (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

- **الخصائص**: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.
- **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة (١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م).
- **دراسات في فقه اللغة**: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان (٢٠٠٩م).
- **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**: محمد عبد الخالق عضيمة (ت: ١٤٠٤هـ)، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م).
- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**: السمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- **دروس في علم أصوات العربية**: جان كانتينو، ترجمة: صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية (١٩٦٦م).
- **ديوان جرير**: دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).
- **ديوان العجاج - رواية الأصمعي وشرحه**: تحقيق: الدكتور عزة حسن، دار الشرق العربي، لبنان، بيروت (١٤١٦هـ- ١٩٩٥م).
- **ديوان كثير**: تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت (١٩٧١م).
- **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**: مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ)، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان، الطبعة الرابعة (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م).
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: شهاب الدين الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).
- **الزاهر في معاني كلمات الناس**: أبو بكر الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ- ١٩٩٢م).
- **السبعة في القراءات**: أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: ٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية (١٤٠٠هـ).

- **سر صناعة الإعراب**: أبو الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
- **شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية**: محمد بن محمد حسن شُرَّاب، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م).
- **شرح المفصل**: ابن يعيش (ت: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- **شرح كتاب سيبويه**: أبو سعيد السيرافي (ت: ٣٦٨هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (٢٠٠٨م).
- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- **ضرائر الشعر**: ابن عصفور الإشبيلي (ت: ٦٦٩هـ)، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (١٩٨٠م).
- **العباب الزاخر واللباب الفاخر - حرف السين**: الحسن بن محمد الصغاني (ت: ٦٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، بغداد، الطبعة الأولى (١٩٨٧م).
- **علم الأصوات**: كمال بشر، دار غريب، القاهرة (٢٠٠٠م).
- **علم اللغة العربية**: محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**: محمود السعران، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت.
- **العين**: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ)، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي.
- **فقه اللغات السامية**: بروكلمان، ترجمة: رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض (١٩٧٧م).

- **في اللهجات العربية القديمة**: دكتور إبراهيم السامرائي، دار الحداثة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٩٩٤م).
- **في اللهجات العربية**: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (٢٠٠٣م).
- **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث**: عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م).
- **قواعد العربية الجنوبية**: ف. ل. بيستون، ترجمة: د. خالد إسماعيل، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد (١٤١٢هـ- ١٩٩٢م).
- **الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها**: يوسف بن علي الهذلي (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م).
- **كتاب الألفاظ**: ابن السكيت (ت: ٢٤٤هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى (١٩٩٨م).
- **كتاب فيه لغات القرآن**: الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، ضبطه وصححه: جابر بن عبد الله السريع (١٤٣٥هـ).
- **الكتاب**: سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**: جار الله الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠٧هـ).
- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م).
- **اللباب في علوم الكتاب**: ابن عادل الحنبلي (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).

- **لسان العرب**: ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- **اللغة الكنعانية دراسة صوتية صرفية دلالية مقارنة في ضوء اللغات السامية**: يحي عبابنة، دار مجدلاوي، عمَّان، الأردن، الطبعة الأولى (٢٠٠٣م).
- **اللغة المؤابية في نقش ميشع دراسة صوتية صرفية دلالية مقارنة في ضوء الفصحى واللغات السامية**: يحي عبابنة، منشورات جامعة مؤتة، الأردن، الطبعة الأولى (٢٠٠٠م).
- **اللغة النبطية دراسة صوتية صرفية دلاليّة في ضوء الفصحى واللغات السامية**: يحي عبابنة، دار الشروق، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى (٢٠٠٢م).
- **اللهجات العربية في التراث**: أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب (١٩٨٣م).
- **المبسوط في القراءات العشر**: أحمد بن الحسين النيسابوري (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية، دمشق (١٩٨١م).
- **المجموع اللفيف**: أمين الدولة الطرابلسي (ت بعد: ٥١٥هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ).
- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**: ابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).
- **المحكم والمحيط الأعظم**: علي بن إسماعيل بن سيده (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
- **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع**: ابن خالويه (ت: ٣٧٠هـ)، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- **المخصص**: علي بن إسماعيل بن سيده (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

- **مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن**: سباتينو موسكاني وآخرين، ترجمة: مهدي المخزومي، وعبد الجبار المطلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٣م).
- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**: جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ- ١٩٩٨م).
- **مشكل إعراب القرآن**: مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ).
- **مشكلة الهمزة العربية**: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ-١٩٩٦م).
- **المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر**: عبد القادر مرعي الخليل، منشورات جامعة مؤتة، الأردن (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م).
- **معاني القراءات**: أبو منصور الأزهري (ت: ٣٧٠هـ)، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ- ١٩٩١م).
- **معاني القرآن وإعرابه**: أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).
- **معاني القرآن**: أبو زكريا الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرين، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى.
- **المغني في القراءات**: محمد بن أبي نصر الدهان النَّوْزَاوَازِي، تحقيق: د. محمود بن كابر الشنقيطي، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، الطبعة الأولى (١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م).
- **مفاتيح الغيب**: فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٢٠هـ).
- **المفصل في صنعة الإعراب**: جار الله الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٣م).

- **الممتع الكبير في التصريف**: ابن عصفور الإشبيلي (ت: ٦٦٩هـ)، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى (١٩٩٦م).
- **مناهج البحث في اللغة**: تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية (١٩٩٠م).
- **المنصف شرح كتاب التصريف**: ابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، دار إحياء التراث القديم، الطبعة الأولى (١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م).
- **الموضح في التجويد**: عبد الوهاب القرطبي (ت: ٤٦١هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، مكتبة الرشد، الرياض (١٤٤١هـ).
- **النشر في القراءات العشر**: ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور السالم محمد محمود الشنقيطي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة (١٤٣٥هـ).
- **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه**: مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ)، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م).
- **الهمزة في العربية دراسة تاريخية مقارنة في الصوت والصرف والدلالة والقراءات القرآنية**: د. درويش محمود جويدي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ-٢٠١١م).
- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**: جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	٩٧
المقدمة	٩٨
التمهيد	١٠٢
وصف الهمزة صوتياً	١٠٢
التنوُّع النطقي للهمزة	١٠٣
الهمز عند القبائل العربية	١٠٤
الهمزة في الساميات	١٠٥
المبحث الأول: همز ما ليس بمهموز في العربية	١٠٧
همز ما ليس بمهموز عند المتقدمين	١٠٧
القبائل التي تهمز ما ليس بمهموز	١٠٩
همز ما ليس بمهموز في الشعر	١١١
تعليل همز ما ليس بمهموز	١١٣
المبحث الثاني: همز ما ليس بمهموز في القراءات القرآنية	١١٦
الموضع الأول: في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾	١١٧
الموضع الثاني: في قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾	١٢٢
الموضع الثالث: في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾	١٢٤
الموضع الرابع: في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا﴾	١٢٦
الموضع الخامس: في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾	١٢٧
الموضع السادس: في قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾	١٣٠
الموضع السابع: في قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾	١٣١
الموضع الثامن: في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾	١٣٤
الموضع التاسع: في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾	١٣٦
الموضع العاشر: في قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾	١٣٨
الموضع الحادي عشر: في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾	١٣٩
الخاتمة	١٤٣
فهرس المصادر والمراجع	١٤٥
فهرس الموضوعات	١٥٤

رسالة التجويد
للمولى صادق بن يوسف المغنيساوي
المقرئ المجود الخطيب
كان حيّاً سنة (٩٥٠هـ)
دراسة وتحقيق

د. غدير بنت محمد الشريف[١]

مُلخّصُ البَحْث

يتضمن هذا البحث تحقيقاً علميّاً لمخطوط مهم في التجويد، للعلامة الشيخ: صادق بن يوسف المغنيساوي المقرئ المجود الخطيب، وعنوان المخطوط هو: «رسالة التجويد».

وقد قمت في دراسة وتحقيق الكتاب بما يلي:

أولاً: مهّدت لهذا البحث بذكرِ نبذة عن علم التجويد.

ثانياً: عرّفت بالمؤلِّف، فترجمت له ترجمة مشتملة على: اسمه، ونسبه، وشيوخه، ومكانته العلمية، ومصنفاته، ووفاته.

ثالثاً: حاولت - جهدي - أن أقدم هذا الكتاب في أحسن صورة، وكما أراده المؤلف، فقمت بتحقيق نص الكتاب المذكور تحقيقاً علميّاً، حيث قابلت بين النسختين، وذكرت ما بينهما من فروق، وأفدت في ذلك أحياناً من المصادر التي نقل عنها المؤلف؛ سعياً لإخراج النص على أقرب صورةٍ صحيحة.

رابعاً: حققت عنوان الكتاب، ووثقت نسبته إلى مؤلفه.

خامساً: ذكرت منهج المصنف في الكتاب.

(١) أستاذ القراءات المشارك بجامعة الطائف.

سادساً: ذكرت المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في تأليف كتابه.

سابعاً: ذكرت مميزات هذا الكتاب والملحوظات عليه.

ثامناً: قمت بخدمة النص بما تعارف عليه الباحثون من خدمة النص المحقق، فكتبت النص وفق القواعد الإملائية، وضبطتُ مايحتاج إلى ضبط، وعزوت الآيات القرآنية إلى سورها، وخرّجت الأحاديث الواردة في النص، وترجمت لأعلامه، ووثقت النقول من مصادرها الأصلية، وغير ذلك.

تاسعاً: ختمت هذا البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها.

المقدمة

الحمد لله الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على من أرسله الله للعالمين بشيراً ونذيراً، نبيّنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن تلاوة القرآن الكريم من أعظم العبادات، وأجلّ القربات، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١]، وقال: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وقال: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ولا يكون المؤمن مؤدياً لهذه العبادة على وجهها حتى يتبع الصفة المتلقاة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنقولة بأصح الأسانيد، وهي المعبّر عنها عند علماء القراءات بالتجويد، أو تحسين الأداء، أو خلوّ القراءة من اللحن الجليّ والخفيّ، وهي الصفة التي قصدها الإمام ابن الجزري بقوله:

وَالأَخْـذُ بِالتَّجْوِيـدِ حَتْـمٌ لاَزِمُ ... مَـنْ لَـمْ يُجَـوِّدِ الْقُـرآنَ آثِـمُ
لأَنَّـهُ بِـهِ الإِلَهُ أَنْـزَلاَ ... وَهَكَـذَا مِنْـهُ إِلَيْنَـا وَصَـلاَ[1]

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال لنبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٨]؛ أي: فاتبع قراءته، والأمر باتباع القراءة يعم اللفظ وصفة أدائه.

ومن هنا اعتنى علماء المسلمين بهذه الصفة المتلقاة المأمور باتباعها تلقيناً وتعليماً وتأليفاً، فأخذها اللاحق عن السابق تلقيناً وتعليماً، وألف في وصفها العلماء ما يستعان به على درك حقيقتها.

ومن تلك المؤلفات: هذه الرسالة المختصرة للمولى صادق بن يوسف المغنيساوي المقرئ المجود الخطيب، والتي شرفت بالاطلاع عليها، وأرجو أن أُوفق في تحقيقها وإخراجها إخراجاً يُرضي الله أولاً ثم يرضي المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ والمهتمين بعلم التجويد والقراءات.

(١) متن طيبة النشر (ص٣٦)، البيتان رقم (٨١، ٨٢)، والمقدمة الجزرية (ص١١).

أهمية الموضوع:

١. قيمة الكتاب العلمية، حيث إنه يتناول بعض مسائل التجويد، مع التركيز على الأخطاء الشائعة التي اعتادها الأعاجم في لغتهم، عند قراءتهم للقرآن الكريم.

٢. الحاجة الماسة إلى إضافة مثل هذا المؤلَّف إلى مصنّفات التجويد؛ لما تميز به من الاعتناء بالأخطاء الشائعة التي ما زالت موجودة إلى الآن.

٣. عدم تحقيق أو إخراج هذا الكتاب من عالم المخطوطات إلى كتاب مطبوع.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري لم أطلع على أي دراسة حول هذا الكتاب أو تحقيق له.

خطة البحث:

لقد تم تقسيم البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وخطة البحث، ومنهج التحقيق.

التمهيد: وفيه نبذة عن علم التجويد.

المبحث الأول: **الشيخ المغنيساوي وكتابه «رسالة التجويد»**: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ترجمة الشيخ المغنيساوي، وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: اسمه ونسبه.

الفرع الثاني: شيوخه.

الفرع الثالث: مكانته العلمية.

الفرع الرابع: مصنفاته.

الفرع الخامس: وفاته.

المطلب الثاني: دراسة الكتاب، وفيه سبعة فروع:

الفرع الأول: تحقيق عنوان الكتاب.

الفرع الثاني: توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

الفرع الثالث: منهج المصنف في الكتاب.

الفرع الرابع: المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في تأليف كتابه.

الفرع الخامس: مميزات هذا الكتاب.

الفرع السادس: الملحوظات على الكتاب.

الفرع السابع: وصف النسخ.

المبحث الثاني: **النص المحقق**: وفيه: تحقيق نص الكتاب كاملاً.

الخاتمة: وفيها بيان لأهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم التوصيات.

منهجي في التحقيق:

١. اعتمدت نسخة مكتبة حسن باشا بتركيا، فجعلتها أصلاً أُقابل عليه؛ لوضوح خطها، مع التركيز على منهج النص المختار؛ لأنه أوضح للقارئ، وأسلم لقصد مؤلف الكتاب، ورمزت للنسخة الأخرى من المخطوط بـ (ج) نسبة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود.

٢. كتبت النص وفق القواعد الإملائية.

٣. ذكرت الفروق بين النسختين حسب المنهج التالي:

أ) إذا كان هناك سقط في النسخة الأصل: عوّضته من النسخة الأخرى بين حاصرتين []، مع الإشارة إلى ذلك في الهامش.

ب) إذا كان السقط في النسخة الأخرى: أشرت إلى السقط في الهامش، دون حصره بين حاصرتين.

ج) إذا كان هناك خطأ في الأصل أثبت الصواب من النسخة الأخرى، دون حصره بين حاصرتين، وأذكر الخطأ في الهامش منسوباً إلى الأصل؛ لأن الغرض إخراج النص صحيحاً كما وضعه المؤلف أو يقارب، سواء من الأصل أو من غيره.

د) إذا كان الخطأ في النسخة الأخرى المرموز لها بـ (ج) أكتفي بالإشارة إليه في الهامش.

هـ) أفدت أحياناً في إثبات الفروق بين النسختين من المصادر التي نقل عنها المؤلف زيادة في التوثيق.

٤. ضبطتُ ما يحتاج إلى ضبط في المتن: كالأحاديث، والآثار، والأبيات الشعرية.

٥. كتبت الآيات برسم المصحف، وعزوت الآيات القرآنية إلى سورها.

٦. خرجت الآيات في المتن؛ لئلا يثقل الهامش، وحصرت اسم السورة ورقم الآية بين معقوفتين [] بحجم أصغر؛ لأن المعقوفتين [] بالحجم العادي لحصر الكلمات الساقطة من الأصل.

٧. خرّجت الأحاديث الواردة في النص.

٨. خرجت الأقوال التي ذكرها المؤلف ووثقتها من مصادرها.

٩. عرَّفت بالأعلام الواردة أسماؤهم في النص سوى المشهورين من: الصحابة، والقراء العشرة، والفقهاء الأربعة.

١٠. عرّفت بالبلدان الواردة في النص.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه، وأن يتولانا في الدنيا والآخرة، إنه سميع مجيب.

التمهيد
نبذة عن علم التجويد

أولاً: تعريف علم التجويد:

التجويد لغة: «مصدر جودت الشيء، ومعناه: انتهاء الغاية في إتقانه، وبلوغ النهاية في تحسينه، ولذلك يقال: جوَّد فلان في كذا، إذا فعل ذلك جيداً، والاسم منه الجودة»(١).

يقال: جاد الشّيْءُ يَجُود جُودةً - بالضّمّ - وجَودَة - بِالْفَتْح -: صَار جَيِّداً، والتجويدُ مثْلُه، وأَجاد: أَتَى بالجَيِّد من القَول أَو الفِعل، واستجادَهُ: وَجَدَه جَيِّداً أَو عَدَّه جيِّداً، وَجَادَت العَيْنُ تَجُود جَوْداً - بِالْفَتْح -: كَثُرَ دَمْعُهَا(٢).

اصطلاحاً: عرّفه الإمام الداني(٣) بقوله: «هو إعطاء الحروف حقوقها، وترتيبها مراتبها، وردّ الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وشكله، وإشباع لفظه، وتمكين النطق به على حال صيغته وهيئته، من غير إسرافٍ ولا تعسفٍ، ولا إفراطٍ ولا تكلفٍ»(٤).

وعرَّفه الإمام الهذلي(٥) في الكامل بقوله: «فأما تجويد الحروف: فمعرفة ألفاظها، وقراءتها، وأصولها، وفروعها، وحدودها، وحقوقها، وقطعها، ووصلها، ومدها، وحدرها، وتحقيقها، وترسيلها، وترتيلها»(٦).

---

(١) التحديد في الإتقان والتجويد، للداني (ص٧٠).

(٢) انظر: تاج العروس (٥٢٦/٧) وما بعدها، والصحاح (٤٦١/٢) وما بعدها، مادة (ج ود).

(٣) هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي، مولاهم القرطبي، أحد الأئمة في علم القرآن رواياته وتفسيره، ومعانيه وطرقه وإعرابه، توفي بدانية سنة (٤٤٤هـ). انظر: معرفة القراء (ص٢٢٦ - ٢٢٨)، وغاية النهاية (٥٠٣/١ - ٥٠٥).

(٤) التحديد (ص٧٠).

(٥) هو يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سوادة الهذلي البسكري، كان مقدماً في النحو والصرف والقراءات وعللها، توفي سنة (٤٦٥هـ). انظر لترجمته: غاية النهاية (٣٩٧/٢) وما بعدها.

(٦) الكامل (ص٩٣).

وعرَّفه الإمام النويري[1] في شرح الطيبة بقوله: «الإتيان بالقراءة مجودة الألفاظ، بريئة من الرداءة في النطق»[2].

ثانياً: نشأة علم التجويد[3]:

نزل القرآن الكريم باللغة العربية مرتلاً مجوَّداً؛ أي: مقروءاً بأحكامه، وقد كانت أصول علم التجويد وقواعده موجودة في الكلام العربي، يحرص عليها القراء، ويعتمدون عليها في قراءتهم وإقرائهم، وإن لم تكن مدونة، شأنها في ذلك شأن قواعد النحو والصرف التي استنبطها علماء العربية في وقت لاحق، فعلم التجويد الذي يدرّس النظام الصوتي للغة كان موضوعه: تحليل ذلك النظام، واستخلاص ظواهره، ووضعها في قواعد تساعد المتعلم على ضبطها وإتقانها حين يستخدم اللغة، وهم في ذلك يسيرون على خطى علماء العربية الذين سبقوهم في هذا الميدان.

قال الدكتور غانم قدوري: «ومن المعلوم أنه لم يرد في القرآن الكريم من مادة (ج و د) شيء في وصف القراء.

كانت هناك كلمات أخرى تستخدم في عصر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه في معنى كلمة التجويد، مثل: الترتيل، والتحسين، والتزيين، والتحبير، وهي تستخدم في وصف القراءة حين تكون مستوفية لصفات النطق العربي الفصيح، جامعة إلى ذلك حسن الصوت، والعناية بالأداء، ولم يرد من هذه الكلمات الأربع في القرآن الكريم سوى كلمة الترتيل»[4].

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن إبراهيم النويري الميموني القاهري المالكي، المعروف بأبي القاسم النويري، نسبةً إلى نويرة، قرية من قرى الصعيد، تلا بالعشر على ابن الجزري، وله تصانيف جيدة في القراءات، توفي سنة (٨٥٧هـ). انظر لترجمته: البدر الطالع (٢/٢٥٦، ٢٥٧).

(٢) شرح الطيبة (١/٢٤٩).

(٣) أفدت في نشأة علم التجويد من كتاب: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، للدكتور غانم قدوري الحمد (ص١٣) وما بعدها، بتصرف.

(٤) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص١٣).

وقد يرد على هذا الكلام ما يروى عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وقال: الترتيل: تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف[١].

ومن أقدم النصوص التي وردت فيها كلمة «التجويد» مستعملة بمعنى يقرب من معناها الاصطلاحي في المصادر القديمة هو قول الإمام ابن مجاهد[٢] حيث قال الداني: «حدثني الحسين ابن شاكر السمسار، قال: حدثنا أحمد بن نصر، قال: سمعت ابن مجاهد يقول: اللحن في القرآن لحنان: جليٌّ وخفيٌّ. فالجليّ: لحن الإعراب، والخفيُّ: ترك إعطاء الحرف حقّه من تجويد لفظه»[٣].

ومن الملاحظ أن مصطلح «التجويد» - بمعنى العلم الذي يُعْنى بدراسة مخارج الحروف وصفاتها، وما ينشأ لها من أحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق - لم يظهر إلا في حدود القرن الرابع الهجري، كذلك لم يُعرف كتاب أُلِّف في هذا العلم قبل ذلك القرن، ومعنى هذا أن علم التجويد تأخر في الظهور علماً مستقلًّا بالنسبة إلى كثير من علوم القرآن وعلوم العربية أكثر من قرنين من الزمان.

إن الوقت الذي ظهرت فيه كلمة التجويد بمعناها الاصطلاحي هو الوقت الذي ظهر فيه أول مصنف مستقل في علم التجويد، فقد قال ابن الجزري[٤] وهو يترجم لأبي مزاحم موسى بن عبيد الله الخاقاني[٥] (ت: ٣٢٥هـ): «هو أول من صنَّفَ في التجويد فيما أعلم، وقصيدته الرائية مشهورة، وشرحها الحافظ أبو عمرو»[٦].

---

(١) لم أقف عليه مسنداً، لكن ذكره الإمام الهذلي في الكامل (ص٩٣)، والإمام ابن الجزري في التمهيد (ص٤٠)، وفي النشر (٢٠٩/١)، والإمام السيوطي في الإتقان (٢٨٢/١).

(٢) هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، التميمي، البغدادي، وكنيته: أبو بكر، فاق في عصره سائر نظرائه من أهل صناعته، توفي سنة (٣٢٤هـ). انظر لترجمته: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (ص١٥٣، ١٥٤)، وغاية النهاية (١٣٩/١ - ١٤٢).

(٣) التحديد (ص١١٨).

(٤) هو الإمام العالم الحافظ الحجة محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف العمري الدمشقي ثم الشيرازي، وكنيته: أبو الخير، وهو أحد أبنائه، وهو صاحب التصانيف التي لم يُسبق إلى مثلها، توفي سنة (٨٣٣هـ). انظر لترجمته: غاية النهاية (١٨/١).

(٥) هو موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، أبو مزاحم الخاقاني البغدادي، الإمام، المقرئ، المحدث، توفي سنة (٣٢٥هـ). انظر لترجمته: معرفة القراء الكبار (ص١٥٥)، وغاية النهاية (٣٢٠/٢، ٣٢١).

(٦) غاية النهاية (٣٢١/٢).

والمصنَّف الذي أشار إليه ابن الجزري على أنه أول مصنَّف في التجويد هو قصيدة أبي مزاحم الخاقاني، الرائية المشهورة بالقصيدة الخاقانية التي يقول في مطلعها:

أَقُـولُ مَقَـالاً مُعْجِبـاً لأُولِي الحِجْـرِ ولا فَخْرَ إنّ الفَخْرَ يَدْعُو إلى الكِبْرِ

ويقول:

فَمَـا كُلُّ مَـنْ يَتْلُـو الكِتَـابَ يُقِيمُـهُ وما كُلُّ مَـنْ في النـاسِ يُقْرِئُهُـمْ مُقْرِي

وعدد أبياتها واحد وخمسون بيتاً، ذكر فيها بعض الموضوعات التي صارت فيما بعد جزءاً من علم التجويد، وكان لهذه القصيدة أثر واضح في جهود اللاحقين في علم التجويد، فهم بين مقتبس منها مستشهد بأبياتها، وبين معارض لها، أو شارح موضّح لمعانيها.

ومع أن القصيدة الخاقانية هي أول مصنّف مستقل ظهر في علم التجويد، إلا أن أبا مزاحم لم يستخدم فيها كلمة «التجويد» ولا أيّاً من الألفاظ الأخرى التي تشاركها في المادة اللغوية، واستخدم كلمة «الحُسْن» وما اشْتُقَّ من مادتها، فقد قال في صدر البيت الخامس:

أيـا قـارِئَ القـرآنِ أَحْسِـنْ أداءَهُ

وقال في صدر البيت السابع عشر:

فقـد قلتُ في حُسْـنِ الأداءِ قَصيدةً

وعدم استخدام أبي مزاحم لكلمة «التجويد» في قصيدته يدل على أن هذا المصطلح لم يكن مشهوراً حينذاك، على الرغم من ظهوره في ذلك الوقت، فقد استخدمه معاصره ابن مجاهد، كما مرَّ في النص الذي نقلناه آنفاً.

وأول من استخدم مصطلح «التجويد» بعد ابن مجاهد هو: أبو الحسن علي بن جعفر السعيدي[1] (ت: ٤١٠هـ) تقريباً، فقد قال في أول كتابه: «التنبيه على اللحن الجلي

(١) هو: علي بن جعفر بن سعيد، أبو الحسن السعيدي، الرازي، الحذاء، أستاذ معروف، بقي إلى حدود (٤١٠هـ). انظر لترجمته: غاية النهاية (٥٢٩/١).

واللحن الخفي»: «... سألتني... أن أصف لك نُبَذاً من تجويد اللفظ بالقرآن»[1]. وشاع استخدام مصطلح «التجويد» بعد عصر السعيدي على نطاقٍ واسعٍ.

ويتميز كتاب السعيدي «التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي» بأنه أقدم كتاب معروف لدينا اليوم في علم التجويد بعد القصيدة الخاقانية، وهو يمثل بدء التأليف المستقل في علم التجويد.

وفي كتاب «الفهرست» لابن النديم[2] (ت: ٤٣٨هـ) لم يذكر أيَّ كتاب يحمل اسم التجويد، أو يمكن أن يكون موضوعه في هذا العلم، على الرغم من أنه ذكر في كتابه مئات الكتب المؤلفة في علوم القرآن، وهذا الأمر يدل على أن علم التجويد لم يزل في القرن الرابع الهجري يخطو خطواته الأولى، ولم تشتهر كتبه حين ألف ابن النديم كتابه سنة (٣٧٧هـ).

وحين ندخل في القرن الخامس الهجري نجد أن المؤلفات في علم التجويد يتتابع ظهورها، حتى إننا لنجد أن معظم مؤلفات علم التجويد قد ظهرت في هذا القرن، فيظهر في الأندلس كتابان كبيران في علم التجويد، هما: «الرعاية» لمكي بن أبي طالب القيسي[3] (ت: ٤٣٧هـ)، و«التحديد» لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت: ٤٤٤هـ).

ونجد في مقدمة كتاب «الرعاية» لمكي ما يشير إلى أن القرن الخامس هو التاريخ الحقيقي لظهور المؤلفات في علم التجويد، قال مكي: «وما علمت أن أحداً من المتقدمين

---

(١) التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي (ص٢٥٩)، تحقيق: غانم الحمد، من مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد السادس والثلاثون، لعام (١٩٨٥م).

(٢) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق بن أبي يعقوب النديم البغدادي، الوراق، الأديب، توفي سنة (٤٣٨هـ). انظر لترجمته: معجم الأدباء (٢٤٢٧/٦)، ولسان الميزان (٥٥٧/٦).

(٣) هو: مكي بن أبي طالب بن حموش بن محمد بن مختار القيسي، الأندلسي، القرطبي، وحَمُّوش: بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم المضمومة وسكون الواو وبعدها شين معجمة، العلامة، المقرئ، توفي سنة (٤٣٧هـ) بقرطبة. انظر لترجمته: معرفة القراء الكبار (ص٢٢٠، ٢٢١)، ووفيات الأعيان (٢٧٤/٥ - ٢٧٧).

سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب، ولا إلى جمْع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف وألقابها ومعانيها، ولا إلى ما أتبعت فيه كل حرف منها من ألفاظ كتاب الله تعالى، والتنبيه على تجويد لفظه، والتحفظ به عند تلاوته. ولقد تصور في نفسي تأليف هذا الكتاب وترتيبه من سنة تسعين وثلاثمائة، وأخذت نفسي بتعليق ما يخطر ببالي منه في ذلك الوقت، ثم تركته إذ لم أجد مُعيناً فيه من مُؤلّفٍ سبقني بمثله قبلي، ثم قَوَّى الله النية وحدَّد البصيرة في إتمامه بعد نحو من ثلاثين سنة، فسهَّل الله تعالى أمره، ويسَّرَ جمعه، وأعان على تأليفه»[1].

وجاء في مقدمة كتاب «التحديد» للداني ما يشير إلى المعنى الذي يفهم من قول مكي السابق من انعدام المؤلفات في علم التجويد في وقتهما، فقال الداني: «وأما بعد فقد حداني ما رأيته من إهمال قراء عصرنا، ومقرئي دهرنا تجويد التلاوة وتحقيق القراءة، وتركهم استعمال ما ندب الله تعالى إليه، وحث نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته عليه، من تلاوة التنزيل بالترسل والترتيل، أن أعْملْتُ نفسي في رسم كتاب خفيف الحمل، قريب المأخذ، في وصف علم الإتقان والتجويد، وكيفية الترتيل والتحقيق على السبيل التي أدَّاها المشيخة من الخلف عن الأئمة من السلف»[2].

ويبدو أن جهود علماء العربية من النحويين واللغويين وجهود علماء القراءة كانت تقوم بالمهمة التي قام بها علم التجويد بعد ظهوره في تعليم الناطقين أصول النطق الصحيح، وتحذيرهم من الانحراف في نطق الأصوات العربية، مثل: ما كتبه الخليل بن أحمد[3] (ت: ١٧٠هـ) في مقدمة كتاب «العين» عن مخارج الحروف وصفاتها[4]،

(١) الرعاية (ص٥٢).

(٢) التحديد (ص٦٨، ٦٩).

(٣) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري، الفراهيدي، الأزدي، سيد الأدباء، أول من استخرج العروض والقوافي، وضبط اللغة، توفي سنة (١٧٠هـ). انظر لترجمته: البلغة (ص٩٩)، ومعجم الأدباء (٣/٣٠٠ - ٣٠٣)، وبغية الوعاة (١/٥٥٧).

(٤) انظر: كتاب العين (١/٥١) وما بعدها.

وما كتبه سيبويه[١] (ت: ١٨٠هـ) في «الكتاب» في باب الإدغام خاصة[٢]، وما كتبه المبرد[٣] (ت: ٢٨٥هـ) في كتاب «المقتضب» في أبواب الإدغام[٤]، وغير ذلك.

وقد قام علماء التجويد باستخلاص المادة الصوتية من مؤلفات النحويين واللغويين وعلماء القراءة، وصاغوا منها هذا العلم الجديد الذي اختاروا له اسم «علم التجويد»، وواصلوا أبحاثهم الصوتية مستندين إلى تلك المادة، وأضافوا إليها خلاصة جهدهم، حتى بلغ علم التجويد منزلة عالية من التقدم في دراسة الأصوات اللغوية[٥]، إلا أن كثيراً من كتب علم التجويد القديمة تكاد تكون مجهولة لدى معظم المشتغلين بدراسة علوم القرآن عامة وعلم التجويد خاصة، ولدى معظم المشتغلين بالدراسات الصوتية العربية في الوقت الحاضر، حيث لا يزال معظم تلك الكتب مخطوطاً بعيداً عن متناول أيدي الباحثين، ولعل ذلك هو أحد الأسباب التي حالت بين الباحثين المعاصرين والاستفادة من المادة التي تضمنتها تلك الكتب.

ويبدو أن الرسائل المتأخرة الموجزة التي كتبها المتأخرون وبعض المعاصرين في علم التجويد كانت من بين الأسباب التي صرفت الدارسين عن تتبع كتب علم التجويد القديمة، ودراستها والاعتماد عليها[٦].

(١) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ثم البصري، إمام النحو، توفي سنة (١٨٠هـ)، وقيل: (١٨٨هـ)، وقيل: (١٩٤هـ). انظر لترجمته: بغية الوعاة (٢/٢٢٩، ٢٣٠)، والبلغة (ص١٦٣) وما بعدها.

(٢) انظر: الكتاب (٤/٤٣١) وما بعدها.

(٣) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان الثمالي، الأزدي، البصري، اللغوي، الأديب، الملقب بالمبرد، إمام العربية في زمانه، توفي سنة (٢٨٥هـ). انظر لترجمته: البلغة (ص٢١٦، ٢١٧)، وبغية الوعاة (١/٢٦٩) وما بعدها، ومعجم الأدباء (٥/٤٧٩) وما بعدها.

(٤) انظر: المقتضب (١/٢٠٦) وما بعدها.

(٥) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، للدكتور غانم قدوري الحمد (ص١٣) وما بعدها، بتصرف.

(٦) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص١٣).

ثالثاً: المصنفات في علم التجويد:

لم ينقطع التأليف في علم التجويد منذ ظهور مؤلفاته الأولى في القرن الرابع الهجري حتى وقتنا المعاصر، وهذه ظاهرة توضح مقدار ارتباط المسلمين بالقرآن العظيم، وحرصهم على تجويد حروفه وإتقان النطق بألفاظه.

ويبدو أن تقديم قائمة كاملة بأسماء تلك الكتب أمر غير متيسر للدارسين اليوم، فالمراجع القديمة المتخصصة بالحديث عن العلوم والكتب المؤلفة فيها لا تقدم لنا إلا عدداً محدوداً من أسماء تلك الكتب، فلم يتجاوز ما ذكره السيوطي[1] عن هذا الجانب في كتابه: «الإتقان في علوم القرآن» السطر الواحد، حيث قال: «من المهمات تجويد القرآن، وقد أفرده جماعة كثيرون بالتصنيف، ومنهم الداني وغيره»[2].

وما ذكره حاجي خليفة[3] في «كشف الظنون» وهو يتحدث عن علم التجويد، يعد شيئاً يسيراً جدّاً إلى ما هو معروف من كتب هذا العلم، قال: «وأول من صنف في التجويد: موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الخاقاني البغدادي المقرئ، المتوفى سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، ذكره ابن الجزري. ومن المصنفات فيه: الدر اليتيم وشرحه، والرعاية، وغاية المراد، والمقدمة الجزرية، وشرحها، والواضحة»[4].

---

(١) هو عبد الرحمن بن كمال الدين أبو بكر بن عثمان بن محمد بن خضر الخضيري، الشافعي، السيوطي، المصري، من مشاهير فضلاء عصره، توفي سنة (٩١١هـ). انظر لترجمته: النور السافر عن أخبار القرن العاشر، للعيدروسي (ص٥١) وما بعدها.

(٢) الإتقان (٣٤٦/١).

(٣) هو مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، مؤرخ بحاثة، تركي الأصل، توفي سنة (١٠٦٧هـ). انظر لترجمته: مقدمة سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٩/١) ومابعدها، والأعلام (٢٣٦/٧، ٢٣٧).

(٤) كشف الظنون (٣٥٣/١).

والمشكلة الأساسية التي تعترض الدارس وهو يحاول استقصاء كتب علم التجويد، هي: أن ما سلم منها من التلف والضياع لا يزال معظمه مخطوطاً، ولا شك في أن معرفة أسماء تلك المخطوطات وتحديد أماكن وجودها أمر غير متيسر دائماً؛ لندرة فهارس المخطوطات، وهي إن توفرت في بلد فلا تتوفر في بلد آخر، وإن توفر بعضها فقد لا يتوفر بعضها الآخر، أما الحصول على نسخ مصورة من تلك المخطوطات فذلك أمر غير يسير(١).

وقد ذكر الدكتور غانم الحمد في كتابه: «الدراسات الصوتية عند علماء التجويد» أكثر من مائة مصنف في التجويد، وقال: وقد استخلصت هذه القائمة من فهارس المخطوطات التي تيسر لي الاطلاع عليها، ومن فهارس الكتب مثل: «كشف الظنون»، ومن كتب التراجم، مثل: «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري، الذي استخلصت منه أسماء جميع الكتب التي تتصل بعلم التجويد، ورتبت هذه الكتب القائمة على أساس تاريخي تبعاً لوفاة المؤلفين، مورداً اسم المؤلف، وتاريخ وفاته، واسم الكتاب، مشيراً إلى ما هو مخطوط منها أو مطبوع، من غير أن أستقصي أماكن وجود المخطوط، فإن لذلك مظانه الخاصة، من بدء التأليف في هذا العلم، حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري(٢).

(١) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص٢٤).
(٢) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص٢٥) وما بعدها.

المبحث الأول
الشيخ المغنيساوي وكتابه «رسالة التجويد»

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ترجمة الشيخ المغنيساوي:

وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: اسمه ونسبه:

هو: المولى صادق بن يوسف المغنيساوي الرومي العثماني، المقرئ المجوّد، الخطيب.

ومَغْنِيسِيّة - بميم مفتوحة وغين معجمة مسكنة، ونون مكسورة وياء مدية، وسين مكسورة وياء آخر الحروف مشدّدة - من بلاد الترك، وسلطانها يسمى صارو خان، وهي مدينة كبيرة حسنة في سفح جبل، كثيرة الأنهار والعيون والبساتين والفواكه، في الأناضول الغربية[1].

وتسمى الآن: «مانيسَّا»، وهي واحدة من المدن التركية الواقعة داخل محافظة مانيسا في غرب تركيا في وسط منطقة بحر إيجه، وتقع على بعد حوالي أربعين ميلاً من إزمير على الجانب الجنوبي الغربي، وتعد مانيسا مركزاً اقتصاديّاً وخدميّاً جيداً، بالإضافة إلى أهمية تاريخها القديم، حيث مرت العديد من الحضارات القديمة عبرها، سواء الحضارة اليونانية أو الرومانية، ثم الإسلامية.

وخلال العهد العثماني أصبحت مقاماً للكثير من الأمراء؛ لتدريبهم على إدارة دفة الحكم لاحقاً، وقد تطورت مدينة مانيسا بشكل كبير خلال الفترة العثمانية، حيث تم بناء المساجد، وإنشاء المدارس، وخزانات المياه، والمرافق الحيوية، والجسور، وإنشاء القصور، حتى أصبحت في القرن السادس عشر الميلادي أبرز مدن السلطنة العثمانية[2].

---

(١) انظر: رحلة ابن بطوطة (١٩٣/٢)، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار (٣٧١/٣).

(٢) https://ar.wikipedia.org

الفرع الثاني: شيوخه:

أخذ القراءات السبع عن: عبيد الله محمد، المكمل فضلاً وحسباً، الفناري أصلاً ونسباً[1]، وأجازه بها في عاشر شهر شوال سنة (٩١٦هـ)، وأخبره أنه قرأ القرآن العظيم من أوله إلى آخره بالقراءات السبع جمعاً: تارة بالحرف، وتارة بالوقف، بجميع أنواعه على: الشيخ أبي المواهب محمود بن أبي الفرج بن حميدان الشكيلي المدني[2]، على شيخيه شيخي الإقراء بطيبة المشرفة: الشيخ شمس الدين محمد بن زين الدين عبد الرحمن ابن عبد الله المدني الشافعي، المعروف بابن زين الدين، وبابن القطان (٨٦٢ - ٩٣٠هـ)، ومحمد البكري المغربي[3]، على شيوخهما بأسانيدهم المذكورة.

الفرع الثالث: مكانته العلمية:

١. نعته الشيخ عبيد الله محمد المكمل فضلاً وحسباً، الفناري أصلاً ونسباً، بالقارئ الماهر، والمستحضر الذاكر، فخر العلماء، وجمال القراء، الفاضل النحرير، المجوّد الذي ليس له نظير، القارئ المحقق، والكامل المدقق.

---

(١) هو العالم الفاضل عُبيد الله بن يعقوب الفَنَاري، الرومي، الحنفي، واسمه في الأصل محمد، ولَقّبه أبوه بعُبيد الله. قرأ على علماء عصره، واشتغل غاية الاشتغال، له مشاركة في العلوم، ومعرفة تامة بعلم القراءات، قوي الحفظ، حفظ القرآن العظيم في ستة أشهر. صار قاضياً بفلبه وصوفيا وسلانيك وآمد، وكان حافظاً لدفتر حلب والشام، ثم صار قاضياً بحلب ومات بها. وكان فاضلاً، ذكيّاً، كريماً، له سخاء عظيم، صنّف شرحاً للقصيدة الموسومة بـ «البُردة»، وهو من أحسن شروحها، توفي سنة (٩٣٦هـ). انظر: شذرات الذهب (٣٠٣/١٠)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول (٣٢٥/٢).

(٢) لم أقف له على ترجمة. وقال الإمام السخاوي في الضوء اللامع: وفي الشكيليين: أبو الفرج، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، بنو محمد بن حميدان، وذكر الشيخ ابن فرحون في تاريخ المدينة ما نصه: ومن أولاد المدينة ومشاهير بيوتهم الشكيليون، وله ذرية صالحة من أولاد وأولاد أولاد كلهم قراء، وغالب الشكيليين كانوا قراء في السبع. وكانوا يتسببون بالعطارة. انظر: تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب (ص١٧٣).

(٣) لعله الشيخ الصالح العالم العامل الورع الزاهد صدر الدين محمد البكري، أخذ عن إبراهيم المتولي، وأبي العباس الغمري، وكان أجل أصحابهما، كان كثير الصمت لا يتكلم إلا جواباً، وكانت وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ بالمدينة المنورة سنة (٩١٨هـ). انظر: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة (٨٣/١).

٢. وشهد المولى محيي الدين محمد بن بهاء الدين بن لطف الله الرحماوي الحنفي الصوفي، الشهير ببهاء الدين زاده[١] (ت نحو: ٩٥٢هـ) على إجازة شيخه له، وقبول أستاذه فضله وكماله، ونعته بـ «عمدة أصحاب الاستعداد، قدوة أرباب الاعتداد، مقبول الأفاضل، جامع الفضائل».

كما شهد عليها أحمد بن جلال.

ومن هذه الإجازة - فيما أعلم - نسخة خطية فريدة، تحتفظ بها مكتبة طاهر أغا تكيه سي، الملحقة بالسليمانية في إستانبول، رقم (٥٠)، في ست لوحات، مسطرتها: (١٧) سطراً، كتبها: (قورد محمد بن موسى) نائباً بالمحلة المعمورة بمدينة أُسْكُدَار[٢]، في اليوم السابع عشر من شهر رجب سنة (١٠٢٠هـ).

أولها: «الحمد لله الذي أنزل القرآن المبين على حروفٍ شتى؛ تيسيراً لعباده المؤمنين، واصطفى وعاته العاملين، وفضَّلهم على من سواهم أجمعين، ترجيحاً وتقوية للمعجزة الباقية على سائر البراهين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الأنبياء والمرسلين، وإمام المتقين محمد الأمين ...، وعلى آله وأصحابه الذي رصصوا بنيان الدين المتين، إلى تبدل السماوات والأرضين، وبعد:

فلما كان علم القراءات من أجل العلوم وأعلاها، وأعز الفنون وأسناها، صرفت برهة من الزمان إلى تحصيل علم قراءات القرآن، بعد ما حفظت الكلام القديم

(١) هو محمد بن بهاء الدين بن لطف الله، محيي الدين، البيرامي، الرومي، الحنفي، العلامة، المحقق، اللغوي، المفسر، المعروف ببهاء الدين زاده، فقيه حنفي، صوفي، مشارك في الفقه وعلم الكلام والتفسير والحديث، من أهل قيصرية. ولي إفتاء التخت السلطاني. من مشايخه: مصلح الدين القسطلاني، وأبو يزيد خان المولى المعروف بابن المعترف وغيرهما، من كتبه: «تفسير القرآن العظيم»، و«شرح الأسماء الحسنى»، و«شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان»، توفي نحو سنة (٩٥٢هـ). انظر لترجمته: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة (٢/٢٨، ٢٩)، وشذرات الذهب (١٠/٤٢١)، والأعلام (٢/٥٠٥).

(٢) تقع على الضفة الشرقية لمضيق البسفور، بها الجوامع الجامعة، والمباني المشيّدة، والأسواق المتعدّدة، ومنها يُركب في المُعدّية إلى المدينة العظمى القُسْطَنْطِينيّة، وهي الآن إحدى بلديات محافظة إسطنبول. انظر: رحلة الشتاء والصيف (ص١٨٧)، والمطالع البدرية في المنازل الرومية (ص١١٨) وما بعدها.

والفرقان الحكيم، من أوله إلى آخره في أقل من أربعة أشهر هلالية، فلله الفضل وعليه المنة، على ما يسر لي من تحقيق القراءات، وتمييز الروايات، وما هذا إلا تحديث [بـ] آلاء الله العظام، ونعمه المترادفة الجسام، وغبَّ ما أجيز لي القراءة والإقراء من المشايخ المجوّدين المحققين من القراء، سقاهم ربهم شراباً طهوراً، ولقَّاهم نضرة وسروراً، صحبني للاستفادة الكاملة برسوخ قدم في الطلب، القارئ الماهر، والمستحضر الذاكر، فخر العلماء، وجمال القراء، الفاضل النحرير، المجوّد الذي ليس له نظير، القارئ المحقق، والكامل المدقق: مولانا صادق بن يوسف، أدام الله تعالى معاليه، وقرن بالسعادة أيامه ولياليه، وقرأ عليَّ المواضع المهمة من القصيدة اللامية لولي الله النحرير أبي القاسم الشاطبي الضرير[1]، قراءة علم وتحقيق، ودراية وتدقيق، وحفظ ووعى ما يتوقف عليه القراءات السبع في الحرز من القواعد والأصول، وقرأ عليَّ بها من القرآن العظيم، والفرقان الحكيم بعضاً بالإفراد، وبعضاً بالجمع، تارة بالمرتبتين في المد المتصل: طولى لورش وحمزة، ووسطى لمن بقي، والمنفصل فرعه بجمع ترتيبي، وبجمع الماهر الذي هو الابتداء بمن عليه وقف، وتارة بالمراتب الأربع في المد المتصل والمنفصل: طولى لورش وحمزة، ودونها لعاصم، ودونها لابن عامر والكسائي، ودونها لمن بقي، مع رعاية الترتيب بعضاً، والابتداء بمن عليه وقف بعضاً آخر، إلى أن تحقق لديَّ وتبين بين يديَّ أنه كان أهلاً للقراءة والإقراء، في كل القرآن العظيم، بالإفراد وبالجمع، بأنواع طرقه المذكورة فيما سبق آنفاً.

فلما كان الأمر على ما حررتُ أجزتُ وأذِنْتُ لمولانا صادق المرقوم، وأبحت عليه أن يقرأ ويُقرئ بالإفراد، وبأصناف طرق الجمع، متى شاء، لمن شاء، في أي مكان شاء؛ لعلمي أنه أهل لذلك مع الزيادة، جعله الله مظهراً لأنواع العز والسعادة».

(١) هو القاسم بن فِيرُّه بن خلف بن أحمد الشاطبي الرُّعيني الأندلسي الضرير، كان رأساً في القراءات، حافظاً للحديث، بصيراً بالعربية، واسع العلم، توفي سنة (٥٩٠هـ). انظر لترجمته: معرفة القراء الكبار (ص٣١٢، ٣١٣)، وغاية النهاية (٢/٢٣).

وآخرها: «فهذه الأسانيد المذكورة قد وصلت إلى القارئ المزبور بتمامها، فليحمد الله وليشكره على هذه النعمة العظيمة.

وبعد هذا فإني أوصيه بتقوى الله في السر والعلانية، وحفظ حدود الله تعالى، والتمسك بكتاب الله، وليحفظ حرمة كتاب الله، وليخفض جناحه لمن أتاه طالباً، وليتق الله فيما يرويه، ولا ينسى شيوخه من صالح دعواته في جلواته وخلواته.

وهذا آخر ما أردنا ذكره من الإجازة، والمجيز والمحرر هو العبد الفقير إلى الله الغني الأحد: عبيد الله الفناري من أحد عرقيه، غفر الله له ولوالديه، آمين آمين آمين.

تحرر في عاشر شهر شوال لسنة ست عشرة وتسعمائة من الهجرة النبوية، قد وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب، بعناية الله الملك الوهاب، حرره الفقير إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: قورد محمد بن موسى، نائباً بالمحلة المعمورة بمدينة أسكدار، عفي عنهما، حرّره في اليوم السابع عشر من شهر رجب المرجب من شهور سنة عشرين وألف».

الفرع الرابع: مصنفاته:

أما مصنفاته فقد وقفت على أربعة منها، وهي:

١. **خطبة في التحذير عن المذاهب الباطلة، والتحريض على مذاهب أهل السنة والجماعة**: أتمها في وقت الضحوة من يوم الثلاثاء في شهر ربيع أول سنة (٩٥٠هـ).

أولها: «الحمد لله المتفرد بوجوب الأزلية والبقاء، المتوحد بالجلال والعظمة والكبرياء، المتنزه عن مشاكلة الأشباه ومماثلة الأشياء، المقدس عن الغفلة والعجز والعناء...».

وآخرها: «ما في هذه الأوراق من الخطبة والموعظة وسائر الكلمات المذكورة هو من مؤلفات أضعف العباد صادق الحقير، المفتقر إلى الله الكريم الجواد، السائل ربه أن يهديه سبيل الرشاد، رحم الله من نظر إليه بعين الدقة والسداد، ودعا لمؤلفه بخلوص الفؤاد.

تم في سنة خمسين وتسعمائة، في شهر ربيع الأول، في يوم سه شنبه (يوم الثلاثاء)، في وقت الضحوة. م. م. م».

ويوجد منها - فيما أعلم - نسخة خطية فريدة، تحتفظ بها مكتبة مانيسا العامة، تحت رقم: (Hk 342-4)، في ثلاث لوحات، ضمن مجموع، من لوحة (٧٧ب - ٨٠أ)، مسطرتها (٢٢) سطراً، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر (١٨) كلمة.

٢. **رسالة في بيان وجوب قراءة القرآن بالتجويد، وحرمة اللحن فيها بترك التصحيح والتسديد**: يوجد منها نسخة خطية فريدة، تحتفظ بها مكتبة مانيسا العامة، تحت رقم: (Hk 342-3)، تقع في خمس لوحات، ضمن مجموع (٧٣أ - ٧٧أ)، مسطرتها ما بين (٢٢ - ٢٤) سطراً، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر (١٨) كلمة، يرجع تاريخ نسخها إلى سنة (٩٥٠هـ)، وهي نسخة مقابلة على نسخة أخرى.

٣. **رسالة التجويد**: وهو موضوع الدراسة والتحقيق، وسيأتي الحديث عنه.

٤. **مختصر في دلائل النبوة**: أوله: «بسم الله... لمَّا رأيتُ السَّلفَ العُلماء... قد ذكروا...»، وآخره: «الحمد لله الذي أنعم علينا وهدانا للإسلام، وجعلنا من أمة رسوله محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. تم».

يوجد منه - فيما أعلم - نسخة خطية فريدة محفوظة في مجموعة جاريت بمكتبة جامعة برنستون في ولاية نيوجيرسي الأميركية، تحت رقم: (1020H)، في (١٥) ورقة، مسطرتها (١٥) سطراً، مقاس (١٧,٨ × ١٢ سم)، والنص المكتوب: (١١ × ٦,٥سم)، يرجع تاريخ نسخها إلى القرن الثالث عشر الهجري تقديراً[١].

الفرع الخامس: وفاته:

لم يرد شيء عن تاريخ وفاته، إلا أنه كان حيّاً سنة (٩٥٠هـ).

---

(١) الفهرس الوصفي للمخطوطات العربية بمجموعة جاريت في مكتبة جامعة برنستون، إعداد: فيليب خوري حِتِّي، ونبيه أمين فارس، وبطرس عبد الملك (ص٤٦٣).

المطلب الثاني: دراسة الكتاب:

وفيه سبعة فروع:

الفرع الأول: تحقيق عنوان الكتاب:

عنوان هذا الكتاب هو: «رسالة التجويد».

وثبت عنوان الكتاب في «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، حيث جاء فيه: «رسالة التجويد لصادق بن يوسف المجود، المتوفى: سنة... أولها: (الحمد لله الذي أنزل القرآن معجزاً ببلاغة معناه... إلخ»[1]، وقد جاءت المقدمة التي ذكرها صاحب كشف الظنون مطابقة لمقدمة المخطوط، كما كُتب في الصفحة السابقة لبداية المخطوط في نسخة تركيا: «هذه رسالة شريفة في علم التجويد لمولانا صادق خواجة المغنيساوي، قد نبه المرحوم نور الله قبره إلى يوم النشور على أكثر الغلطات الواقعة الشائعة بين القراء العوام الذين لم يأخذوا علم التجويد من أفواه مشايخ القراء».

كما أن المؤلف قال في بداية كتابه: «كتبتُ هذا المختصر...»، ولفظ «المختصر» قريب من معنى الرسالة، ولولا ما صرّح به صاحب كشف الظنون من تسميته بالرسالة لكان الأولى أن يُسمّى «المختصر»؛ لوصف المؤلّف له بأنه مختصر.

الفرع الثاني: توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

لم يشكك أحد في صحة نسبة هذا الكتاب لمؤلفه فيما اطلعت عليه، ومما يؤكد نسبته لمؤلفه:

١. وجود اسم المؤلف في نسخة تركيا في الصفحة السابقة لبداية المخطوط، حيث كتب عليها: «هذه رسالة شريفة في علم التجويد لمولانا صادق خواجة المغنيساوي، قد نبه المرحوم نور الله قبره إلى يوم النشور على أكثر الغلطات الواقعة الشائعة بين القراء العوام الذين لم يأخذوا علم التجويد من أفواه مشايخ القراء».

(١) كشف الظنون (١/٨٥٢).

٢. تصريح المؤلف باسمه في بداية الكتاب وسبب تأليفه، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيقول العبد المفتقر الضعيف: صادق بن يوسف رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ الرؤف اللطيف: لما رأيت الأكثرين من قراء الزمان يتلفظون ببعض الحروف غير مطابق لقواعد تجويد القرآن... كتبتُ هذا المختصر».

٣. نسبه له حاجي خليفة (ت: ١٠٦٧هـ) في «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، حيث قال: «رسالة التجويد لصادق بن يوسف المجود. المتوفى: سنة... أولها: (الحمد لله الذي أنزل القرآن معجزاً ببلاغة معناه... إلخ)»[1].

الفرع الثالث: منهج المصنف في الكتاب:

صرح في مقدمته بسبب تأليفه، فقال: «لما رأيت الأكثرين من قراء الزمان يتلفظون ببعض الحروف غير مطابق لقواعد تجويد القرآن، وكان أكثر غلطهم: تغليظ الحروف المرققات، وتغيير الفتح المتوسط باستعمال الفتح الشديد، وهو مكروه معيب في جميع القراءات، ورأيتُ بعضَهم لا يشعرون بركاكة حالهم، ويزعمون أنهم يحسنون لفظاً، وبعضَهم يشعرون بها ولكن يتكاسلون، ولا يتعلمون من المجوِّد الحاذق، ولا يجدّون جدّاً حسناً، وبعضهم تعلّموا من المجوِّد ولا يراعون بما صرفوا هممهم إلى أن يرفعوا صوتاً، ويراعوا مقاماً، وبما ضيَّعوا بأن أهملوا رياضة ألسنتهم إهمالاً. وبعضَهم يعرفون الحق ويعاندون أهله، ويصوِّبون غلطاتهم حسداً أو استكباراً، ولا يتفكرون أنهم بردِّهم الحق يرتكبون أمراً عظيماً: كتبتُ هذا المختصر إيقاظاً من نومة الغفلة الفريقَ الأول، وتحريضاً الفريقَ الثانيَ على تعلّم الوجه الفصيح بلا كسل، وتحذيراً الفريقَ الثالثَ من التغيير وإيراد الخلل، وتبكيتاً الفريقَ الرابعَ رجاء أن يُنصِفوا، ولا يزعم الناس صحيحاً سقيم العمل».

---

(١) كشف الظنون (١/٨٥٢).

أما منهجه في الكتاب: فلم يورد جميع القواعد التجويدية، وإنما اقتصر فيه على بيان التجويد، ووجوبه على من يقرأ القرآن، وعلى ذكْر القواعد الدالة على الغلطات الشائعة من بين الألفاظ المروية، ورتّبه على أربعة فصول؛ ليسهل أخذ المعنى والوصول:

الفصل الأول: في بيان التجويد.

الفصل الثاني: في بيان وجوب التجويد.

الفصل الثالث: في بيان اللحن.

الفصل الرابع: في بيان الغلطات الشائعة من بين الألفاظ المروية، وإيراد قانون صحيح وميزان مستقيم.

وقد أفصح المؤلف عن منهجه في مقدمته باختصار، فقال: «ولم أورد فيه جميع القواعد التجويدية، بل اقتصرت على بيان التجويد، ووجوبه على من يقرأ القرآن من الأمة المحمدية، وعلى ذكر القواعد الدالة على الغلطات الشائعة من بين الألفاظ الردية، ورتبته على أربعة فصول؛ ليسهل أخذ المعنى والوصول».

وقد تقيد بمنهجه الذي ذكره.

الفرع الرابع: المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في تأليف كتابه:

اعتمد المؤلف على عدد من المصادر في كتابه، وهي:

١. النشر في القراءات العشر: للإمام محمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ).

٢. طيبة النشر في القراءات العشر: للإمام محمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ).

٣. شرح المقدمة الجزرية: لطاش كبرى زاده (ت: ٩٦٨هـ)[١].

---

(١) هو أبو الخير، أحمد بن مصطفى بن خليل، الشهير بـ (طاش كبرى زاده)، مؤرخ، صاحب «الشقائق النعمانية»، مشارك في كثير من العلوم، تركي الأصل، مستعرب، توفي سنة (٩٦٨هـ). انظر لترجمته: الطبقات السنية في تراجم الحنفية (ص١٥٣)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول (٢٥٢/١).

٤. تفسير البيضاوي[١] «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»: للإمام: عبد الله بن عمر البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ).

٥. شرح الشافية لابن الحاجب[٢]: لأحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي[٣] (ت: ٧٤٦هـ).

٦. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق: لعثمان بن علي بن محجن الزيلعي الحنفي[٤] (ت: ٧٤٣هـ).

٧. الجامع الوجيز في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان: ويعرف بـ: «الفتاوى البزازية»، لمحمد بن محمد بن شهاب الكردري الشهير بالبزازي[٥] (ت: ٨٢٧هـ).

٨. المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني[٦] (ت: ٧٩٢هـ).

٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري[٧] (ت: ٣٩٣هـ).

١٠. التمهيد في علم التجويد: للإمام محمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ).

---

(١) ستأتي ترجمته في النص المحقق.

(٢) ستأتي ترجمته في النص المحقق.

(٣) ستأتي ترجمته في النص المحقق.

(٤) هو عثمان بن علي بن محجن البارعي الزيلعي، فقيه حنفي، نحوي، فرضي، قدم القاهرة سنة (٧٠٥هـ)، فأفتى ودرس، ونشر الفقه، وانتفع به الناس، وتوفي فيها سنة (٧٤٣هـ) ودفن بالقرافة. انظر لترجمته: الدرر الكامنة (٢٥٨/٣)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول (٤٨٣/٤)، والفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص١١٥).

(٥) ستأتي ترجمته في النص المحقق.

(٦) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني السمرقندي الحنفي، الفقيه، المتكلم، الأصولي، النحوي، المنطقي، انتهت إليه رياسة الحنفية في زمانه، توفي سنة (٧٩١هـ)، وقيل: (٧٩٢هـ). انظر لترجمته: الدرر الكامنة (١١٢/٦)، وشذرات الذهب (٥٤٧/٨).

(٧) هو إسماعيل بن حمّاد الجَوْهَري، التركي، يكنى بأبي نصر، إمام في علم اللغة والأدب، توفي سنة (٣٩٣هـ). انظر لترجمته: معجم الأدباء (٦٥٦/٢)، وإنباه الرواة على أنباه النحاة (٢٢٩/١).

الفرع الخامس: مميزات هذا الكتاب:

تميز هذا الكتاب بالمميزات الآتية:

١. اعتماده على مصادر موثوقة: كالنشر، والتمهيد، وشرح الجزرية.

٢. أنها رسالة موجزة.

الفرع السادس: الملحوظات على الكتاب:

ليس لي ملاحظة على هذا الكتاب سوى كثرة اعتماده على النشر، وهذه وإن كانت قد تعد مزية من حيث أصالة النشر في هذا العلم، إلا أن كثرة اعتماده عليه جعلته لا يكاد يضيف جديداً على ما في النشر.

الفرع السابع: وصف النسخ:

يوجد من هذا الكتاب نسختان خطيتان فيما أعلم، وقد حصلت على مصورات منهما ولله الحمد، ووصفها كالآتي:

١. **النسخة الأولى**: مصورة من نسخة تحتفظ بها مكتبة حسن باشا في مدينة جروم التركية، تحت رقم: (Hk 193-2)، تقع في عشر لوحات، ضمن مجموع، من لوحة (٧٠ب - ٨٠أ)، مسطرتها (٢١) سطراً، مقاس (٢١٥ × ١٥٠ سم)، والنص المكتوب: (١٦٠ × ٨٠ سم)، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر (١٢) كلمة.

وقبلها في المجموع: «الفوائد السرية في شرح المقدمة الجزرية» لأبي عبد الله محمد ابن إبراهيم بن يوسف التاذفي الحلبي[1] (٩٠٨ - ٩٧١هـ)، انتسخت من النسخة المنقولة من خط الشارح بخطه، وكان ذلك في العشر الأوسط من شهر صفر سنة (٩٤١هـ).

وجعلتها (النسخة الأصل) للبحث والتحقيق.

---

(١) هو محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن الحلبي القادري التاذفي، رضيّ الدين ابن الحنبلي، كان بارعاً متفنناً، توفي سنة (٩٧١هـ). انظر لترجمته: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة (٣٨/٣).

٢. **النسخة الثانية**: مصورة من نسخة تحتفظ بها المكتبة المركزية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تحت رقم (٢/٣٩٩)، تقع في تسع لوحات، ضمن مجموع، من ورقة (٦٠ب - ٦٨ب)، مسطرتها (١٩) سطراً، مقاس: (١٨ × ١٣ سم)، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر (١٥) كلمة. يرجع تاريخ نسخها إلى سنة (٩٣٩هـ)، وهو تاريخ نسخ الكتاب الواقع قبلها في المجموع، وهو كتاب «الحواشي المفهمة في شرح المقدمة» لأبي بكر أحمد بن محمد بن الجزري[١] (ت نحو: ٨٣٥هـ)، حيث وقع الفراغ من تنميقه على باب بني شيبة من أبواب بيت الله الحرام بمكة المشرفة تجاه الكعبة المعظمة في أواخر ربيع الآخر سنة (٩٣٩هـ)، ولم يذكر اسم الناسخ[٢]. ورمزت لها بالنسخة (ج) نسبة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود.

(١) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن محمد بن الجزري القرشي الشافعيّ، أخذ عن أبيه وغيره، تصدر للإقراء والتدريس، توفي نحو (٨٣٥هـ). انظر لترجمته: غاية النهاية (١/١٢٩) وما بعدها.

(٢) انظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي، منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (٣/٥٦٦)، نقلاً عن فهرس المخطوطات والمصورات الصادر عن عمادة شؤون المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الجزء الأول، المصاحف والتجويد والقراءات (ص٧٨).

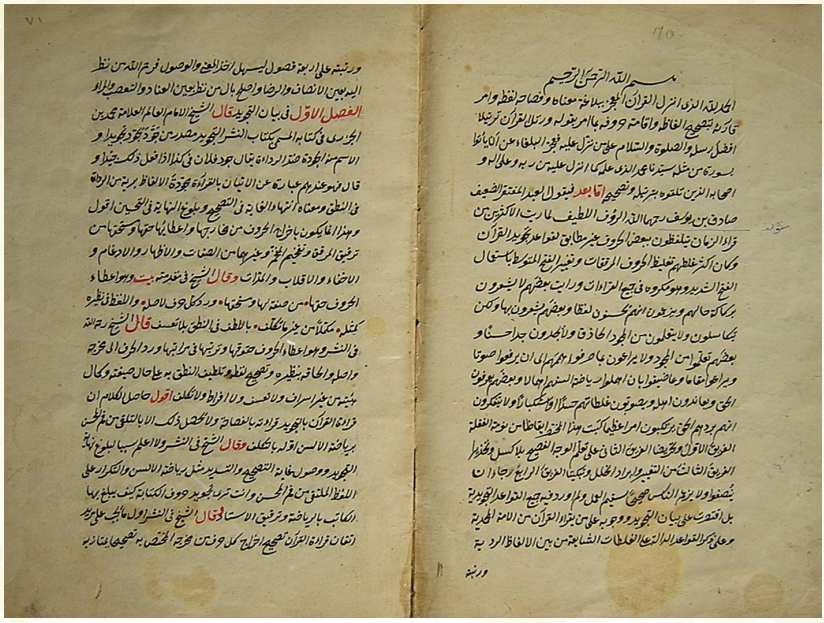

الصفحة الأولى من النسخة الأصل

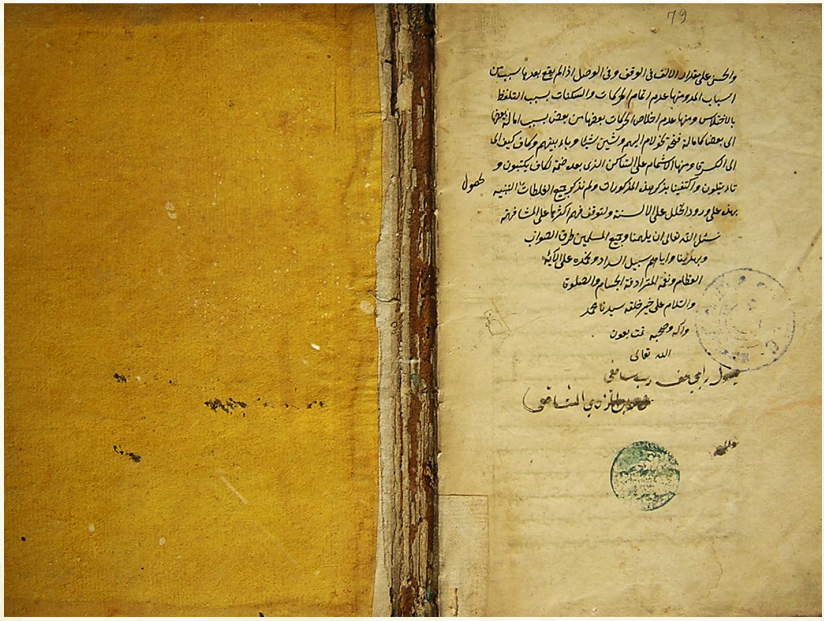

الصفحة الأخيرة من النسخة الأصل

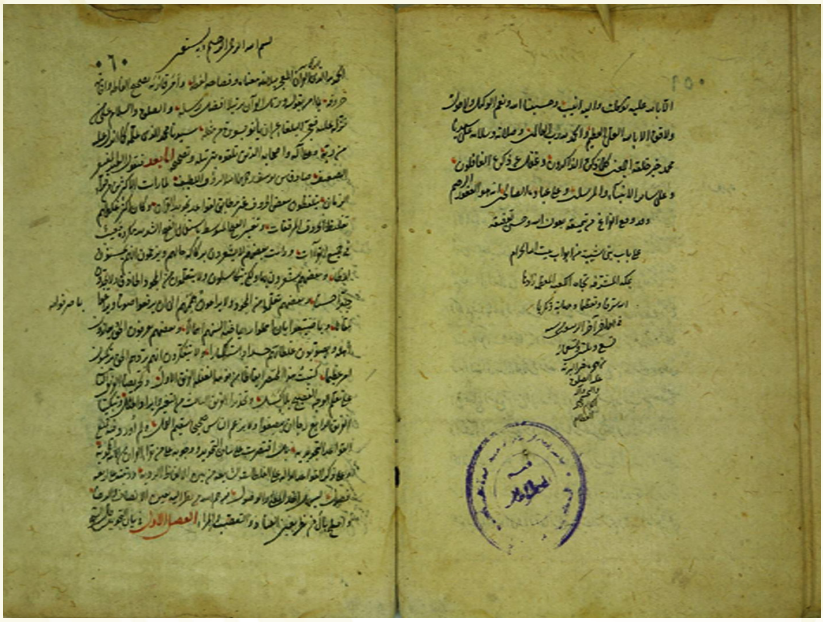

الصفحة الأولى من النسخة [ج]

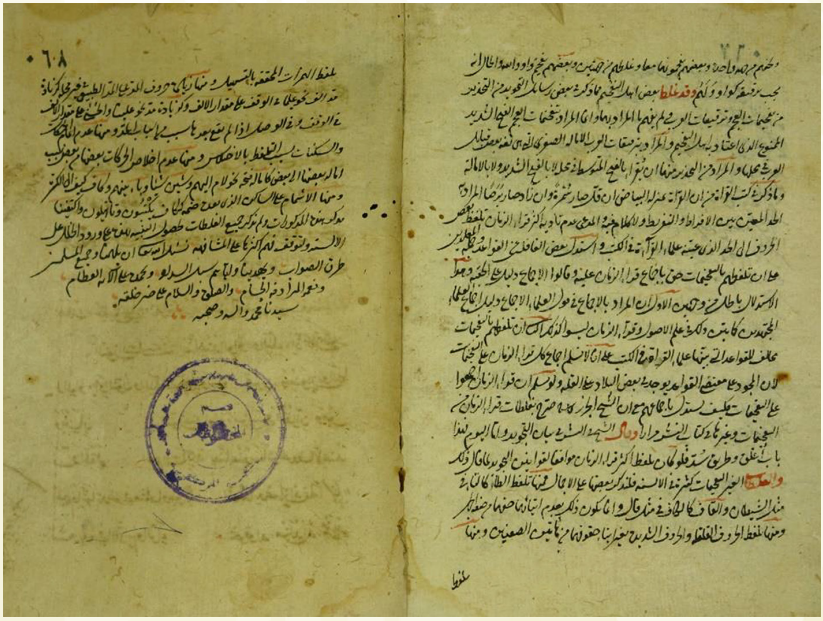

الصفحة الأخيرة من النسخة [ج]

المبحث الثاني
النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن المعجزَ ببلاغة معناه، وفصاحة لفظه، وأمَرَ قارئَه بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه، بما أمر بقوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] أفضلَ رسله، والصلاة والسلام على من نُزِّل[١] عليه، فعجز البلغاء عن أن يأتوا بسورة من مثله، سيدنا محمد الذي علَّمه كما أُنزل عليه من ربه، وعلى آله وأصحابه الذين تلقوه بترتيله وتصحيحه، أما بعد:

فيقول العبد المفتقر الضعيف: صادق بن يوسف رَحِمَهُمَاٱللَّهُ الرؤف اللطيف: لما رأيت الأكثرين من قراء الزمان يتلفظون ببعض الحروف غير مطابق لقواعد تجويد القرآن، وكان أكثر غلطهم: تغليظ الحروف المرققات، وتغيير الفتح المتوسط باستعمال الفتح الشديد، وهو[٢] مكروه [معيب][٣] في جميع القراءات، ورأيتُ بعضَهم لا يشعرون بركاكة حالهم، ويزعمون أنهم يحسنون لفظاً، وبعضَهم يشعرون بها ولكن يتكاسلون، ولا يتعلمون من المجوِّد الحاذق، ولا يجدّون جدّاً حسناً، وبعضهم تعلّموا من المجوِّد ولا يراعون بما صرفوا هممهم إلا أن يرفعوا صوتاً، ويراعوا مقاماً، وربما ضيَّعوا[٤] بأن أهملوا رياضة ألسنتهم[٥] إهمالاً. وبعضَهم يعرفون الحق ويعاندون أهله، ويصوِّبون[٦] غلطاتهم حسداً أو استكباراً، ولا يتفكرون أنهم بردِّهم الحق يرتكبون أمراً عظيماً: كتبتُ هذا المختصر إيقاظاً من نومة الغفلة الفريقَ الأول، وتحريضاً الفريقَ الثانيَ على تعلّم الوجه الفصيح بلا كسل، وتحذيراً الفريقَ الثالثَ من التغيير وإيراد الخلل، وتبكيتاً

(١) في (ج): (نزَّله).
(٢) (وهو) ساقطة من (ج).
(٣) ساقطة من الأصل، ومثبتة من (ج).
(٤) في الأصل: (ضيقوا)، والمثبت من (ج) وهو الصواب.
(٥) في (ج): (ألسنهم).
(٦) في الأصل: (ويصوتون)، والمثبت من (ج)، وهو الصواب.

الفريقَ الرابعَ رجاء أن يُنصِفوا، ولا يزعم الناس صحيحاً سقيم العمل، ولم أُورد فيه جميع القواعد التجويدية، بل اقتصرت على بيان التجويد، ووجوبه على من يقرأ القرآن من الأمة المحمدية، وعلى ذكر القواعد الدالة على الغلطات الشائعة من بين الألفاظ الردية، ورتبته على أربعة فصول؛ ليسهل أخذ المعنى والوصول، فرحم الله من نظر إليه بعين الإنصاف والرضا، وأصلح بال من نظر بعين العناد والتعصب والمراء.

الفصل الأول: في بيان التجويد:

قال الشيخ الإمام العالم العلامة محمد بن الجزري[1] في كتابه المسمى بكتاب «النشر»: التجويد مصدر من: جوّد يجوّد تجويداً، والاسم منه: الجودة، ضد الرداءة، يقال: جوّد فلان في كذا: إذا فعل ذلك جيّداً.

وقال: فهو عندهم عبارة عن الإتيان بالقراءة مجوّدة الألفاظ، بريئة من الرداءة في النطق، ومعناه: انتهاء الغاية في التصحيح، وبلوغ النهاية في التحسين[2].

أقول: وهذا إنما يكون بإخراج الحروف من مخارجها، وإعطائها حقها ومستحقها من ترقيق المرقّق، وتفخيم المفخّم، وغيرهما من الصفات، والإظهار، والإدغام، والإخفاء، والإقلاب، والمدّات.

وقال الشيخ في مقدمته: (بيت)

وَهُوَ إِعْطَاءُ الحُرُوفِ حَقَّهَا ... مِنْ صِفَةٍ لَهَا وَمُسْتَحَقَّهَا

وَرَدُّ كُلِّ حرف[3] لِأَصْلِهِ ... واللفْظُ فِي نَظِيرِهِ كَمِثْلِهِ

مُكْتَمِلاً[4] مِنْ غَيْرِ مَا[5] تَكَلّفِ ... بِاللُّطْفِ فِي النُّطْقِ بِلَا تَعَسُّفِ[6]

(١) سبقت ترجمته.
(٢) انظر: النشر في القراءات العشر (٢١٠/١).
(٣) في المقدمة الجزرية: (ورد كل واحد لأصله) (ص١١).
(٤) في المقدمة الجزرية: (مكملاً) والمعنى واحد.
(٥) (ما) ساقطة من (ج).
(٦) المقدمة الجزرية، للإمام ابن الجزري (ص١١).

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النشر: «وهو إعطاء الحروف حقوقها، وترتيبها[١] في مراتبها، وردّ الحرف[٢] إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره، وتصحيح لفظه[٣]، وتلطيف النطق به على حال صيغته، وكمال هيئته، من غير إسراف، ولا تعسف، ولا إفراط، ولا تكلف»[٤].

أقول: حاصل الكلام: أن قراءة القرآن بالتجويد: قراءته بالفصاحة، ولا يحصل ذلك إلا بالتلقي من فم المحسن برياضة الألسن أوّله بالتكلف.

وقال الشيخ في النشر: ولا أعلم سبباً لبلوغ نهاية التجويد، ووصول غاية التصحيح والتسديد، مثل رياضة الألسن، والتكرار على اللفظ المتلقّى[٥] من فم المحسن، وأنت ترى تجويد حروف الكتابة، كيف يبلغ بها الكاتب بالرياضة، وتوفيق[٦] الأستاذ[٧].

وقال الشيخ في النشر: أول ما يجب على مريد إتقان قراءة القرآن: تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه المختص به تصحيحاً يمتاز به عن مقاربه، وتوفية كل حرف صفته المعروفة[٨]، توفية تخرجه عن مجانسه، يُعمِل[٩] لسانه وفمه بالرياضة في ذلك، عملاً يصير ذلك له طبعاً وسليقة[١٠].

---

(١) في الأصل: (ترتبها)، والمثبت من (ج) والنشر (٢١٢/١).

(٢) في (ج): (الحروف).

(٣) قوله: (وأصله، وإلحاقه بنظيره، وتصحيح لفظه): ساقطة من (ج).

(٤) النشر (٢١٢/١).

(٥) في الأصل: (الملتقى)، والمثبت من (ج) والنشر (٢١٣/١).

(٦) هكذا في النسخة (ج)، وفي الأصل: (وترقيق)، ولعل الصواب: (وتوقيف) كما في النشر (٢١٣/١)، ولا يبعد أن تكون (توفيق) تحرفت من (توقيف)، فصورة الكلمة واحدة، كما أن (ترقيق) قريبة منها، لقرب (الراء) من (الواو) في بعض الخطوط.

(٧) انظر: النشر (٢١٣/١).

(٨) في الأصل: (صفة المعرفة)، والمثبت من (ج) والنشر (٢١٤/١).

(٩) في (ج): (بعمل).

(١٠) انظر: النشر (٢١٤/١).

الفصل الثاني: في بيان وجوب التجويد:

قال العلماء: تجويد القرآن واجب على كل من يقرأ القرآن. قال الشيخ في مقدمته (نظم)[1]:

وَالْأَخْـذُ بِالتَّجْويـدِ حَتْـمٌ لَازِمُ مَـنْ لَـمْ يُصَحِّـحِ[2] القُـرْآنَ آثِـمُ[3]

لِأَنَّـهُ بِـهِ الإِلَهُ أَنْـزَلا وَهَكَـذا عَنْـهُ إِلَيْنَـا وَصَـلَا[4]

وقال الشارح[5]: أخبر أن مراعاة قواعد التجويد والأخذ بذلك أي[6] العمل به فرض عين لازم لكل من قرأ القرآن، ثم أخبر أن من لم يصحح القرآن آثم، أي: من لم يراع قواعد التجويد في قراءته عاص آثم بعصيانه، والآثم معاقب، فعُلم أن ترك التجويد حرام[7].

وقال الشارح: ثم علّل كون القارئ آثماً بترك التجويد، فقال:

لأنـه بـه الإله أنـزلا

وقال الشارح: فإذا كان القرآن عربياً، فينبغي أن يُرَاعى فيه قواعد لغة العرب، من: ترقيق المرقّق، وتفخيم المفخّم، وإدغام المدغم، وإظهار المظهر، وإخفاء المخفي، ومد الممدود، وقصر المقصور، وغير ذلك مما هو لازم لهم في كلامهم الذي [هو][8] سليقة لهم، لا يحسنون غيره، فإذا لم يراع ذلك فكأنه قرأ القرآن بغير لغة العرب،

(١) (نظم): ساقطة من (ج).

(٢) في النسخة المطبوعة من المقدمة الجزرية وطيبة النشر: (يجود)، وذكره ابن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لطيبة النشر بلفظ (يصحح)، انظر: (ص٣٥)، وكذلك: صفوت محمود سالم في كتابه: «فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد» (ص٤٩)، وقال الشيخ أحمد محمود عبد السميع الحفيان في كتابه: «الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم: شرح واف لمتني الجزرية وتحفة الأطفال»: «في نسخة: من لم يصحح القرآن» (ص٩١).

(٣) في (ج): (فهو آثم)، والمثبت من الأصل، والمقدمة الجزرية.

(٤) المقدمة الجزرية (ص١١).

(٥) أي: شارح المقدمة الجزرية، وهو: أحمد بن مصطفى بن خليل، الشهير بـ (طاش كبرى زاده)، وقد سبقت ترجمته.

(٦) في الأصل: (إلى)، والمثبت من (ج)، وهو الصواب.

(٧) انظر: شرح المقدمة الجزرية، لطاش كبرى زاده (ص١٠٦).

(٨) (هو): ساقطة من الأصل، والمثبت من (ج).

والقرآن ليس كذلك، فهو قارئ وليس بقارئ، بل هاذٌّ[1]، وهو من ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، ومن الداخلين في قوله عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: «رُبَّ قَارِئٍ يَقْرَأُ القُرْآنَ وَالقُرْآنُ يَلْعَنُه»[2].

وقال الشيخ في النشر: ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده[3]، متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه، على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التي لا تجوز مخالفتها، ولا العدول عنها[4] إلى غيرها. والناس في ذلك بين: محسن مأجور، ومسيء آثم، ومعذور، فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح العربي الفصيح، وعَدَل إلى اللفظ الفاسد العجمي أو[5] النبطي القبيح، استغناء بنفسه، واستبداداً برأيه وحسه[6]، واتكالاً على ما ألف من حفظه، واستكباراً عن الرجوع إلى عالِم يُوقفه على صحيح لفظه، فإنه مقصِّر بلا شك، وآثم بلا ريب، وعاص بلا مرية، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ المسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِم»[7].

أما من كان لا يطاوعه لسانه، أو لا يجد من يهديه[8] إلى الصواب، فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها[9].

---

(١) (بل هاذ): ساقطة من (ج).

(٢) انظر: شرح المقدمة الجزرية، لطاش كبرى زاده (ص١٠٧). وأما الحديث: فلم يصح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وذكره الغزالي في الإحياء موقوفاً على أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، بلفظ: «رب تال للقرآن والقرآن يلعنه» (٢٧٤/١)، وجاء في تفسير ابن باديس (ص٣٥): واستدلوا على هذا بقول أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ الذي يحسبه العامة حديثاً: «رب تال للقرآن والقرآن يلعنه». وورد بلا نسبة في تفسير النيسابوري (٧٤/١)، والآلوسي (٣٦٥/١١)، والمراغي (١٢٧/٢٢).

(٣) في (ج): (حدودهم).

(٤) (عنها) ساقطة من: (ج).

(٥) في الأصل: (و)، والمثبت من (ج)، والنشر (٢١١/١).

(٦) في النشر (٢١١/١): (وحدسه)، والمعنيان متقاربان.

(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٥٥) (٧٤/١)، في باب: بيان أن الدين النصيحة، ولفظه عنده: «الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

(٨) في (ج): (به يهتدي)، والمثبت من الأصل، والنشر (٢١١/١).

(٩) انظر: النشر (٢١٠/١، ٢١١).

قال الشيخ في النشر: قال الإمام أبو عبد[١] الله نصر بن علي بن محمد الشيرازي[٢] في كتابه: «الموضح في القراءات» في فصل التجويد منه، بعد ذكر الترتيل والحدر ولزوم التجويد فيهما، قال: فإنّ حسن الأداء فرضٌ في القرآن، ويجب على القارئ أن يتلو القرآن حقَّ تلَاوته؛ صيانةً للقرآن عن أن يجد اللَّحن والتغيير إليه سبيلاً[٣].

ودليل وجوب التجويد: إنزال الله تعالى القرآن على الفصاحة، وهو معنى قول الشيخ في مقدمته:

لأنــه بــه الإله أنــزلا

والكتاب والسنة، أما الأول: فقد علم بأن القرآن أنزل على اصطلاح فصحاء العرب، وأنه معجز ببلاغة معناه، وفصاحة لفظه، ومعلوم أن جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ أنزل القرآن[٤] بالوجه الفصيح لا بالوجه القبيح، فوجب أن يُقرأ كما أُنزل، وقد علم أن التجويد: قراءة القرآن بالفصاحة.

وأما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

وقال الشيخ في النشر: وجاء عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وقال: الترتيل: تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف[٥].

وقال القاضي البيضاوي[٦] في تفسير هذه الآية: «اقرأه على تُؤَدَةٍ وتبيين حروف»[٧].

---

(١) في الأصل: (عبيد)، والمثبت من النسخة (ج)، وهو الموافق لما في النشر (٢١١/١).

(٢) هو: أبو عبد الله نصر بن علي بن محمد، يعرف بابن أبي مريم الفارسي الشيرازي، أستاذ عارف، توفي بعد سنة (٥٦٥هـ). انظر لترجمته: غاية النهاية (٣٣٧/٢).

(٣) انظر: الموضح في وجوه القراءات وعللها (١١١/١)، والنشر (٢١١/١).

(٤) في النسخة (ج): «علّم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن»، والمعنى واحد.

(٥) انظر: النشر (٢٠٩/١).

(٦) هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي ناصر الدين البيضاوي، وكنيته: أبو الخير. توفي بتبريز سنة (٦٨٥هـ). انظر لترجمته: طبقات الشافعية للسبكي (١٥٧/٨، ١٥٨)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢٤٨/١، ٢٤٩).

(٧) تفسير البيضاوي (٢٥٥/٥).

وقال شارح مقدمة الشيخ: وروى مقسم[١] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: بيّنته تبيّناً[٢].

فنقول: كمال التبين[٣] إنما يحصل بإخراج كل حرف من مخرجه المختص به، وتوفية كل حرف صفته المعروفة.

وأما السنة: فتعليم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن[٤] أصحابه على التجويد، فأخذه التابعون عن الصحابة به، وتلقّته[٥] أئمة القراءة من الصحابة والتابعين به، والرواة عن القراء، [والطرق عن الرواة][٦] هكذا خلفاً عن سلف، وهذا معنى قول الشيخ في مقدمته:

وَهَكَـذا عَنْـهُ إِلَيْنَـا [وَصَـلَا][٧]

الفصل الثالث: في بيان اللحن:

اللحن: الخطأ، وهو في الأصل: الإمالة، والتعويج[٨].

قال الجاربردي[٩] في شرحه لشافية ابن الحاجب[١٠]: قال صاحب الكشاف: اللحن: أن تلحن بكلامك، أي: تميله إلى نحوٍ من الأنحاء ليفطن له صاحبك، كالتعريض و[التورية][١١]، قال:

---

(١) هو مقسم بن بُجْرة مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، ويُقال له: مولى ابن عباس؛ للزومه له، روى عن عائشة، وابن عباس، وأم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، توفي سنة (١٠١هـ). انظر لترجمته: طبقات ابن سعد (٢٢٦/٥)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (٤٦١/٢٨).

(٢) في (ج): (بيِّنه تبييناً).

(٣) في (ج): (التبيين).

(٤) (القرآن): ساقطة من (ج).

(٥) في (ج): (وتلقّاه).

(٦) (والطرق عن الرواة): ساقطة من الأصل، ومثبتة من (ج).

(٧) (وصلا): ساقطة من الأصل، ومثبتة من (ج).

(٨) انظر: الصحاح (٢١٩٣/٦)، ومقاييس اللغة (٢٣٩/٥)، مادة (ل ح ن).

(٩) في (ج): (جاربردي). وهو: الشيخ أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي، فقيه شافعي، مفسر، له العديد من المصنفات القيمة، أخذ عن البيضاوي وغيره، توفي سنة (٧٤٦هـ). انظر لترجمته: طبقات الشافعية الكبرى (٨/٩)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول (١٣٦/١، ١٣٧)، والأعلام للزركلي (١١١/١).

(١٠) هو: العلامة المقرئ الأصولي الفقيه النحوي عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس أبو عمرو بن الحاجب الكردي، سارت الركبان بمصنفاته، توفي سنة (٦٤٦هـ). انظر لترجمته: سير أعلام النبلاء (٢٦٤/٢٣) وما بعدها، ووفيات الأعيان (٢٤٨/٣).

(١١) في الأصل: (والتروية)، والمثبت من (ج)، والكشاف (٣٢٧/٤).

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَي مَا تَفْقَهُوا واللَّحْنُ يَفْهَمُهُ ذَوو الأَلْبَابِ[1]

وقيل للمخطئ: لاحِن؛ لأنه يعدل بالكلام عن الصواب إلى الخطأ[2]. انتهى كلامه.

فاللحن في القرآن: أن يقرأ القارئ بوجه يخل الفصاحة، ويورث القباحة، كنقص الحرف من الكلمة، وزيادتها فيها، وإبدالها غيرها، وكتغيرات[3] كيفيات الحروف من الحركات والسكنات، وغير ذلك من صفات الحروف، كالتفخيم والترقيق، وغيرهما، والإدغام[4] والإخفاء.

قال صدر الشريعة[5] في بيان ضابطة اللحن في باب الأذان: فلا ينقص شيئاً من حروفه، ولا يزيد في أثنائه حرفاً، وكذا لا يزيد ولا ينقص من كيفيات الحروف، كالسكنات والحركات، والمدات، وغير ذلك[6]. إشارة إلى كثرة كيفيات الحروف من غير المذكورات، من أراد أن يعرفها بتمامها، فليطالع كتب قوانين التجويد.

قال العلماء: اللحن حرام، وذكر في فتاوى البزازي[7]: «ولا خلاف أن اللحن فيه حرام، ولا يظن أحد أن المراد بالترجيع المختلف المذكور: اللحن، فإن اللحن حرام بلا خلاف، قال الله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾»[8] [الزمر: ٢٨] انتهى كلامه.

---

(١) البيت للقتّال الكلابي، جاء في ديوانه (ص٣٦) بلفظ:

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَي مَا تَفْقَهُوا وَوَحَيْتُ وَحْياً لَيسَ بِالمُرْتَابِ

ونُسِب له بنفس اللفظ في: الزاهر للأنباري (٣٠٦/١)، ولسان العرب (٣٨٠/١٣)، وتاج العروس (١٠٣/٣٦)، وأمالي القالي (٤/١).

(٢) انظر: الكشاف (٣٢٧/٤، ٣٢٨).

(٣) في الأصل: (لتغيرات)، والمثبت من (ج).

(٤) في الأصل: (وإدغام)، والمثبت من (ج).

(٥) هو أبو بكر بن إسحاق بن خالد، زين الدين الكختاوي الحنفي، المعروف بالشيخ باكير، كان بارعاً في العلوم، متفرّداً في المعاني والبيان، ولي قضاء حلب وأفتى ودرّس، توفي سنة (٨٤٧هـ). انظر لترجمته: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٢٦/١١)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول (٨٠/١).

(٦) انظر: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ (٢٤١/١).

(٧) هو محمد بن محمد بن شهاب بن يوسف الكردري البريقيني الخوارزمي الشهير بـ (البزازي)، فقيه حنفي، حاز قصبات السبق في العلوم، توفي سنة (٨٢٧هـ). انظر لترجمته: الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص١٨٧).

(٨) الفتاوى البزازية أو (الجامع الوجيز في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان) (٤٧٢/٢).

كذا في كتب الفتاوى، ولا يحصل اللحن [إلا][1] بالقراءة بغير تجويد؛ لأن بينهما تضاداً وتنافياً، فإذا كان التجويد واجباً كان منافيه ومخلّه حراماً.

ويدل على أن اللحن يخلّ التجويد: ما ذكر علماء العربية في تفسير الفصاحة من عدم اللحن، وذكر في المطول شرح التلخيص: «يقال فصح الأعجمي وأفصح: إذا انطلق[2] لسانه، وخلصت لغته من اللكنة، وجادت فلم يلحن»[3]. وذكر في الصحاح: فصح العجمي: جادت[4] لغته حتى لا يلحن[5]. وقال الشيخ في النشر: عدّ العلماء القراءة بغير تجويد لحناً، وعدّوا القارئ به لحاناً، وقسموا اللحن إلى: جلي وخفي، واختلفوا في حده وتعريفه، والصحيح أن اللحن فيها: خلل يطرأ على الألفاظ فيخل، إلا أن الجلي يخل إخلالاً ظاهراً يشترك في معرفته علماء القراءة وغيرهم، وأن الخفي يخل إخلالاً يختص بمعرفته علماء القراءة وأئمة الأداء الذين تلقوا من أفواه العلماء، وضبطوا عن ألفاظ أهل الأداء الذين يرتضى تلاوتهم، ويوثق بعربيتهم، ولم يخرجوا عن القواعد الصحيحة، والنصوص [الصريحة][6]، فأعطوا كل حرف حقه، ونزلوه منزلته[7].

قال الشيخ في مؤلفه المسمى بكتاب التمهيد في علم التجويد: اعلم أن اللحن على ضربين: لحن جلي، ولحن خفي، ولكل واحد منهما حد يخصه، وحقيقة بها يمتاز عن صاحبه. فأما اللحن الجلي فهو خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بالمعنى والعرف، وأما اللحن الخفي: فهو خلل يطرأ على الألفاظ فيخل، إلا أن الجلي يخل بالمعنى والعرف، والخفي: لا يخل بالمعنى وإنما يخل بالعرف.

(١) (إلا) ساقطة من الأصل، والمثبت من (ج).
(٢) في (ج): (نطق)، والمثبت من الأصل، وكتاب: المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم (ص١٣٨).
(٣) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم (ص١٥٨).
(٤) في الأصل: (وجادت)، والمثبت بحذف الواو من (ج).
(٥) انظر: الصحاح (٣٩١/١)، مادة (ف ص ح).
(٦) (الصريحة): ساقطة من الأصل، ومثبتة من (ج)، والنشر (٢١١/١).
(٧) انظر: النشر (٢١١/١).

بيان ذلك: أن اللحن الجلي هو: تغيير كل واحد من المرفوع والمجرور والمنصوب والمجزوم، بإعراب غيره، أو تحريف المبني عن ما قسم له من حركة أو سكون.

واللحن الخفي: هو مثل تكرير الراءات، وتطنين النونات، وتغليظ اللامات[١] وإسمانها وتشريبها الغنة، وإظهار المخفي، وتشديد اللين، وتليين المشدد[٢]، مما سنذكر بعد، وذلك غير مخل بالمعنى، وإنما الخلل الداخل على اللفظ فساد رونقه، وحسن طلاوته[٣]. انتهى كلامه.

فحاصل ما ذكر: أن اللحن الجلي خلل يطرأ على الألفاظ يختص به تغيير المعنى، وإن لم يغيِّر في بعض المواضع، واللحن الخفي: خلل يطرأ على الألفاظ ليس من شأنه أن يغير المعنى حيث وقع.

وإذا تقرر هذا فلنذكر أمثلة ما يغير المعنى وما لا يغير من اللحن الجلي:

فمن ما يغير المعنى من نقص الحرف نحو إن قرأ القارئ: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ٢، ٣] بإسقاط الواو، ونحو إن قرأ: ﴿لَا يَعْلَمُهَآ﴾ [الأنعام: ٥٩] «ليعلمها» محذوف الألف.

ومن ما لا يغير المعنى منه[٤]، نحو إن قرأ: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص: ٩] «وقال امرأة فرعون» بحذف تاء «قالت».

ومن ما يغير[٥] المعنى من زيادة الحرف، نحو إن قرأ: ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] [لا أزيدنكم][٦] بزيادة الألف، ونحو إن قرأ: ﴿فِيمَا فَعَلْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٤] «فعلنا» بزيادة الألف.

---

(١) في الأصل: (واللامات)، والمثبت من (ج)، والتمهيد (ص٧٧).
(٢) في الأصل: (المشددة)، والمثبت من (ج)، والتمهيد (ص٧٧).
(٣) انظر: التمهيد في علم التجويد (ص٦٢) وما بعدها.
(٤) (منه): ساقطة من (ج).
(٥) في الأصل: (ومن ما لا يغير) بزيادة (لا)، والمثبت من (ج)، وهو الصواب.
(٦) (لا أزيدنكم): ساقطة من الأصل، ومثبتة من (ج).

ومن ما لا يغير المعنى منها، نحو إن قرأ: ﴿وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [لقمان: ١٧] «وانهى عن المنكر» بزيادة الألف لفظاً والياء خطاً، ونحو إن قرأ: ﴿خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ﴾ [الملك: ٢] بإثبات همزة الوصل في الوصل[١].

ومن ما يغير المعنى من إبدال الحرف غيره، نحو إن قرأ: ﴿وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر: ٢] «وانهر» بالهاء، ونحو إن قرأ: ﴿وَٱلصَّيۡفِ﴾ [قريش: ٢] «والسيف» بالسين.

ومن ما لا يغير المعنى منه، نحو إن قرأ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [البقرة: ٣٦] «الشيتان» بالتاء، و﴿لُوطًا﴾ [هود: ٧٧] «لوتا» بالتاء، ونحو: ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٠] «للظالمون» بالواو.

ومن ما يغير المعنى من تغيير الحركات الإعرابية، نحو إن قرأ: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥١] بنصب «داود» ورفع «جالوت». ومن ما لا يغير المعنى منه، نحو إن قرأ: ﴿بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ [المعارج: ١] بالرفع فيهما.

ومن ما يغير المعنى من تغيير الحركات البنائية، نحو إن قرأ: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ٣] «وإن كنتُ» بضم التاء، ونحو إن قرأ: ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾ [الصافات: ١٧٧] «صباح المنذِرين» بكسر الذال. ومن ما لا يغير المعنى منه نحو إن قرأ: ﴿ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ [الأحزاب: ١٤] [سُئُلوا][٢] بضم الهمزة، ونحو إن قرأ: ﴿بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] [بالأفِقِ][٣] بكسر الفاء.

ومن ما يغير المعنى من تغيير السكنات الإعرابية، نحو إن قرأ: ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ﴾[٤] [الأنفال: ٧٠] [إن يعلمُ الله][٥] برفع الميم؛ إذ بالرفع تكون «إن» نافية، كقوله تعالى: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا﴾ [القصص: ١٩]، وكقوله تعالى: ﴿بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم

(١) (في الوصل): ساقطة من (ج).
(٢) (سُئُلوا): ساقطة من الأصل، ومثبتة من (ج).
(٣) (بالأفِقِ): ساقطة من الأصل، ومثبتة من (ج).
(٤) في الأصل: (إن الله يعلم)، والمثبت من (ج)، وهو الصواب.
(٥) (إن يعلمُ الله): ساقطة من الأصل، ومثبتة من (ج).

﴿بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر: ٤٠]، وبالجزم تكون شرطية، وأصل ميم «إن يعلم» جزم على الشرط، وكتبت(١) بالكسر لالتقاء الساكنين.

ومن ما لا يغير المعنى منه، نحو إن قرأ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١٤] [ألم يعلمُ](٢) بالرفع.

ومن ما يغير المعنى من تغيير السكنات البنائية، نحو إن قرأ: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ [النبأ: ١٣] «وجعلَنا سراجا» بفتح اللام.

ومن ما لا يغير المعنى منه، نحو إن قرأ: ﴿تَذْكِرَةً﴾ [طه: ٣] [تَذَكرة](٣) بفتح الذال.

وليس من تغيير الإدغام والإخفاء والإظهار والإقلاب، والتفخيم والترقيق الغير المؤدّيين(٤) إلى الإبدال، وغيرهما من صفات الحروف الواجبات في مواضعها قراءة ولغة، ومِن ترك المد الفرعي اللازم والواجب ما يغير المعنى، لكن تغيير هذه(٥) المذكورات يخل الفصاحة ويورث القباحة، ولا قائل بعدم فصاحة القرآن من أهل الإيمان، ولأجل هذا حرمت هذه(٦) التغييرات.

ويشاهد قباحة تفخيم الحروف المستفلة(٧)، من يفخّم(٨) المستفلة التي اعتاد بترقيقها، نحو حروف: ﴿تُبْتُ﴾ [لنساء: ١٨]، و﴿لَلَبِثَ﴾ [الصافات: ١٤٤]، و﴿أَلَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، و﴿يَلِجَ ٱلْجَمَلُ﴾ [الأعراف: ٤٠]، وعدم مشاهدة البعض قباحة تفخيم بعض المستفلة، كتفخيم الميم من نحو ﴿مَخْمَصَةٍ﴾ [المائدة: ٣]، و﴿مَلِكِ﴾ [الفاتحة: ٤]، والتاء من نحو: ﴿تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١]،

---

(١) في (ج): (حرك).
(٢) (ألم يعلمُ): ساقطة من الأصل، ومثبتة من (ج).
(٣) (تَذَكرة): ساقطة من الأصل، ومثبتة من (ج).
(٤) في الأصل: (المؤدين)، والمثبت من (ج).
(٥) في الأصل (هذ)، والمثبت من (ج).
(٦) في الأصل (هذ)، والمثبت من (ج).
(٧) الاستفال: انخفاض اللسان عند النطق بالأحرف المستفلة إلى قاع الفم، وهي: جميع حروف الهجاء ماعدا: (خ، ص، ض، غ، ط، ق، ظ). انظر: سراج القارئ لابن القاصح (ص٤١٠).
(٨) في الأصل: (تفخيم)، والمثبت من (ج).

حاصل من أن يكون «مأنوساً» بالتفخيم، وكذلك شاهد قباحة تغيير جميع هذه المذكورات أهل الفصاحة، ولذلك ذكر علماء العربية في فن التصريف مخارج الحروف والصفات، وسائر ما يجب عند أهل الفصاحة من نحو: الإدغام، والإخفاء، والإظهار، والإقلاب.

الفصل الرابع: في بيان الغلطات الشائعة من بين الألفاظ الردية، وإيراد قانون صحيح، وميزان مستقيم:

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النشر: «فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته[1] موفياً حقه، فليعمل نفسه بإحكامه حالة التركيب؛ لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الإفراد، وذلك ظاهر، فكم ممن يحسن الحروف مفردة لا يحسنها مركبة، بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب، وقوي وضعيف، ومفخم ومرقق، فيجذب القوي الضعيف، ويغلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب.

فمن أحكم صحة التلفظ حالة التركيب، حصَّل حقيقة التجويد، بالإتقان[2] والتدريب»[3].

فحاصل ما ذكره الشيخ: أن القارئ لا يكون مجوداً إلا بأن يصحح تلفظ الحروف مركبة، كما يصحح تلفظها مفردة، فلو كان الحرف من المستفلة يجب عليه أن يرققها مركبة: كترقيقها مفردة، فلا[4] فرق بينهما، مثلاً يجب عليه أن يرقق ميم ﴿مُّخْمَصَةٍ﴾ [المائدة: ٣]، ﴿مَطْلَعِ﴾ [القدر: ٥] كترقيق ميم ﴿مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٦]، و﴿مَلَأٌ﴾ [هود: ٣٨] من غير فرق بينهما، وكذا ترقيق سائر الحروف المستفلة.

(١) في الأصل: (حلقه)، والمثبت من (ج) والنشر (٢١٤/١).
(٢) في الأصل: (بالاتفاق)، والمثبت من (ج)، والنشر (٢١٥/١).
(٣) النشر (٢١٤/١، ٢١٥).
(٤) في (ج): (بلا)، ولا فرق بينهما.

ولو كانت من المستعلية[١] يجب عليه التطبيق بين تفخيمها مركبة، وبين تفخيمها مفردة، مثلاً: يجب عليه أن يفخم ﴿قٓ﴾ [ق: ١] كتفخيم قاف ﴿قَضۡبٗا﴾ [عبس: ٢٨]. وقال الشيخ عقيب قوله هذا: وسنُوردُ من ذلك ما هو كاف - إن شاء الله تعالى - بعد قاعدة نذكرها، وهي: أن أصل الخلل الوارد على ألسنة القراء في هذه البلاد، [و][٢] ما التحق بها هو: إطلاق التفخيمات والتغليظات على طريقة ألفتها الطباعات، تُلقّيت من العجم، واعتادتها النبط[٣]، واكتسبها بعض العرب، حيث لم يوقفوا على الصواب، ممن يُرجع إلى علمه، ويُوثق بفضله وفهمه. وقوله في هذه البلاد: أراد به بلاد الروم؛ بدلالة تأليفه النشر في بلدة بروسة[٤]، وقد صرح به في آخره[٥].

وقوله: «وما التحق بها»: أراد به بلاد سائر الأعجام.

فحاصل معنى قول الشيخ هذا: أن الخلل حاصل في ألسنة قراء بلاد الروم، وبلاد سائر الأعاجم، وفي ألسنة بعض قراء العرب؛ بسبب استعمالهم التفخمات والتغليظات على طريقة ألفتها طبائعهم، وأن هذه الطريقة تلقيت من الأعاجم، واعتادتها النبط[٦]، وهم قوم ينزلون بالبطايح[٧] بين العراقين، واكتسبها بعض العرب، وأن هذا الخلل صدر عنهم من حيث إنهم لم يتعلموا الصواب من الأستاذ الحاذق.

---

(١) الاستعلاء: ارتفاع اللسان عند النطق بأحرف الاستعلاء إلى الحنك الأعلى، والأحرف المستعلية هي: (خ، ص، ض، غ، ط، ق، ظ). انظر: سراج القارئ لابن القاصح (ص٤٠٩).

(٢) الواو ساقطة من الأصل، والمثبت من (ج)، والنشر (٢١٥/١).

(٣) هم قوم من العجم، سكنوا بابل قديماً، وكان مُلْكهم ألف سنة في سواد العراق، قبل ملك فارس، وسموا بذلك؛ لأنهم استنبطوا الأَرْض، وحفروا الأنهار العظام. انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي (١٦٢/١)، والأنساب للسمعاني (٢٦/١٣).

(٤) هي ولاية تركية، تقع في إقليم مرمرة، شمال غرب الأناضول، تسمى: بروسة أو بُرْصَا، أو بروسا، وتُعرف الآن ببورصة، كانت عاصمة الدولة العثمانية الأولى، حسنة الأسواق، فسيحة الشوارع، تحف بها البساتين. انظر: رحلة ابن بطوطة (٢٣٦/١)، والموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي (٥٩/١١).

(٥) انظر: النشر (٤٦٩/٢).

(٦) سبق التعريف بهم.

(٧) وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة. انظر: معجم البلدان (٤٥٠/١).

وقد تبيّن من كلام الشيخ أن أكثر غلطات قراء الزمان في تفخيم الحروف المرققات.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا انتهى الحال إلى هذا فلابد من قانون صحيح يُرجع إليه، وميزان مستقيم يُعوّل عليه، نوضحه مستوفى[1] إن شاء الله تعالى في أبواب الإمالة والترقيق، ونشير إلى مهمّه هنا»[2].

أراد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يبيّن قوانين صحيحة، ويضع موازين مستقيمة، يعرف بها مقادير الترقيق، ويتميز بها الإفراط والتفريط، فشرع في بيان قوانين مهمة، وقال: فاعلم أن الحروف المستفلة كلها مرققة، لا يجوز تفخيم شيء منها، إلا اللام من اسم ﴿ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٧] بعد فتحة أو ضمة إجماعاً، أو بعد بعض حروف الإطباق في بعض الروايات، وإلا: الراء المضمومة أو المفتوحة مطلقاً في أكثر الروايات، والساكنة في بعض الأحوال، كما سيأتي تفصيل ذلك في بابه إن شاء الله تعالى[3].

أراد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن هذه المستثنيات [تُفخّم، وجه تفخيمها مذكور في بابه، وما عدا هذه المستثنيات][4] من المستفلة كله مرقق.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحروف المستعلية كلها مفخمة، لا يستثنى شيء منها في حال من الأحوال»[5].

أقول: سواء كانت متحركة أو ساكنة، جاورت مستفلة أو غيرها.

وقال: «وأما الألف: فالصحيح أنها لا توصف بترقيق ولا تفخيم، بل بحسب ما يتقدمها، فإنها تتبعه ترقيقاً وتفخيماً»[6].

---

(١) (مستوفى): ساقطة من (ج).
(٢) النشر (٢١٥/١).
(٣) النشر (٢١٥/١).
(٤) ما بين الحاصرتين: ساقط من الأصل، ومثبت من (ج).
(٥) النشر (٢١٥/١).
(٦) النشر (٢١٥/١).

أفرد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الألف بالذكر وهو من المستفلة؛ لتبعيتها ما قبلها في الترقيق والتفخيم، وإنما تبعت ما قبلها لعدم استقلالها لاحتياجها أبداً إلى حرف مفتوح قبلها، فإذا وقع قبلها حرف مرقق ترقق ترقيقاً موافقاً لترقيق فتحة ما قبلها، أي: من غير أن تعوّج إلى جانب التفخيم، ولا إلى جانب الياء، وهذا هو المراد بالفتح المتوسط المذكور في باب الإمالة. وإذا وقع قبلها حرف مفخم [تُفخَّم][1] تفخيماً موافقاً لتفخيم فتحة ما قبلها. مثال الألفات الواقعة بعد المستفلة: كـ ﴿مَٰلِكِ﴾، و﴿ءَامَنَ﴾ [البقرة: ١٣]، و﴿ءَاتَى﴾ [البقرة: ١٧٧]، و﴿وَبَالَ﴾ [المائدة: ٩٥]، و﴿تَابَ﴾ [المائدة: ٣٩]، و﴿جَآءَ﴾ [النساء: ٤٣].

ومن أراد أن يعرف مرتبة ترقيق الألف الواقعة بعد المستفلة فليتلفظ بميم ﴿مَثَلًا﴾ و﴿مَلَأٌ﴾، وهمزة ﴿أَجَلًا﴾ [الأنعام: ٢]، وباء ﴿بَشَرًا﴾ [هود: ٢٧]، وتاء ﴿تَوَلَّوْا﴾ [البقرة: ١٣٧]، وجيم ﴿جَسَدًا﴾ [الأعراف: ١٤٨]، وليشبع فتحتها على حال ترقيقها، فيتولد منه الألف، فليرقّقها موافقة لترقيق فتحة ما قبلها، مستقيمة من غير تعويج، وليفهم منه حدّ ترقيق ألف: ﴿مَٰلِكِ﴾، و﴿ءَامَنَ﴾، و﴿ءَاتَى﴾، و﴿تَابَ﴾، و﴿جَآءَ﴾، وكذا حال ترقيق الألفات الواقعة بعد سائر الحروف المرققات، ومن استعمل هذا الميزان من صاحبي الذوق السليم، والطبع المستقيم يتخلص من الإفراط والتفريط، ويتبيّن عنده[2] أهل الغلط وأهل التجويد.

ورأيت بعض أهل الغلط يرققون ميم ﴿مَٰلِكِ﴾ ويفخمون ألفها، ولا يتبعون أصلها، أي: ما قبلها، وهم قليلون، وغلطهم من جهة واحدة، وهي تفخيم ألفها.

ورأيت بعضهم يفخمونها مع ألفها، وهم الأكثرون، وغلطهم من جهتين: تفخيم الألف، وتفخيم ما قبلها.

ومثال الألفات الواقعة بعد المستعلية نحو: ﴿قَالَ﴾ [البقرة: ٣٠]، و﴿طَالَ﴾ [الأنبياء: ٤٤].

---

(١) (تُفخَّم): ساقطة من الأصل، ومثبتة من (ج).

(٢) في الأصل: (وتبيّن عند)، والمثبت من (ج).

وخطّأ الشيخ في النشر من لا يفرق بين ألف ﴿قَالَ﴾ و﴿حَالَ﴾ [هود: ٤٣]، وقال: والدليل على غلط طبعه أنه لا يفرق في لفظه بين ألف ﴿قَالَ﴾ و﴿حَالَ﴾ حالة التجويد[١].

ومعلوم أن الفرق لا يحصل إلا بتفخيم ألف ﴿قَالَ﴾، وترقيق ألف ﴿حَالَ﴾، فكثير من قراء الزمان يتلفظون ألف ﴿حَالَ﴾ مفخماً كألف ﴿قَالَ﴾، وبعضهم يتلفظون ألف ﴿قَالَ﴾ مرققاً كألف ﴿حَالَ﴾، وكلاهما مخالفان للقاعدة.

وقال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد بيان تبعية الألف ما قبله ترقيقاً وتفخيماً: «وما وقع في كلام بعض أئمتنا من إطلاق ترقيقها[٢]، فإنما يريدون التحذير مما يفعله بعض العجم من المبالغة في لفظها إلى أن يصيّروها كالواو، ويريدون التنبيه على ما هي مرققة فيه»[٣]. [هذا جواب عن سؤال مقدر، وهو أن يقال: إذا كان الألف تفخم بعد الحروف المفخمة فَلِم أطلق بعض الأئمة ترقيقها ولم يقيدوا ترقيقها بترقيق ما قبلها؟ فأجاب بقوله: فإنما يريدون التحذير مما يفعله بعض العجم، والمبالغة في لفظها إلى أن يصيروها كالواو، ويريدون التنبيه على ما هي مرققة فيه][٤].

وقد غلط بعض أهل التفخيم في استخراج معنى هذا القول، وزعم أن حدّ ترقيق الألف الواقعة بعد الحروف المرققة: أن لا يجعل الألف كالواو، وقال: فما دام الألف لا يجعل كالواو فهو ترقيق، كما تلفظ أكثر قراء الزمان بألف، نحو[٥]: ﴿مَٰلِكِ﴾، وما تحت هذه المرتبة من ترقيق الألف إفراط في الترقيق. وهذا غلط فاسد من وجوه:

(١) انظر: النشر (٢١٦/١).

(٢) زاد في الأصل كلمة (غير)، وهي ساقطة من النسخة (ج) والنشر، لذلك رأيت إسقاطها أولى؛ لأنه به يستقيم الكلام.

(٣) النشر (٢١٥/١).

(٤) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، ومثبت من (ج).

(٥) (نحو): ساقطة من (ج).

الأول: أن (إلى) لانتهاء الغاية يلزمه ابتداء الغاية، فإذا كان انتهاء تفخيم الألف الممنوع التصيير كالواو، يلزم أن يكون ابتداء تفخيمها[١] الممنوع ما دون [التصيير][٢] كالواو، فلزم أن يكون مرتبة ترقيقها ما دون التصيير كالواو.

والثاني: أن تلفظ أكثر قراء الزمان بألف نحو ﴿مَٰلِكِ﴾، وإن لم يكن كالواو لكن يخالف القاعدة من جهة عدم مطابقة ميمه ميم ﴿مَثَلًا﴾ في الترقيق، وعدم مطابقة ألفه الميم المرققة، بل يوافق ألفه الميم المفخمة، ومن جهة عدم مطابقة ألفه ميم إن رقق الميم كترقيق ميم ﴿مَثَلًا﴾ يشهد الذوق السليم عدم المطابقة في تلفظ أكثر قراء الزمان في هاتين الصورتين.

الثالث: أنه لو كان حدّ ترقيق الألف الواقعة بعد المرققة أن لا يجعل كالواو، يلزم[٣] أن يكون حدّ تفخيم الألف الواقعة بعد المفخمة أن يجعل كالواو، ولم يقل به أحد من المشايخ القراء، بل لم يسمع تلفظٌ بهذه المرتبة من أحدٍ من قراء الزمان، وأيضاً هو إخراج الألف وفتحة ما قبلها عن حدهما؛ لأن الألف إذا جعل كالواو يلزمه أن يجعل فتحة ما قبلها كالضم، وهما غير جائزين، فكما لا يجوز جعل الألف في محل الترقيق كالياء، وفتحة ما قبلها كالكسرة، كما نبين ذلك - إن شاء الله تعالى - في بيان الإمالة، فكذا لا يجوز جعل الألف في محل التفخيم كالواو، وفتحة ما قبلها كالضم، ولم يقل بجوازه أحد من علماء[٤] القراءة، وعلماء العربية.

الرابع: إن تلفظ أكثر قراء الزمان بالألف في محل الترقيق، كألف نحو ﴿مَٰلِكِ﴾ هو على مرتبة التفخيم[٥]، أن لا يجعل كالواو، ومع ذلك[٦] قد صرّح الشيخ في النشر بأن تلفظهم بألف ﴿مَٰلِكِ﴾ هو على التفخيم بقوله: «فإن أتى بعده ألف كان التحرّز من

---

(١) في (الأصل): (تفخمها).
(٢) (التصيير) ساقطة من الأصل، ومثبتة من (ج).
(٣) في الأصل: (ويلزم) بزيادة الواو، والمثبت من (ج).
(٤) في الأصل: (العلماء)، والمثبت من (ج).
(٥) (التفخيم) ساقطة من (ج).
(٦) (ومع ذلك): ساقطة من (ج).

التفخيم آكد، فكثيراً ما يجري ذلك على الألسنة، خصوصاً الأعاجم»[1]، وإذا تقرر: هذه المذكورات تبين أن الشيخ لم يرد بقوله: «فإنما يريدون التحذير مما يفعله بعض العجم من المبالغة في لفظها إلى أن يصيّروها كالواو» تعيين[2] حد الترقيق، بل أراد به أن الألف ليست[3] ترقق مطلقاً، وإنما ترقق إذا وقعت بعد المرققة، يدل عليه قوله: «ويريدون التنبيه على ما هي مرققة فيه»، أي: يريد الأئمة بإطلاقهم ترقيق الألف، وتحذيرهم به مما يفعله بعض العجم من المبالغة في لفظها إلى أن يصيّروها كالواو، والتنبيه على أنها ترقق في محل ترقيقها[4]، فيكون قول الأئمة: الألف ترقق في قوّة أن يقال: الألف ترقق إذا وقعت بعد المرققة، وإنما يكون كذا بقرينة المحل.

والحاصل: [أن][5] الأئمة أرادوا بإطلاقهم ترقيق الألف: التحذير من تفخيمها في محل الترقيق، وما ذكره الشيخ من قيد مبالغة العجم في لفظها إلى أن يصيروها كالواو، قيد اتفاقي حكاية عن ما وقع في لفظهم في ذلك الزمان لا قيد احترازي.

وأما حد ترقيق الألف الواقعة بعد المرققة فيعلم بتطبيقها ما قبلها في الترقيق، على الاستقامة من غير تعويج إلى جانب [التفخيم][6]، ولا إلى جانب الياء كما ذكرنا.

والحاصل أن ترقيق الألف يعلمه بتطبيق قاعدة: تبعية الألف ما قبله فهيم لبيب.

ثم شرع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان تصحيح حروف التهجي حالة التركيب على القواعد المذكورة، وقال: فالهمزة إذا ابتدأ بها القارئ من كلمة فليلفظ بها سلسة[7] في النطق، سهلة في الذوق، وليتحفظ في تغليظ النطق بها، نحو: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، ﴿ٱلَّذِى﴾ [البقرة: ١٧]،

(١) النشر (٢٢٢/١).
(٢) في الأصل: (وتعين)، والمثبت من (ج).
(٣) في (ج): (ليس).
(٤) في الأصل: (لترقيقها)، والمثبت من (ج).
(٥) (أن): ساقطة من الأصل، ومثبتة من (ج).
(٦) (التفخيم): ساقطة من الأصل، ومثبتة من (ج).
(٧) في الأصل: (سلسلة)، والمثبت من (ج)، والنشر (٢١٦/١).

﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦]، ولا سيما إذا أتى بعده[١] ألف، نحو: ﴿ءَاتَى﴾، و﴿ءَايَٰتٍ﴾ [البقرة: ٩٩]، و﴿ءَآمِّينَ﴾ [المائدة: ٢]، فإن جاء حرف مغلظ كان التحفظ آكد[٢] نحو: ﴿ٱللَّهُ﴾، ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ [آل عمران: ٢٦]، أو مفخم نحو: ﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ﴿ٱصْطَفَىٰ﴾ [البقرة: ١٣٢]، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ [المائدة: ٣٩].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكذا الباء إذا أتى بعدها حرف مفخم، نحو: ﴿بَطَلَ﴾ [الأعراف: ١١٨]، و﴿بَقِىَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]، و﴿بَصَلِهَا﴾ [البقرة: ٦١]، فإن حال بينهما ألف كان التحفظ بترقيقها أبلغ، نحو: ﴿بَٰطِلٌ﴾ [الأعراف: ١٣٩]، و﴿بَاغٍ﴾ [البقرة: ١٧٣]، و﴿ٱلْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة: ١٣٦]، فكيف إذا وَلِيها حرفان مفخمان، نحو: ﴿وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: ١٩]، و﴿ٱلْبَقَرَ﴾ [البقرة: ٧٠]، ﴿بَلْ طَبَعَ﴾ [النساء: ١٥٥] عند من أدغم.

ثم قال في بيان الميم: الميم حرف[٣] أغنّ تظهر غنته من الخيشوم، إذا كان مدغماً أو مخفى، فإن أتى محركاً فليحذر من تفخيمه، ولا سيما إذا أتى بعده حرف مفخم، نحو: ﴿مَّخْمَصَةٍ﴾ [المائدة: ٣]، و﴿مَّرْضَىٰٓ﴾ [النساء: ٤٣]، و﴿مَرْيَمَ﴾ [البقرة: ٨٧]، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ﴾ [البقرة: ٧٤]، فإن أتى بعده ألف كان التحرز من التفخيم آكد[٤]، فكثيراً ما يجري ذلك على الألسنة، خصوصاً الأعاجم، نحو: ﴿مَٰلِكِ﴾، ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾[٥] [البقرة: ٤].

وإنما أورد الشيخ هذه الأمثلة وحذّر من تفخيمها؛ لغلبة تفخيم [العجم][٦] هذه الحروف ونحوها من المستفلة على ألسنة أكثر قراء الزمان، كما قال من قبل: إن أصل الخلل الوارد على ألسنة القراء في هذه البلاد وما التحق بها هو [إطلاق][٧] التفخيمات والتغليظات على طريقة ألفتها الطباعات إلى آخره.

---

(١) في الأصل: (بعد)، والمثبت من (ج).
(٢) في الأصل: (أكثر)، والمثبت من (ج)، والنشر (٢١٦/١).
(٣) (حرف): ساقطة من (ج).
(٤) في الأصل: (أكثر)، والمثبت من (ج)، والنشر (٢٢٢/١).
(٥) انظر: النشر (٢١٦/١) وما بعدها.
(٦) (العجم): ساقطة من الأصل، ومثبتة من (ج).
(٧) (إطلاق): ساقطة من الأصل، ومثبتة من (ج).

ومع كون الخلل حاصلاً في ألسنتهم يعترض بعضهم على الذين أخذوا القرآن من المجوّد والحاذق، وأعطوا الحروف حقها ومستحقها من التفخيمات والترقيقات، وسائر الصفات على حدها، ويقدحون فيهم؛ لاعتيادهم بالتفخيمات، لجهلهم أو عنادهم، ويقولون: هم يرققون المرققات على الإفراط، ويتلفظون الألفات[1] على الإمالة، وليس تلفظهم على الإفراط ولا على الإمالة، بل هو على الحد المعيّن، يفهمه من له ذوق سليم بتطبيقه القواعد المذكورة، بل تلفظ القادحين[2] على التفريط والفتح الشديد، وهو مكروه في القراءة وكلام الفصحاء ومعيب، وأكثرهم لا يعلمون معنى الإفراط والتفريط، والأول: يستعمل في المجاوزة بالشيء عن حده، والثاني[3]: يستعمل في عدم تأديته إلى حده.

فإذا تقرر هذا فلنذكر الفتح الشديد الممنوع، والفتح المتوسط المقبول، والإمالة المستعملة عند بعض أئمة القراء.

قال الشيخ في النشر: باب مذاهبهم في الفتح والإمالة وبين اللفظين.

قال: «والفتح هنا عبارة عن [فتح القارئ][4] لفيه بلفظ الحرف، وهو فيما بعده ألف أظهر، ويقال له أيضاً: التفخيم، وربما قيل له: النصب»[5].

وإنما قال: «فيما بعده ألف أظهر»: أظهر؛ أي: أكثر ظهوراً؛ لأنه ظاهر فيما لم يقع بعده ألف، كفتح نون (نأى)، وإنما مثلناه بنون (نأى) وإن كان ممكناً في غيره من المفتوحات؛ لأن بعض القراء قرؤوا نونه بالفتح، وبعضهم بالإمالة، فكان أنسب بالتمثيل للتفهيم.

---

(١) (الألفات): ساقطة من (ج).

(٢) القدح: هو العيب والطعن، يقال: قدح في عرض أخيه يقدح قدحاً إذا: عابه. انظر: لسان العرب (٥٥٥/٢).

(٣) (والثاني): ساقطة من (ج).

(٤) (فتح القارئ): ساقطة من النسختين، ومثبتة من النشر (٢٩/٢).

(٥) النشر (٢٩/٢).

وقال: وينقسم إلى: فتح شديد، وفتح متوسط، فالشديد: هو نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف، ولا يجوز في القرآن، بل هو معدوم في لغة العرب، وإنما يوجد في لفظ عجم الفرس، ولا سيما أهل خراسان(١)، وهو اليوم في أهل ما وراء النهر(٢) أكثر، ولما جرت طباعهم عليه من لغتهم استعملوه في اللغة العربية، وجروا عليه في القراءة، ووافقهم على ذلك غيرهم، وانتقل ذلك عنهم حتى فشا في أكثر البلاد، وهو ممنوع منه في القراءة، كما نص عليه أئمتنا، وهذا هو التفخيم المحض(٣).

ودل قول الشيخ: «ووافقهم على ذلك غيرهم، وانتقل ذلك عنهم، حتى فشا في أكثر البلاد» على أن ما استعمل قراء أكثر بلاد الروم من الفتح هو الفتح الشديد، كما صرح من قبل بورود(٤) الخلل على ألسنتهم بقوله: «إن أصل الخلل الوارد على ألسنة القراء في هذه البلاد وما التحق بها، هو: إطلاق التفخيمات والتغليظات، على طريقةٍ ألفتها الطباعات، تُلقيت من العجم». قال الشيخ: «وممن نبّه على هذا الفتح المحض: الأستاذ أبو عمرو الداني(٥) في كتابه (الموضح)، قال: والفتح المتوسط [هو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة](٦) وهذا الذي يستعمله أصحاب الفتح من القراء»(٧). انتهى كلام الداني.

---

(١) معنى خراسان بالفارسيّة: مطلع الشمس، وهي بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند، وتشتمل على أمّهات من البلاد، منها: نيسابور، وهراة، ومرو، ونسا، وسرخس، وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، ومن أهلها العلماء والنّبلاء والمحدّثون والنساك والمتعبّدون. انظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (٤٩٠/٢)، ومعجم البلدان (٣٥٠/٢).

(٢) يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان المعروف بأمودريا، فما كان في شرقيه يقال له: بلاد الهياطلة، وفي الإسلام سموه ما وراء النهر، وما كان في غربيّه فهو خراسان، وولاية خوارزم، من أهم مدنها: بخارى، سمرقند، طشقند. انظر: معجم البلدان (٤٥/٥)، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار (١٤٩/٣).

(٣) انظر: النشر (٣٠/٢).

(٤) في الأصل: (بورد)، والمثبت من (ج).

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، ومثبت من (ج).

(٧) النشر (٣٠/٢).

وقال الشيخ: «ويقال له: الترقيق، وقد يقال له أيضاً: التفخيم، بمعنى أنه ضد الإمالة، فالإمالة: أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء كثيراً، وهو المحض، ويقال له: البطح، وربما قيل له: الكسر أيضاً، وقليلاً: وهو بين اللفظين، ويقال له أيضاً: [التقليل][1] وبين بين». وقوله: (وقليلاً): عطف على: كثيراً[2].

ثم قال: فهي بهذا[3] الاعتبار تنقسم أيضاً إلى قسمين: إمالة شديدة، وإمالة متوسطة، وكلاهما جائزتان في القراءة، جاريتان[4] في لغة العرب. والإمالة الشديدة [يُتجنَّب معها القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه، والإمالة المتوسطة بين الفتح المتوسط، وبين الإمالة الشديدة][5]. انتهى كلام الشيخ[6].

فحاصل تفسير الإمالة، أن الإمالة: أن تُصرف الفتحة إلى جانب الكسر، والألف إلى جانب الياء، فإن كان جانب الكسر غالباً على جانب الفتح، وجانب الياء على جانب الألف، فهي إمالة شديدة، أي: إمالة كبرى، وإن كان جانب الفتح غالباً على جانب الكسر، وجانب الألف غالباً على جانب الياء، فهي إمالة متوسطة، أي: إمالة صغرى وبين بين، فالإمالة الصغرى فوق الكبرى، والفتح المتوسط فوق الصغرى، والفتح الشديد فوق المتوسط.

وبعض من استعمل الفتح الشديد من أهل التفخيم يزعم أنه الفتح المتوسط، ويغلّط من قول المشايخ في تفسير الفتح الشديد: هو نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف، ويقصد نهاية فتح فمه، ويمثّل الفتح الشديد بتلفظه الخارج عن حد الفتح، والقريب إلى جانب الضم والواو، فينسب من استعمل الفتح المتوسط إلى الإمالة كلا أنه غلطٌ وتجاوزٌ عن حد الفتح؛ لأن الفتح إذا صرف إلى جانب الضم يخرج عن حد

(١) (التقليل): ساقطة من الأصل، ومثبتة من (ج).
(٢) في الأصل: (أكثر)، والمثبت من (ج) وهو الصواب.
(٣) في الأصل: (بهذه)، والمثبت من (ج)، والنشر (٣٠/٢).
(٤) في الأصل: (جاريين)، والمثبت من (ج).
(٥) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، ومثبت من (ج)، والنشر (٣٠/٢).
(٦) انظر: النشر (٣٠/٢).

الفتح، فيخرج عن الفتح[١] الشديد؛ لأنه قسم من الفتح، فكما إذا صُرف الفتح إلى جانب الكسر يَخرج عن حد الفتح المتوسط، وكذلك إذا صُرف إلى جانب الضم يَخرج عن حد الفتح الشديد.

والحاصل: أن الفتح الشديد الممنوع: ما ليس بخارجٍ عن حد الفتح.

نعم يجب على القارئ أن يحترز في محل الفتح المتوسط من[٢] الإمالة، كما يحترز[٣] من الفتح الشديد، لكن يُعلم ذلك بميزان القاعدة، لا بالنطق عن الهوى، فما دام فتح الحرف ثابتاً على حاله، أي: خالصاً من التفخيم، ومن الميل إلى الكسر، فهو فتح متوسط أي: بين الفتح الشديد وبين الإمالة الصغرى.

والمعيار في هذا الباب: فتحة نون (نأى)، فلينظر من له ذوق سليم إلى فتحة نونه كيف يتلفظ بالترقيق ولا يقول له أحد من القوم هو إمالة، بل يعترفون بأنه فتح خالص، أي: فتح متوسط، ويقرؤون[٤] بهذا الفتح لأهل الفتح المتوسط من القراء، وبإمالة هذا الفتح إلى جانب الكسر لأهل الإمالة من القراء، وليفهم منه مرتبة ترقيق ألف نحو: ﴿نَآ بِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧]، و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥] بإتباع ألفه ما قبله، بتلفظه مطابقاً لما قبله في الترقيق، مستوياً مستقيماً من غير تعويجٍ إلى جانب التفخيم[٥]، ولا إلى جانب الكسر والياء، على قاعدة تبعية الألف ما قبله، فيتحقق عنده الفتح المتوسط بلا إفراط ولا تفريط.

والحاصل: أن صاحب الذوق السليم والطبع المستقيم يتخلص من مرتبة الفتح الشديد ومرتبتي الإمالة بتطبيق القاعدتين: قاعدة تبعية الألف ما قبلها[٦]، وقاعدة الإمالة، أي بإجرائهما.

---

(١) في الأصل: (فتح)، والمثبت من (ج).
(٢) في (ج): (عن).
(٣) في (ج): (كالحرز).
(٤) في (ج): (ويقرؤونه).
(٥) في الأصل: (التفخم).
(٦) في (ج): (ما قبله).

وإذا تقرر هذا فنقول: من تفخيمات قراء الزمان الغير المطابقة لقواعد التجويد[١]: تفخيمهم[٢] الواوات في مثل: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣]، و﴿يُسْتَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ﴿وَلَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، والحال أن الواو من المستفلة حكمه الترقيق، فلينظر من له ذوق سليم إلى مرتبة ترقيق الميم واللام من: ﴿يَعْلَمُ﴾ [البقرة: ٧٧]، و﴿يَسْتَلُ﴾ [القيامة: ٦]، وترقيق الهاء من نحو: ﴿لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، و﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ [الأنعام: ٦٢]، و﴿لَهُوَ﴾ [آل عمران: ٦٢] وليرقق الواو ترقيقاً موافقاً لترقيق ضمة ما قبلها.

وبعضهم يرققون[٣] ما قبله ويفخمونه، ولحنهم من جهة واحدة، وبعضهم يفخمونهما معاً، وغلطهم من جهتين، وبعضهم يفخم واو نحو[٤]: ﴿وَٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩]، والحال: أنه يجب ترقيقه كواو: ﴿وَلَهُمْ﴾ [البقرة: ٧]، وقد غلَّطه[٥] بعض أهل التفخيم مما ذُكر في بعض رسائل التجويد من التحذير من تفخيمات العجم، وترقيقات العرب، ولم يُفهم ما المراد بهما، وإنما المراد بتفخيمات العجم: الفتح الشديد الممنوع الذي اعتاد به أهل التفخيم، والمراد بترقيقات العرب: الإمالة الصغرى التي هي لغة بعض قبائل العرب في محلها، والمراد من التحذير منهما، أن يُقرأ بالفتح المتوسط في محله، لا بالفتح الشديد ولا بالإمالة.

وما ذُكر في كتب القراءة: من أن القراءة بمنزلة البياض، إن قلَّ صار سُمرةً، وإن زاد صار بَرَصاً[٦]، المراد به: الحد المعيّن بين الإفراط والتفريط، ولا كلام فيه، والمدعي

(١) يعني: ما لاحظه المؤلف من تفخيم ما حقه الترقيق.

(٢) في (ج): (تفخيم). والتفخيم هو: سمن يدخل على صوت الحرف عند النطق به فيمتلئ الفم بصداه. انظر: القول السديد في علم التجويد (ص١٩٥).

(٣) في (ج): (يرقق).

(٤) (نحو): ساقطة من (ج).

(٥) في (ج): (غلط).

(٦) نسب الإمام النوري الصفاقسي هذا القول للإمام الداني، ولم أجده في كتب الإمام الداني المطبوعة. انظر: تنبيه الغافلين (ص٥٠).

عدم تأدية أكثر قراء الزمان تلفظَ بعض الحروف إلى الحد الذي عيّنه علماء القراءة في الكتب، واستدل بعض الغافلين عن القواعد، وجملة المعاندين على أن تلفظهم بالتفخيمات حق بإجماع قراء الزمان عليه، وقالوا الإجماع دليل على الحقية. وهذا الاستدلال باطل من وجهين:

الأول: أن المراد بالإجماع في قول العلماء: (الإجماع)، دليل إجماع العلماء المجتهدين كما بيّن ذلك في علم الأصول، وقراء الزمان ليسوا كذلك.

الثاني: أن تلفظهم بالتفخيمات مخالف للقواعد التي بيّنها علماء القراءة في الكتب، على أنَّا لا نسلِّم إجماع كل قراء الزمان على التفخيمات؛ لأن المجوِّد على مقتضى القواعد يوجد في بعض البلاد على القلَّة، ولو سُلّم أن قراء الزمان أجمعوا على التفخيمات فكيف يستدل بإجماعهم، مع أن الشيخ الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ [صرَّح][1] بغلطات قراء الزمان من التفخيمات وغيرها في كتاب النشر مراراً. قال[2] الشيخ في النشر في بيان التجويد: «وأما اليوم فهذا باب أُغلق، وطريق سُد»[3]. فلو كان تلفظ أكثر قراء الزمان موافقاً لقوانين التجويد لما قال ذلك.

والغلطات الغير التفخيمات[4] كثيرة في الألسنة، فلنذكر بعضها على الإجمال:

فمنها: تلفظ الطاء كالتاء، في مثل: ﴿**ٱلشَّيۡطَٰنُ**﴾، والقاف كالكاف في مثل: ﴿**قَالَ**﴾، وإنما يكون ذلك بعدم إيتائهما حقهما من صفة الجهر.

ومنهما: تلفظ حروف القلقلة والحروف الشديدة بغير إيتاء حقوقهما من هاتين الصفتين.

---

(١) (صرح) ساقطة من الأصل، ومثبتة من (ج).

(٢) في (ج): (وقال).

(٣) النشر (٢١٣/١).

(٤) هكذا عبر المؤلف: (الغير)، وهو تعبير صحيح، لكن الأصح والأشهر في (غير) و(كل) و(بعض) التعرية من (ال) لملازمتها الإضافة غالباً.

ومنها: تلفظ الهمزات المحققة بالتسهيل، ومنها: زيادة حروف المد على المد الطبيعي في غير محله، كزيادة مد ألف [نحو][1] ﴿عَلِيمًا﴾ [النساء: ١١] في الوقف على مقدار الألف، وكزيادة مد نحو ﴿عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٧٠]، و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥] على مقدار الألف في الوقف وفي الوصل، إذا لم يقع بعدها سبب من أسباب المد.

ومنها: عدم إتمام الحركات والسكنات بسبب التلفظ بالاختلاس[2]. ومنها: عدم إخلاص الحركات بعضها من بعض؛ بسبب إمالة بعضها إلى بعض، كإمالة فتحة نحو لام ﴿إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧]، وشين ﴿شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨]، وباء ﴿بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ١١٣]، وكاف ﴿كَيْفَ﴾ [البقرة: ٢٨] إلى الكسرة.

ومنها: الإشمام على الساكن الذي بعده ضمة، ككاف[3] ﴿يَكْتُبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]، وتاء ﴿يَتْلُونَ﴾ [البقرة: ١١٣].

واكتفينا بذكر هذه المذكورات ولم نذكر جميع الغلطات؛ لحصول التنبيه بهذه على ورود الخلل على الألسنة، ولتوقف فهم أكثرها على المشافهة.

نسأل الله تعالى أن يلهمنا وجميع المسلمين طرق الصواب، ويهدينا وإياهم سبيل السداد، ونحمده على آلائه العظام، ونعمه المترادفة الجسام، والصلاة والسلام على خير خلقه، سيدنا محمد وآله وصحبه.

تمت بعون الله تعالى[4].

---

(١) (نحو): ساقطة من الأصل، ومثبتة من (ج).

(٢) المراد بذلك: فيما لا يقرأ بالاختلاس، كما في بعض الروايات والقراءات.

(٣) في الأصل: (الكاف)، والمثبت من (ج).

(٤) (تمت بعون الله): ساقطة من (ج).

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث، وأعانني عليه، فله الحمد أولاً وأخيراً، وفيما يلي أبرز النتائج وأهم التوصيات:

أولاً: النتائج:

١. تأخر ظهور مصطلح علم التجويد بهذا اللقب إلى أواخر القرن الرابع وبداية الخامس، ثم تتابع العلماء عليه بعد ذلك.

٢. من الأخطاء الشائعة في عصر المؤلف: تفخيم ما حقه الترقيق، وترقيق ما حقه التفخيم، وتسهيل الهمزات المحققة، وعدم إتمام الحركات، والإفراط في ترقيق الألف إلى حد الإمالة، ولا يزال كثير من هذه الأخطاء إلى الآن.

٣. بعض الأخطاء في مخارج الحروف وصفاتها قد توقع القارئ في تغيير المعنى: كالصيف والسيف، فيتحول اللحن من لحن خفي إلى لحن قبيح جلي.

٤. أجاد المؤلف في حكم الألفات تفخيماً وترقيقاً، وبيان أحوال الحروف عند مجاورتها، وما يترتب على ذلك من محاذير، كتفخيم المرقق إذا جاور مفخماً، ونحو ذلك من التنبيهات المهمة التي أجاد فيها المؤلف.

ثانياً: التوصيات:

١. أوصي الباحثين بالاهتمام بالمجاميع في قسم المخطوطات، والتنقيب فيها، فإنها لا تخلو في الغالب من جواهر تستحق الإبراز والإخراج على اختصارها ووجازتها.

٢. أوصي الأقسام المختصة في التجويد والقراءات بالاهتمام بإخراج الرسائل القصيرة في علم التجويد والقراءات، فقد تُردّ بحكم قلة الصفحات، فلا مانع حينئذ أن يكلّف الباحث بإخراج رسالتين أو ثلاث، يستوفي بها نصيبه في عدد اللوحات في اللوائح، ويُخرج رسائل مهمة تستحق الإخراج.

٣. الاهتمام بالأخطاء الشائعة، فإن كان لقراء زمن المؤلف أخطاؤهم، فلقراء زمننا اليوم أخطاء في التلاوة والوقوف، تحتاج إلى رصد وتنبيه.

فهرس المصادر والمراجع

- **الإتقان في علوم القرآن**: المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).
- **إحياء علوم الدين**: المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت.
- **الأعلام**: المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي (ت: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر (٢٠٠٢م).
- **الأمالي أو شذور الأمالي**: المؤلف: أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد القالي (ت: ٣٥٦هـ)، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، الناشر: دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية (١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م).
- **إنباه الرواة على أنباه النحاة**: المؤلف: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: ٦٤٦هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- **الأنساب**: المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت: ٥٦٢هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى (١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م).
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**: المؤلف: عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي.
- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**: المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت.
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، لبنان، صيدا.

- **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**: المؤلف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، الناشر: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).
- **تاج العروس من جواهر القاموس**: المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- **تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلبي**: المؤلف: عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (ت: ٧٤٣هـ) الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد ابن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (ت: ١٠٢١هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، القاهرة، الطبعة الأولى (١٣١٣هـ).
- **التحديد في الإتقان والتجويد**: المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، المحقق: الدكتور غانم قدوري الحمد، الناشر: مكتبة دار الأنبار، بغداد، وساعدت جامعة بغداد على طبعه، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ- ١٩٨٨م).
- **تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، المؤلف**: عبد الرحمن بن عبد الكريم الحنفي المدني الشهير بالأنصاري (ت: ١١٩٥هـ)، المحقق: محمد العرويسي المطوي، الناشر: المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الأولى (١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م).
- **تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**: المؤلف: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت: ١٣٥٩هـ)، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ- ١٩٩٥م).
- **تفسير المراغي**: المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى (١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م).
- **التمهيد في علم التجويد**: المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد ابن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، المحقق: الدكتور علي حسين البواب، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م).

- **تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين**: المؤلف: علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي (ت: ١١١٨هـ)، المحقق: محمد الشاذلي النيفر، الناشر: مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله.
- **التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي**: المؤلف: علي بن جعفر بن محمد السعيدي، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، من مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد: السادس والثلاثون، لعام (١٩٨٥م).
- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين بن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
- **الجامع الوجيز في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، أو الفتاوى البزازية**: تأليف: محمد بن محمد بن شهاب البزاز الكردري (ت: ٨٢٧هـ)، المحقق: سالم مصطفى البدري، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت.
- **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**: المؤلف: الدكتور غانم قدوري الحمد، الناشر: دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، عمّان، الطبعة الثانية (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**: المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م).
- **ديوان القتال الكلابي**: المؤلف: عبيد الله أو عبيد بن مجيب بن المضرحي الكلابي (ت نحو: ٦٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الثقافة، بيروت (١٤٠٩هـ).
- **رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)**: المؤلف: محمد ابن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ابن بطوطة (ت: ٧٧٩هـ)، الناشر: أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، عام النشر (١٤١٧هـ).

- **رحلة الشتاء والصيف**: المؤلف: محمد بن عبد الله بن محمد، من أحفاد شرف الدين ابن يحيى الحمزي الحسيني المولوي المعروف بـ (كِبْرِيت) (ت: ١٠٧٠هـ)، المحقق: الأستاذ محمَّد سَعيد الطنطاوي، الناشر: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية (١٣٨٥هـ).
- **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها، وتفسير معانيها وتعليلها، وبيان الحركات التي تلزمها**: المؤلف: مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ)، المحقق: د. أحمد حسن فرحات، الناشر: دار عمار، الأردن، عمّان، الطبعة الثالثة (١٤١٧هـ).
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).
- **الزاهر في معاني كلمات الناس**: المؤلف: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ- ١٩٩٢م).
- **سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي**: المؤلف: أبو القاسم (أو أبو البقاء) علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن المعروف بابن القاصح العذري المقرئ (ت: ٨٠١هـ)، راجعه شيخ المقارئ المصرية: علي الضباع، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثالثة (١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م).
- **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**: المؤلف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (ت: ١٠٦٧هـ)، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، الناشر: مكتبة إرسيكا، إستانبول، تركيا، عام النشر (٢٠١٠م).

- **سير أعلام النبلاء**: المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة (١٤٢٧هـ).
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي (ت: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ).
- **شرح المقدمة الجزرية**: المؤلف: أحمد بن مصطفى بن خليل طاش كبرى زاده (ت: ٩٦٨هـ) المحقق: محمد سيدي محمد محمد الأمين، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (١٤٢١هـ- ٢٠٠١م).
- **شرح طيبة النشر في القراءات العشر**: المؤلف: محمد بن محمد، أبو القاسم النُّوَيْري (ت: ٨٥٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، المحقق: د. مجدي محمد باسلوم، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ).
- **شرح طيبة النشر في القراءات**: المؤلف: أحمد بن محمد بن محمد أبو بكر شهاب الدين ابن الجزري، (ت: ٨٣٥هـ)، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).
- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**: المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، المحقق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**: المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- **الطبقات السنية في تراجم الحنفية**: المؤلف: تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي (ت: ١٠١٠هـ).
- **طبقات الشافعية الكبرى**: المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي، و د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (١٤١٣هـ).

- **الطبقات الكبرى**: المؤلف: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي، المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
- **طبقات المفسرين**: المؤلف: محمد بن علي بن أحمد الداوودي (ت: ٩٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.
- **طيبة النَّشْر فِي القراءاتِ العشرِ**: المؤلف: شمس الدين بن الجزري، محمد بن محمد ابن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، المحقق: محمد تميم الزعبي، الناشر: دار الهدى، جدة، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ).
- **العين**: المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- **غاية النهاية في طبقات القراء**: المؤلف: ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، (ت: ٨٣٣هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية.
- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تفسير النيسابوري**: المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ).
- **فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد**: المؤلف: صفوت محمود سالم، الناشر: دار نور المكتبات، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
- **الفتح والإمالة**: المؤلف: عثمان بن سعيد الداني (ت: ٤٤٤هـ)، المحقق: عمر بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر، لبنان، بيروت (٢٠٠٢م).

- **الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط**: مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي، الناشر: المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، الطابعون: جمعية عمال المطابع التعاونية، الأردن، عَمَّان، علوم القرآن، مخطوطات التجويد (٥٦٦/٣)، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ - ١٩٨٦م).
- **الفهرس الوصفي للمخطوطات العربية بمجموعة جاريت في مكتبة جامعة برنستون**: إعداد: فيليب خوري حِتِّي، ونبيه أمين فارس، وبطرس عبد الملك، مطبعة جامعة برنستون، وجامعة أكسفورد بلندن (١٩٣٨م).
- **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**: المؤلف: أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، عني بتصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، الناشر: طبع بمطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر، لصاحبها محمد إسماعيل، الطبعة الأولى (١٣٢٤هـ).
- **القول السديد في علم التجويد**: المؤلف: على الله بن علي أبو الوفا، الناشر: دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثالثة (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
- **الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها**: المؤلف: يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سوادة أبو القاسم الهُذَلي اليشكري المغربي (ت: ٤٦٥هـ)، المحقق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، الناشر: مؤسسة سما للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
- **الكتاب**: المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**: المؤلف: محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ).

- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: المؤلف: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة (ت: ١٠٦٧هـ)، الناشر: مكتبة المثنى، بغداد، تاريخ النشر (١٩٤١م).
- **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**: المؤلف: نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت: ١٠٦١هـ)، المحقق: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- **لسان العرب**: المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ).
- **لسان الميزان**: المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، المحقق: دائرة المعارف النظامية، الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (١٣٩٠هـ - ١٩٧١م).
- **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**: المؤلف: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت: ٧٤٩هـ)، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ).
- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله** : المؤلف: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **المطالع البدرية في المنازل الرومية**: المؤلف: محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي، أبو البركات، بدر الدين بن رضي الدين (ت: ٩٨٤هـ)، المحقق: المهدي عيد الرواضيّة، الناشر: دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (٢٠٠٤م).
- **المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم**: المؤلف: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت: ٧٩٢هـ)، المحقق: الدكتور عبد الحميد الهنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة (٢٠١٣م).

- **معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**: المؤلف: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ).
- **معجم البلدان**: المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية (١٩٩٥م).
- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**: المؤلف: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ابن محمد البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٣هـ).
- **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**: المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
- **مقاييس اللغة**: المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).
- **المقتضب**: المؤلف: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، المعروف بالمبرد (ت: ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة، الناشر: عالم الكتب، بيروت.
- **المقدمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه (الجزرية)**: المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م).
- **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**: المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (١٤١٥هـ- ١٩٩٥م).
- **الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي**: المؤلف: مجموعة من المصنفين، الناشر: دار أسامة، الطبعة الأولى (٢٠٠٩م).

- **الموضح في وجوه القراءات وعللها**: المؤلف: نصر بن علي بن محمد الشيرازي ابن أبي مريم (ت: ٥٩٥هـ)، المحقق: عبد الرحيم الطرهوني، الناشر: دار الكتب العلمية (٢٠٠٩م).
- **النشر في القراءات العشر**: المؤلف: أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، المحقق: علي محمد الضباع (ت: ١٣٨٠هـ)، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى.
- **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**: المؤلف: محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس (ت: ١٠٣٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ).
- **الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، شرح واف لمتني الجزرية وتحفة الأطفال**: المؤلف: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة (ج١، ٢، ٣) (١٩٠٠م)، (ج٤) (١٩٧١م) (ج٥، ٦، ٧) (١٩٩٤م).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	١٥٥
المقدمة	١٥٧
التمهيد: نبذة عن علم التجويد	١٦١
أولاً: تعريف علم التجويد	١٦١
ثانياً: نشأة علم التجويد	١٦٢
ثالثاً: المصنفات في علم التجويد	١٦٨
المبحث الأول: الشيخ المغنيساوي وكتابه «رسالة التجويد»	١٧٠
المطلب الأول: ترجمة الشيخ المغنيساوي	١٧٠
المطلب الثاني: دراسة الكتاب	١٧٦
المبحث الثاني: النص المحقق	١٨٤
الفصل الأول: في بيان التجويد	١٨٥
الفصل الثاني: في بيان وجوب التجويد	١٨٧
الفصل الثالث: في بيان اللحن	١٩٠
الفصل الرابع: في بيان الغلطات الشائعة من بين الألفاظ الردية، وإيراد قانون صحيح، وميزان مستقيم	١٩٦
الخاتمة	٢١١
فهرس المصادر والمراجع	٢١٢
فهرس الموضوعات	٢٢٢

تعامل المترجمين مع إشكالية الظنّ ومعانيه في القرآن الكريم

د. عبد العزيز جودي[1]

مُلخّصُ البَحْث

يتناول هذا البحث دراسة ظاهرة لغوية مشكلة في اللغة والقرآن الكريم، وانعكاساتها على ترجمة معانيه، وهي ظاهرة الأضداد، وذلك من خلال التعرض لأكثر كلماتها دوراناً في القرآن الكريم، وهي كلمة «ظنّ» وما يتفرع عنها، حيث وردت في سبعين موضعاً من كتاب الله، وهي تحمل معنى «الشك» وضده الذي هو «اليقين»، إضافة إلى معان أخرى، والسؤال المطروح: هل أدرك المترجمون خطورة ظاهرة الأضداد؟ وكيف تعاملوا معها؟ وهل أحسّ المترجمون بتغيّر دلالة الظنّ في المواضع المختلفة؟ وما معتمدهم في تحديد دلالة الظنّ في الآية قبل ترجمة معناها؟

للإجابة عن هذه التساؤلات اخترنا ثلاث ترجمات، تُعد من أشهر الترجمات في هذا الميدان، وهي ترجمة الشيخ أبي بكر حمزة، وترجمة الشيخ محمد الشيادمي، وترجمة الدكتور حميد الله المعتمدة في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

الكلمات المفتاحية:

ترجمة - معاني القرآن - أضداد - مشترك - ظنّ - شكّ - يقين.

---

(١) جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر.

المقدمة

تعدّ الدعوة إلى دين الله الحق من أهم أصول العقيدة الإسلامية، فقد أمرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نبلّغ عنه ولو آية، ولا شكّ في أن دعوة الآخرين إلى الإسلام تقتضي التحدث بلسانهم ليفهموا ويستجيبوا، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ**﴾ [إبراهيم: ٤]، ولهذا تتجلّى أهمية ترجمة معاني القرآن في نشر نور الإسلام لأهل الأرض ودعوة البشر جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم إلى الدخول في دين الله أفواجاً.

ومن أكثر الظواهر اللغوية إشكالاً في ترجمة القرآن الكريم، مما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفهم القرآن «ظاهرة الأضداد»، حيث تدل الكلمة الواحدة على المعنى وضدّه، ولا يمكن تحديد المعنى المراد إلا بقرائن من أهمها السياق.

ولذا فإن عناية العلماء بظاهرة الأضداد ووقوفهم عندها وبحثهم إياها لم يكن بدعاً من الأمر، فقد كان مبعثه الأول هو ورود طائفة منها في القرآن، وقد صرح بذلك أبو حاتم السجستاني في صدر كتاب الأضداد حين قال: «حملنا على تأليفه أنّا وجدنا من الأضداد في كلامهم والمقلوب شيئاً كثيراً، فأوضحنا ما حضر منه، إذ كان يجيء في القرآن الظن يقيناً وشكّاً والرجاء خوفاً وطمعاً، وهو مشهور في كلام العرب، وضد الشيء خلافه وغيره، فأردنا أن يكون لا يرى من لا يعرف لغات العرب أن الله عَزَّوَجَلَّ حين قال: ﴿**وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ * ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ**﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦]، مدح الشاكّين في لقاء ربهم، وإنما المعنى يستيقنون...»[(١)].

ولعلّ هذا ما دفعنا لكتابة هذا المقال؛ لإزالة غموض كلمة هي من أكثر كلمات الأضداد دوراناً في القرآن الكريم، وهي كلمة «ظنّ»، حيث وردت في سبعين موضعاً في كتاب الله، وهي تحمل معنى «الشك» وضده الذي هو «اليقين»، إضافة إلى معان أخرى.

(١) الأضداد: أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ص٧٢).

وإشكالية هذا البحث تدور حول جملة من التساؤلات:

هل أدرك المترجمون خطورة ظاهرة الأضداد؟ وكيف تعاملوا معها؟ وهل أحسّ المترجمون بتغيّر دلالة الظنّ في المواضع المختلفة؟ وما معتمدهم في تحديد دلالة الظنّ في الآية قبل ترجمة معناها؟

للإجابة عن هذه التساؤلات اخترنا ثلاث ترجمات، تُعد من أشهر الترجمات في هذا الميدان، وهي ترجمة الشيخ أبو بكر حمزة، وترجمة الشيخ محمد الشيادمي، وترجمة الدكتور حميد الله التي اعتمدها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. وسنسعى بإذنه تعالى إلى حصر ما اختاره المترجمون الثلاثة مقابلاً للفظ «الظن» في مواضعها السبعين، باعتماد المنهج الاستقرائي، وسنورد اختياراتهم متجاورة بعضها إلى بعض، ثم استخدام منهج التحليل والمقارنة بينها، ليتسنى لنا تحديد درجة صوابها ووفائها للمعنى المراد، ثمّ الترجيح بين هذه الاختيارات؛ لنعرف أي ترجمات القرآن الكريم أكثر مراعاة لتغير دلالة الظن في القرآن الكريم حسب السياق.

وقد تناول ظاهرة الأضداد وأثرها في ترجمة معاني القرآن الكريم دراسات سابقة، لعلّ أبرزها: رسالة «الأضداد وترجمتها في القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية عند أبي بكر حمزة»، للباحث محمد لمين لطرش، ورسالة «المشترك اللفظي في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية» للباحث أمين صيفور، وغيرها.

وما يتميز به هذا البحث عن غيره هو استيعابه لجميع مواضع مادة «ظنّ» في القرآن الكريم، وحصر معانيه في كتب التفسير، وتصنيفها بضم النظير إلى النظير، ثم الرجوع إلى كتب ثلاث ترجمات لمعاني القرآن الكريم، والمقارنة بين اختيارات أصحابها، ومدى وفاء الترجمة للمعنى المراد من لفظ الظن في الآية.

وسيكون البحث بحول الله وفق ثلاثة مطالب وخاتمة على النحو الآتي:

المطلب الأول: تعريف الأضداد لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الظنّ لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: معاني الظنّ وتعامل المترجمين معه في آيات القرآن الكريم.

أولاً: ورود الظنّ بمعنى الكذب.

ثانياً: ورود الظنّ بمعنى التهمة.

ثالثاً: ورود الظنّ بمعنى اليقين.

رابعاً: ورود الظنّ بمعان مختلف فيها.

خامساً: ورود الظنّ على بابه بمعنى الشك.

خاتمة.

ونرجو أن يكون بحثنا هذا خدمة نافعة للقرآن الكريم وترجمة معانيه، والإفادة منه في تصحيح بعض الترجمات التي جانبت الصواب في التعامل مع ظاهرة الأضداد في لغة القرآن الكريم.

المطلب الأول
تعريف الأضداد لغة واصطلاحاً

أ. لغة:

الأضداد في اللغة مشتقة من مادة «ض د د»، وهي على العموم تدل على الاختلاف، فالضِدُّ ضد الشيء والمتضادان الشيئان لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد كالليل والنهار(١)، والضِدُّ أيضاً كل أمر ضاد شيئاً ليغلبه، والسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة، وضاده: خالفه(٢).

ب. اصطلاحاً:

يقصد بالأضداد في اصطلاح اللغويين الكلمات التي تؤدي معنيين متضادين بلفظ واحد، ككلمة «الجَوْن» تطلق على الأسود والأبيض، والجلل تطلق على الحقير والعظيم، وهكذا(٣). وهذا من سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد(٤)، ولا بد من التنبيه على أنّه ليس كل ما خالف الشيء فهو ضد له، ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين، وإنما ضدّ القوة الضعف وضد الجهل العلم، فالاختلاف أعمّ من التضاد، إذ إنّ كل متضادين مختلفين وليس كل مختلفين ضدين(٥).

إذن فالمقصود بالأضداد ليس ما يعنيه علماء اللغة المحدثون من وجود لفظين يختلفان نطقاً ويتضادان معنى، كالقصير في مقابل الطويل، والجميل في مقابل القبيح، وإنما نعني بها مفهومها القديم، وهو اللفظ المستعمل في معنيين متضادين(٦) بمساواة بينهما(٧).

---

(١) مقاييس اللغة: ابن فارس (٣٦٠/٣).
(٢) تاج العروس: الزبيدي (٧٣/١).
(٣) الأضداد: ابن الأنباري (ص: أ).
(٤) الصاحبي في فقه اللغة: ابن فارس (ص٩٨).
(٥) الأضداد في كلام العرب: أبو الطيب اللغوي (ص٣٣).
(٦) علم الدلالة: أحمد مختار عمر (ص١٩١).
(٧) علم اللغة بين القديم والحديث: د. عبد الغفار حامد هلال (ص٢٨٦).

ثم إنه بالنظر في الكتب المؤلفة في الأضداد نجد أن أصحابها قد أوْلَوْا الكلمات الواردة في القرآن عناية خاصة، خدمة لكتاب الله، ومن أشهر هذه الكتب: أضداد قطرب، أضداد الأصمعي، أضداد ابن السكّيت، أضداد السجستاني، أضداد ابن الأنباري، أضداد أبي الطيب اللغوي، أضداد ابن الدهان.

كما أن المفسرين قد أوْلَوْا هذه الألفاظ الواردة في القرآن عناية كبيرة في تفاسيرهم، وأسهب البعض في الحديث عنها والتدليل على معانيها من كلام العرب، وذلك لخطورتها في توجيه المعنى، بل إنه قد ألفت كتب مستقلة في التفسير لبحث مثل هذه الظواهر في القرآن، وهي كتب «الأشباه والنظائر»، حيث إنّ هذه الكتب كانت خالصة لبحث الألفاظ المشتركة في القرآن والمتضادة منها.

وعلى سبيل التمثيل نورد بعض الآيات القرآنية التي تضمنت كلمات من هذا القبيل:

قال تعالى: في سورة الإسراء: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ [الإسراء: ٨].

ذكر أصحاب اللغة أن كلمة «عسى» من الكلمات المتضادة التي بمعنى الشك، وتأتي لمعنى اليقين، أما في القرآن الكريم فلا تأتي إلا بمعنى اليقين، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هي واجبة من الله[1]، وذهب الراغب إلى أنّ «عسى» طمع وترجي، أي على بابها، واعتبر المفسرين الذين فسروا «لعل» و«عسى» في القرآن باللازم بحجة أنّ الطمع والرجاء لا يصح من الله، بأنّ ذلك قصور نظر منهم، وذاك أن الله تعالى إذا ذكر ذلك يذكره ليكون الإنسان منه راجياً لا لأن يكون هو تعالى يرجو، فقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، أي: كونوا راجين في ذلك[2].

(١) يُنظر: أضداد أبي الطيب (ص٣٠٧)، الأضداد: عبد الملك بن قريب الأصمعي (ص٧٠)، أضداد السجستاني (ص٩٥).
(٢) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني (ص٥٦٦).

قال تعالى في سورة الكهف: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا﴾ [الكهف: ٧٩].

قال بعض المفسرين أن كلمة «وراء» هنا هي بمعنى «أمام»(١)، وقال أصحاب اللغة(٢): أنها من الأضداد تأتي بمعنى «أمام» كما في هذه الآية، وتأتي بمعنى «خلف» و«بعد»، وقد وردت بهذا المعنى في القرآن أيضاً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ [هود: ٧١]. وقد قال بهذا المعنى المفسرون أيضاً.

قال تعالى حكاية عن الكفار في سورة يونس: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ [يونس: ٥٤].

قال بعض المفسرين: إن معنى «أسرّوا» في هذه الآية تحتمل المعنيين المتضادين، إما أن يكون بمعنى الإخفاء، فتؤول على أن الكفار يوم القيامة وقد عاينوا الحساب والعذاب يخفون ندمهم وحسرتهم لفظاعة الخطب، وقال المفسرون: يجوز أن تؤول بمعنى الإظهار(٣)، وقال أصحاب اللغة(٤): إن كلمة «أسرّ» من الأضداد، فتأتي بمعنى الإظهار كما في هذه الآية، وتأتي بمعنى الخفاء أيضاً، وقد وردت بالمعنيين في القرآن الكريم.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي (٥٣٤/٣).
(٢) أضداد أبي الطيب (ص٤١٢)، أضداد السجستاني (ص١٨٩).
(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري جار الله (٢٨٦/١)، (٣٥٢/٢).
(٤) أضداد الأصمعي (ص٢١)، أضداد أبي الطيب (ص٢٣٠).

المطلب الثاني
تعريف الظن لغة واصطلاحاً

كلمة «ظنّ» من الأضداد، وهي في اصطلاح اللغويين الكلمات التي تؤدي إلى معنيين متضادين بلفظ واحد ككلمة «الجون» تطلق على الأسود والأبيض، و«الجلل» تطلق على الحقير والعظيم، وهكذا(١).

وقد اختلف العلماء في تحديد معاني مادة «ظ ن ن»، فذهب أصحاب المعاجم إلى حصر «الظن» في معنيين متضادين: الشك واليقين. قال ابن فارس: «الظاء والنون أصل صحيح يدل على معنيين مختلفين: يقين وشك»(٢).

وزادوا معنى ثالثاً هو التهمة(٣)، ونقل صاحب الكليات قول مجاهد بأنّ كل ظن في القرآن فهو يقين، غير أن هذا يشكل عليه بكثير من الآيات، ثم نقل ضابطاً عن الزركشي في التفريق بين دلالات الظن في القرآن الكريم، حيث جعل للظن ضابطين في القرآن:

أحدهما: أنه حيث وجد الظن محموداً مثاباً عليه فهو اليقين، وحيث وجد مذموماً متوعداً عليه بالعذاب فهو الشك.

والثاني: أن كل ظن يتصل به «أن» المخففة فهو شك، نحو: ﴿**بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ**﴾ [الفتح: ١٢].

وكل ظن يتصل به «أن» المشددة فهو يقين، كقوله تعالى: ﴿**إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ**﴾ [الحاقة: ٢٠]، والمعنى في ذلك أن المشددة للتأكيد فدخلت في اليقين، والمخففة بخلافها فدخلت في الشك، وأما قوله تعالى: ﴿**وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ**﴾ [التوبة: ١١٨]، فالظن فيه اتصل بالاسم.

---

(١) أضداد ابن الأنباري، مقدمة محمد أبو الفضل إبراهيم (ص: أ).
(٢) المقاييس في اللغة (٤١٢/٣).
(٣) ديوان دريد بن الصمة (ص٦٠).

والحق أن هذا الضابط لا يطرّد في جميع مواضع الظن في القرآن الكريم، ولهذا استدرك الزركشي على نفسه بالآية الأخيرة التي خرجت عن القيد الذي ذكره، وغيرها كثير.

وكذلك الشأن عند أصحاب كتب «الأضداد»، فقد اقتصر قطرب بن المستنير في كتابه على معنى الشك واليقين[١]، وكذلك فعل أبو حاتم السجستاني، غير أنه فسر «ضنين وظنين» وحدها، قال: أما قوله: «وما هو على الغيب بظنين» [التكوير: ٢٠]، والظنين المتهم، وهو من الظن؛ أي التهمة[٢].

أمّا أبو بكر بن الأنباري فقد انفرد بزيادة معنى رابع لـ «ظنّ» وهو الكذب، فصارت معانيها أربعة: الشك - اليقين - الكذب - التهمة[٣].

ولقد عدّ الراغب الأصفهاني كلمة «ظنّ» من غريب القرآن، وذلك لغرابة استعمالها في سياقات متعددة، وقد حاول تحقيق معنى هذا اللفظ وتغير دلالته بتغير سياق الآيات[٤].

كما تناول أصحاب الوجوه والنظائر كلمة «ظنّ»، واتّفقوا على حصرها في معنيين متضادين، وهما الشك واليقين[٥]، وزاد مقاتل بن سليمان[٦] وهارون بن موسى[٧] معنى ثالثاً وهو التهمة، وأضاف كل من يحي بن سلام[٨] والدامغاني[٩] معنى رابعاً وهو الحسبان، وانفرد ابن الجوزي[١٠] بزيادة معنى خامس وهو: الكذب، واستدل كل منهم على هذه المعاني بآيات وشواهد من القرآن الكريم ومن الشعر أعرضنا عن ذكرها اختصاراً.

(١) الأضداد: محمد بن المستنير الملقب بقطرب (ص٧٠).
(٢) أضداد السجستاني (ص٧٧).
(٣) أضداد ابن الأنباري (ص١٤).
(٤) المفردات في غريب القرآن (ص٥٣٩، ٥٤٠).
(٥) يُنظر مثلاً: ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد: أبو العباس المبرد (ص٥٣، ٥٤). الوجوه والنظائر: أبو هلال العسكري (ص٣٣٢، ٣٣٣).
(٦) الوجوه والنظائر في القرآن العظيم: مقاتل بن سليمان (ص١٤٩).
(٧) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: هارون بن موسى القارئ (ص٣٧٤).
(٨) التصاريف: يحي بن سلام (ص٣٦٢، ٣٦٣).
(٩) قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: الحسين بن محمد الدامغاني (ص٣١٢).
(١٠) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ص٤٢٥، ٤٢٦).

لكن بالنظر إلى تعدد هذه المعاني، ومقارنة يسيرة بينها، يتضح أن معنى الشك والحسبان متقاربان، فالحسبان تغليب أحد المحتملين على الآخر (أي غلبة الاعتقاد والظن في اتجاه معين)، والشك ما لا ترجح فيه إحدى الكفتين على الأخرى، وإلى ذلك أشار ابن الجوزي حين قال في بداية هذا الباب: «الظن في الأصل: قوة أحد الشيئين على نقيضه في النفس. والفرق بينه وبين الشك، أن الشك: التردد في أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر»(١).

ولا تكتمل هذه المجموعة إلا بمعنى ثالث هو «الريب»، فالريب هو قوة أحد الظنّيْن في الاتجاه السلبي، وكأن لدينا كلمات ثلاثة، تقع على خط دلالي واحد:

فالحسبان والريب تطوران للشك في اتجاهين متضادين فهو أصلهما ومنبعهما، وهما يدوران حول محوره بتفاوت درجاتهما اقتراباً وبعداً.

وفي كل الأحوال، يكون المقابل المباشر لليقين هو الشك، فإذا اعتبرنا الحسبان درجة من درجات الشك، فما زلنا إذن نتحدث عن الشك نفسه، بوصفه معنى كليّاً مضاداً لمعنى كلي هو اليقين، وذلك بعيداً عن تفاصيل كل منهما المتمثلة في الدرجات والأنواع.

فوجوه لفظ الظن إذن تنحصر مرة أخرى في: الشك واليقين، وهما المتضادان، ويضاف إليهما: الكذب والتهمة(٢).

وسيتّضح كل هذا جليّاً عند التطبيق على آيات القرآن الكريم، وسنحاول تصنيف الآيات الخاصة بكل معنى من معاني ظنّ في القرآن الكريم مستعينين في ذلك بأقوال المفسرين، في محاولة للوقوف على ما للسياق من أثر في توجيه المعنى، وفي فهم كتاب الله الذي نزل بلسان العرب، وعلى طرائقهم وأساليبهم في الكلام.

(١) نزهة الأعين النواظر (ص٤٢٤).

(٢) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: سلوى محمد العوّا (ص٩٦).

المطلب الثالث

معاني الظنّ وتعامل المترجمين معه في آيات القرآن الكريم

قبل الخوض في مناقشة المترجمين في ترجمتهم لمعنى الظن في الآيات الكريمات، نعرض هذا الجدول الذي قابلنا فيه بين اختيارات المترجمين الثلاثة لنركّز على الفروق المعنوية الدقيقة «les nuances de sens» التي ارتضاها المترجمون للوفاء بدلالة الظنّ في الآية الكريمة، فكانت كالآتي:

ترجمة أبو بكر حمزة	ترجمة محمد الشيادمي	ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد)
١) ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦]		
«Qui **ont la conviction** de rencontrer...»	«**Qui savent** qu'ils sont appelés...»	«**Qui ont la certitude** de rencontrer...»
٢) ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]		
de simples **conjonctures...**	à quelques simples **conjectures**	ils ne font que des **conjectures**
٣) ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۖ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠]		
S'ils pensent tous deux...	**S'ils pensent** pouvoir respecter	**qu'ils pensent** pouvoir tous...
٤) ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]		
Mais ceux qui **pensaient** sincèrement	**qui avaient foi dans...**	**qui étaient convaincus...**
٥) ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]		
Et **pensant** de Dieu...	**Proféraient** sur Dieu... des **opinions** non conformes	**avait des pensées** sur Allah..., **des pensées...**
٦) ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧]		
est purement **conjectural...**	À de simple **conjectures...**	suivre des **conjectures...**

ترجمة أبو بكر حمزة	ترجمة محمد الشيادمي	ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد)
٧) ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]		
que des **conjectures**	suivre des **conjectures...**	Ils ne suivent que la **conjecture...**
٨) ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]		
suivez que des **conjectures**	que des **conjectures...**	Vous ne suivez que **des conjectures**
٩) ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦]		
et **pensons** que tu...	qu'ils **crurent** qu'elle	nous **pensons** que tu...
١٠) ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧١]		
qu'ils **crurent** qu'elle...	et que tu ne **rapportes**	Ils **penseraient** qu'il
١١) ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨]		
Ils ont **pensé** qu'il n'y avait	Et qu'ils **comprirent** enfin	ils **pensaient** qu'il n
١٢) ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ [يونس: ٢٢]		
Et ils **pensent** qu'ils	et les **mettent** en péril	**se jugeant** enveloppés
١٣) ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾ [يونس: ٢٤]		
Les hommes **S'imaginent**	Les hommes **s'imaginent** qu'ils	**pensent** qu'elle est à
١٤) ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٣٦]		
ne suivent qu'une **conjecture**	**Que diront,** le jour de la résurrection...	**que conjecture.** Mais **la conjecture** ne sert à rien
١٥) ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [يونس: ٦٠]		
Qu'imaginent ceux qui usent	le jouet de leurs **conjectures**	Et **que penseront,** au jour
١٦) ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس: ٦٦]		
Ils ne suivent que leurs **conjectures**	à des **conjectures,** mais les **conjectures** ne...	que la **conjecture**

ترجمة أبو بكر حمزة	ترجمة محمد الشيادمي	ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد)
١٧) ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧]		
Nous **pensons** au contraire	vous **n'êtes pour nous** que	nous **pensons** que vous êtes
١٨) ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]		
dont il **avait prédit** l'élargissement	qui, à son avis, **devait être sauvé...**	il **pensait** qu'il serait
١٩) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ [يوسف: ١١٠]		
et **crurent** qu'ils étaient	Et **croyaient** qu'on les...	eurent **pensé** qu'ils étaient dupes
٢٠) ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢]		
Et vous **penserez** n'être demeurés	**Pensant** n'être restés	Vous **penserez** cependant...
٢١) ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١]		
Moise, **je pense** que	Pharaon lui dit: **J'estime,** Moise,	O Moise, je **pense** que tu...
٢٢) ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]		
Je crois, Pharaon...	**J'estime,** O Pharaon,...	O Pharaon, je te **crois** perdu
٢٣) ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا بَصَآئِرَ﴾ [الكهف: ٣٥]		
Je ne **pense** pas	Je ne **pense** pas que	Je ne **pense** pas que ceci...
٢٤) ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [الكهف: ٣٦]		
je ne **pense** pas	je ne **crois** pas...	je ne **pense** pas que l'Heure
٢٥) ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣]		
et **craindront** d'y tomber	les négateurs **auront la certitude**	Ils seront alors **convaincus**
٢٦) ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]		
persuadé que nous...	**Pensant** que Nous...	Il **pensa** que nous...

ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد)	ترجمة محمد الشيادمي	ترجمة أبو بكر حمزة
٢٧) ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ [الحج: ١٥]		
celui qui **pense** qu'Allah	celui qui **pense** que Dieu	celui qui **pense** que
٢٨) ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]		
conjecturé favorablement, et n'ont-ils...	auraient dû avoir **une meilleure opinion**	**de bonnes pensées**... en [cette affaire]
٢٩) ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦]		
nous **pensons** que tu es	Nous sommes **persuadés**	nous **pensons** que tu
٣٠) ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨]		
je **pense** plutôt qu'il est du	je suis **certain** que	je suis **persuadé...**
٣١) ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٩]		
Et ils **pensèrent** qu'ils	**Pensant** qu'ils ne seraient	**Pensant** qu'ils
٣٢) ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠]		
toutes sortes de **suppositions**	toutes sortes de **conjectures**	toute sorte de **pensées**
٣٣) ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠]		
rendu véridique sa **conjecture**	avait **misé** sur eux	a réalisé **ses intentions**
٣٤) ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٧]		
Que **pensez**-vous du seigneur	que **pensez**-vous donc	que **pensez** vous donc...
٣٥) ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]		
Et David **pensa** alors que nous	Et David **pensa que**	David **pensa** que nous

ترجمة أبو بكر حمزة	ترجمة محمد الشيادمي	ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد)
٣٦) ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [ص: ٢٧]		
Comme le **pensent** les infidèles	Comme **le pensent** les infidèles	C'est ce que **pensent** ceux
٣٧) ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٧]		
Que je **tiens** pour...	Car je **soupçonne**	je **pense** que celui-ci
٣٨) ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢]		
Vous **pensiez** plutôt que Dieu...	Vous **pensiez** plutôt	Mais vous **pensiez...**
٣٩) ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣]		
que vous **conjecturiez**	**Vous pensiez** de votre...	cette **pensée** que vous
٤٠) ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [فصلت: ٤٨]		
Et **penseront** n'avoir plus	Les idolâtres **comprendront**	et ils **réaliseront** qu'ils n'ont...
٤١) ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [فصلت: ٥٠]		
Je ne **pense** pas	Je ne **pense** pas	Et je ne **pense** pas que...
٤٢) ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]		
Ils ne font que **conjecturer**	de simples **conjectures**	qu'émettre des **conjectures**
٤٣) ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢]		
faisons que **conjecturer**	nous n'en avons **qu'une idée assez vague**	«nous ne faisions que des simples **conjectures**»
٤٤) ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦]		
Qui **pensent mal** de Dieu	Qui **prêtent** de mauvaises intentions	«...**pensent** du mal d'Allah»

ترجمة أبو بكر حمزة	ترجمة محمد الشيادمي	ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد)
٤٥) ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ١٢]		
Vous avez **pensé** que... **mal pensé** de Dieu	En vérité, vous avez **cru**	«Vous **pensiez** plutôt eu de mauvaises **pensées**»
٤٦) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]		
livrer aux **conjectures...** il est des **suppositions**	Evitez de trop **conjecturer**, des **conjectures** qui	Evitez de trop **conjecturer**... des **conjectures**
٤٧) ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]		
que des **conjecture**; or la **conjecture...**	que suivre leurs **conjectures**	Ils ne suivent que la **conjecture**
٤٨) ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]		
suivent que les **conjectures**	de simples **conjectures**, or, les **conjecture** ne	Ils ne suivent que la **conjecture**
٤٩) ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢]		
Vous ne **pensiez** pas qu'ils sortiraient et eux **pensaient**	Vous ne **pensiez** pas qu'ils... qu'eux **s'imaginaient...**	Vous ne **pensiez...**, et il **pensaient**
٥٠) ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠]		
Je **pensais bien** que j'y trouverais...	**J'étais sûr** d'y trouver	**J'étais sûr** d'y trouver...
٥١) ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الجن: ٥]		
Alors que nous **pensions...**	Nous étions **persuadés** que	Et nous **pensions que...**
٥٢) ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ [الجن: ٧]		
pensaient comme...	Ces humains **croyaient** comme	**Ils avaient pensé** comme vous avez **pensé**

ترجمة أبو بكر حمزة	ترجمة محمد الشيادمي	ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد)
٥٣) ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ [الجن: ١٢]		
Nous **n'avons pas pensé**	Nous n'avons **jamais pensé**	Nous **pensions** bien que...
٥٤) ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٥]		
S'attendant à subir	Et **tourmentés** par les	**Qui s'attendent** à subir
٥٥) ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ [القيامة: ٢٨]		
Que [l'agonisant] **pensera** que	**sentira** que sa fin	Et l'agonisant **est convaincu**
٥٦) ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤]		
Il n'est pas **discret** sur le mystère.	Il n'est pas homme à être **discret** sur le mystère.	Il ne garde pas **avarement** pour lui-même
٥٧) ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ [المطففين: ٤]		
ces gens-là ne **pensent** pas	Ces gens ne **pensent**-ils pas	Ceux-là ne **pensent**-ils
٥٨) ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤]		
Pensant ne jamais	**Croyant** ne jamais comparaitre	il **pensait** que...

تحليل الترجمات الثلاث ومناقشتها:

ليسهل علينا تحليل اختيار المترجمين، نصنّف الآيات الكريمات حسب دلالة الظنّ، وهي أربع دلالات:

١. الشك. ٢. اليقين. ٣. الكذب. ٤. التهمة.

وباستقراء مادة (ظ ن ن) في القرآن الكريم، نجد أنّها وردت في القرآن بصيغ مختلفة سبعين (٧٠) مرّة في ثمان وخمسين (٥٨) آية، وقد قارنّا بين تفسير لفظ «الظن» في كل منها، وترجمته في معاني القرآن، فخلصنا إلى معناها حسب كل موضع كالآتي:

أولاً: ورود الظنّ بمعنى الكذب:

وذلك في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]. استعمل المترجمون الثلاثة كلمة «conjectures»(١) بمعنى التقديرات والتخمينات لتقريب معنى الشك(٢) والكذب(٣) الذي قال به المفسرون في هذه الآية.

ثانياً: ورود الظنّ بمعنى التهمة:

وذلك أيضاً في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤].

حيث إنّ في هذه الآية قراءتان: فمن قرأها «ظنين» بالظاء، وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو بن العلاء، والكسائي(٤)، فهي بمعنى أنه ليس بمتهم في تبليغ الوحي، فالظن هنا بمعنى التهمة، ومن قرأها «ضنين» بالضاد، وهي قراءة الباقين، فهي بمعنى أنه ليس ببخيل في تبليغ الوحي، ولا علاقة لها بالظن إطلاقاً. ولهذا لم يلتفت المترجمون إلى هذه القراءة «ظنين» تبعاً لأكثر المفسرين الذين لم يفسروا المعنى على هذه القراءة، بل ترجموا «ضنين» بألفاظ تدل على البخل، فاستعمل حميد الله عبارة «Il ne **garde** pas **avarement** pour lui-même»(٥) بمعنى أنه لا يحتفظ لنفسه بالوحي باخلاً به.

---

(١) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (١٣٠/١)، ترجمة الشيادمي (١٢/١)، ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص١٥).
- Le Coran: Texte, Traduction et commentaires. Cheick si Hamza Boubakeur. Paris: Maisonnoeuvre et Larose. Et l'édition de L'ENAG. Alger, 1994.
- Le Noble Coran: Chiadmi, Mohammed, Nouvelle traduction française du sens de ses versets, Editions Tawhid, Lyon, 2006.
- Le Noble Coran et la traduction en langue française de ses sens: Dr. Mouhammad HAMIDALLAH, Complexe Roi Fahd, Médine, 2000.

(٢) يُنظر: معالم التنزيل وأنوار التأويل: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (٥٤/١). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي (٣٣٦/١). مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر الرازي (١٥٠/٣). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود الآلوسي (٣٠٢/١). تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٧٠/٢).

(٣) يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري (٣٨٨/٥). البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي (٥٩١/٢). تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٦٦٨/١). التفسير الميسر: نخبة من العلماء (ص٥٩١).

(٤) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ص٣٣٨).

(٥) يُنظر: ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٦٩٨).

واستعمل أبو بكر حمزة والشيادمي عبارة «n'est pas discret»[1] بمعنى أنّه ليس كتوماً للوحي، ولكن تميّز الشيخ أبو بكر حمزة بتعليق نفيس بيّن فيه وجود قراءتين في هذه الآية، وأنّه اختار قراءة الضاد، ثم ذكر قراءة الظاء وترجمها بـ «Suspect»[2] بمعنى متّهم، وبالتالي فقد استشعر هذا المترجم دلالة الظنّ على التهمة استناداً على قراءة الظاء.

ثالثاً: ورود الظنّ بمعنى اليقين:

وذلك في إحدى عشرة آية، وهي:

١. ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦].

توارد المترجمون على ترجمة معنى اليقين للفظ «ظن» في هذه الآية، فاستعمل أبو بكر حمزة عبارة «avoir la conviction»[3] بمعنى القناعة التامة، واستعمل الشيادمي الفعل «savoir»[4] بمعنى علم، واستعمل حميد الله عبارة «avoir la certitude»[5] بمعنى التيقن والتأكد، وكل هذه العبارات بمعنى اليقين الذي أجمع عليه المفسرون في تحديد دلالة الظن في هذه الآية[6]، آخذين بعين الاعتبار السياق الذي وردت فيه، وهو سياق مدح الخاشعين، فلا يجوز حملها على غير اليقين، وإلا للزم مدح الشاكّين في لقاء الله والبعث.

٢. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

---

(١) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (ج٥) (ص٣٢٧). ترجمة الشيادمي (٥٨٦/١).

(٢) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٣٢٩/٥).

(٣) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٩٩/١).

(٤) يُنظر: ترجمة الشيادمي (٧/١).

(٥) يُنظر: ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص١٠).

(٦) يُنظر: جامع البيان (١٧/١). معالم التنزيل (٣١/١). معالم التنزيل (٥٤/١). الكشاف (١٦٣/١). المحرر الوجيز (١٣٧/١). مفاتيح الغيب (ص٥١ - ٥٣). البحر المحيط في التفسير (٣٠٠/١). تفسير القرآن العظيم (٢٥٤/١). روح المعاني (٢٥١/١). التفسير الميسر (ص٧).

اختلفت الترجمات في مدى دلالتها على معنى اليقين الذي قال به أكثر المفسرين في لفظ الظن هنا(١)، فاستعمل الشيخ أبو بكر حمزة عبارة «penser sincèrement»(٢) بمعنى: اعتقد بصدق، واستعمل الشيادمي عبارة «avoir foi en»(٣) بمعنى يؤمنون به، واستعمل حميد الله عبارة «être convaincu»(٤) بمعنى أيقنوا واقتنعوا، ولعلها أقرب الترجمات وأحسنها للدلالة على معنى اليقين في الآية.

٣. ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١].

استعمل كل من الشيخ أبي بكر حمزة والشيادمي الفعل «croire»(٥) بمعنى صدّق واعتقد اعتقاداً جازماً لتقريب دلالة الظن «على اليقين في هذه الآية، في حين نجد أن حميد الله استعمل الفعل penser»(٦)، الذي يدل على مطلق الظنّ، وبالتالي أغفل معنى اليقين الذي عليه جمهور المفسرين(٧).

٤. ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ﴾ [التوبة: ١١٨].

استعمل الشيخ الشيادمي الفعل «comprendre»(٨) بمعنى أدرك وفهم لتقريب دلالة اليقين للفظ الظن في هذه الآية، غير أن الشيخ أبا بكر حمزة وحميد الله

(١) يُنظر: جامع البيان (٣٣٨/٥). الكشاف (٣٢٣/١). مفاتيح الغيب (١٩٩/٣). البحر المحيط في التفسير (٤٧١/٢). تفسير القرآن العظيم (٢٥٤/١). روح المعاني (٥٦٢/١). التفسير الميسر (ص٤١).

(٢) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٢٦٦/١).

(٣) يُنظر: ترجمة الشيادمي (٤١/١).

(٤) يُنظر: ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٤٩).

(٥) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٢١٥/٢)، ترجمة الشيادمي (١٧٣/١).

(٦) يُنظر: ترجمة الشيادمي (٢٠٦/١).

(٧) يُنظر: معالم التنزيل (١٧٧/٢). الكشاف (٣٠٤/٢). مفاتيح الغيب (٤٩/١٥). البحر المحيط في التفسير (٢١٨/٤). روح المعاني (١٠٣/٥). التفسير الميسر (ص١٧٣).

(٨) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٤٤٠/٢)، ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٢٢٨).

استعملا الفعل «penser»[١] وأغفلا معنى اليقين الذي عليه جمهور المفسرين[٢]، وخاصة أن الأمر هنا يتعلق بالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين يستحقون منا التبجيل والتوقير، فكان عليهما أن يستعملا عبارات دالة على اليقين «être convaincu. avoir la certitude».

٥. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [يونس: ٢٢].

لم يغير المترجم أبو بكر حمزة الفعل «penser»[٣] بمعنى حسب واعتقد للدلالة على أن الظن هنا على بابه، واستعمل حميد الله الفعل «se juger»[٤] بمعنى قدّر لتقريب المعنى ذاته، غير أن الشيادي[٥] - كعادته - يراعي المعنى العام للآية على حساب دلالة الظن فلم يلتفت إلى تحديدها، بل استعمل عبارة «mettre en péril».

ونلاحظ أنّ المترجمين الثلاثة اعتمدوا على فريق من المفسرين الذين رأوا أنّ الظن هنا بمعنى الشك[٦]، ولم يلتفتوا أبداً إلى معنى اليقين الذي قال به فريق آخر من المفسرين[٧]، ولعله القول الأقرب لمعنى الآية؛ لأن سياق الآية سياق امتنان، فيناسبه الإنقاذ بعد الإيقان بالهلاك، والله أعلم.

---

(١) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٢/٢١٥)، ترجمة الشيادي (١/١٧٣).

(٢) يُنظر: جامع البيان (١٣/٢١٨). الكشاف (٢/٣٠٤). المحرر الوجيز (٣/٩٤). البحر المحيط في التفسير (٥/٥١٩). معالم التنزيل (٢/٢٨٤). روح المعاني (٦/٥٢). التحرير والتنوير (١١/٥٣). التفسير الميسر (ص٢٠٦).

(٣) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٢/٤٧٠).

(٤) يُنظر: ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٢٣٣).

(٥) يُنظر: ترجمة الشيادي (١/٢١١).

(٦) يُنظر: جامع البيان (١٥/٥١). الكشاف (٢/٣٢٣). المحرر الوجيز (٣/١١٣). مفاتيح الغيب (١٧/٧٣). التحرير والتنوير (١١/١٣٧).

(٧) يُنظر: البحر المحيط في التفسير (٥/٥١٩). معالم التنزيل (٢/٢٨٤). روح المعاني (٦/٩٢). التفسير الميسر (ص٢١١).

٦. ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢].

أكثر المفسرين على أن دلالة الظن في هذه الآية هي بمعنى اليقين(١)، فاستعمل أبو بكر حمزة الفعل «prédire»(٢) بمعنى تنبأ، ونبوءة الأنبياء يقين، غير أن الشيادي وحميد الله لم يراعيا دلالة اليقين فاستعمل الشيادي الفعل «penser»(٣) واستعمل حميد الله عبارة «qui a son avis»(٤) بمعنى «والذي في اعتقاده أنه....» والذي نراه أنه كان عليهما أن يستعملا ألفاظاً وعبارات أكثر دلالة على اليقين؛ لتعلق الأمر بنبي يوحى إليه. والأنبياء لا يخبرون إلا عن شيء كائن لا محالة، ولهذا طلب منه أن يذكره عند ربه لتيقنه من نجاته كما قال الطبري.

٧. ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣].

بما أنّ المفسرين مجمعون على أن الظن هنا لليقين(٥)، فإننا نجد أن الشيخ الشيادي وحميد الله قد استعملا عبارات تقرب إلى دلالة اليقين، فاستعمل الأول «avoir la certitude»(٦)، واستعمل الثاني «être convaincu»(٧) وكلاهما يدل على اليقين، غير أن الشيخ أبا بكر حمزة - على غير عادته - لم يلتفت إلى تحديد دلالة الظن هنا بدقة وراعى السياق العام للآية، فاستعمل الفعل «craindre»(٨) بمعنى أشفق وخشي، وكان حقه أن يستعمل عبارات أكثر دلالة على اليقين من مجرد الإشفاق، ففي الآية يخبرنا عَزَّوَجَلَّ عن حال المشركين حين معاينتهم لجهنم - وقد

(١) يُنظر: جامع البيان (٢٩٧/١٥). الكشاف (٣٦٨/٢). البحر المحيط في التفسير (٥٧٩/٦). معالم التنزيل (٣٥٩/٢). روح المعاني (٤٣٧/٦). التحرير والتنوير (٤٩/١٢). التفسير الميسر (ص٢٤٠).
(٢) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٥٩٨/٢).
(٣) يُنظر: ترجمة الشيادي (٢٤٠/١).
(٤) يُنظر: ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٢٦٦).
(٥) يُنظر: جامع البيان (٤٨/١٨). الكشاف (٧٢٨/٢). المحرر الوجيز (٥٢٤/٣). البحر المحيط في التفسير (٤٦١/٧). معالم التنزيل (١٤٠/٣). تفسير القرآن العظيم (١٦٩/٥). روح المعاني (٢٨٢/٨). التحرير والتنوير (٣٤٦/١٥). التفسير الميسر (ص٢٩٩).
(٦) يُنظر: ترجمة الشيادي (٢٩٩/١).
(٧) يُنظر: ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٣٧١).
(٨) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (١٧٧/٣).

أتت تُجر بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك، فعند رؤيتهم لها بأبصارهم يتحقق لهم العلم واليقين بعد أن كانوا مكذبين بها.

٨. ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

إجماع من المفسرين بأن الظن هنا لليقين(١)، والآية تذكر قصة داوود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فيحسن حمل الظن من الأنبياء على اليقين لكونهم يتلقون الوحي الإلهي. لكنَّ المترجمين الثلاثة استعملوا الفعل «penser»(٢) الدال على الشك، فكان عليهم أن يستعملوا عبارات دالة على اليقين، خاصة وأن الأمر يتعلق بنبي من أنبياء الله عَزَّوَجَلَّ، فأنّى لهم الشك وهم يوحى إليهم من السماء.

٩. ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [فصلت: ٤٨].

استعمل الشيادي الفعل «comprendre»(٣) بمعنى أدرك، واستعمل حميد الله فعل «réaliser»(٤) بمعنى أدرك كذلك، وكلاهما يفيد الدلالة على اليقين الذي قال به جمهور المفسرين(٥)، لكن الشيخ أبا بكر حمزة خالف الجمهور، وأبقى على الفعل «penser»(٦) الدال على الشك، فكان حقه أن يغيره بفعل آخر دال على اليقين.

١٠. ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠].

أجمع المفسرون أنّ الظن هنا لليقين(٧)، فسياق الآية في الحديث عن المؤمن الذي ينال كتابه يوم القيامة بيمينه جزاء بما قدم في الدنيا من أعمال، فقد كان موقناً بأنه راجع

(١) يُنظر: جامع البيان (١٨/٢١). الكشاف (٣٤٤/٣). المحرر الوجيز (٥٠١/٤). مفاتيح الغيب (١٣٨/٢٧). البحر المحيط في التفسير (١٥٠/٩). معالم التنزيل (٤٨/٤). تفسير القرآن العظيم (٦١/٧). روح المعاني (١٧٥/١٢). التحرير والتنوير (٢٣٩/٢٣).

(٢) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٢٥٦/٤). ترجمة الشيادي (٤٥٤/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٥١٩).

(٣) يُنظر: ترجمة الشيادي (٣٥٧/١).

(٤) يُنظر: ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٤٨٢).

(٥) يُنظر: جامع البيان (٤٨٩/٢١). الكشاف (٤٥٧/٣). المحرر الوجيز (٢١/٥). تفسير القرآن العظيم (١٨٥/٧). روح المعاني (٥/١٣). التحرير والتنوير (٨/٢٥). التفسير الميسر (ص٤٨٢).

(٦) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٣٧٥/٤).

(٧) يُنظر: جامع البيان (٥٨٥/٢٣). الكشاف (١٥٣/٤). المحرر الوجيز (٣٦١/٥). مفاتيح الغيب (١١١/٣٠). البحر المحيط في التفسير (٢٦١/١٠). معالم التنزيل (٣٧٥/٤). تفسير القرآن العظيم (٢١٤/٨). روح المعاني (٥٤/١٥). التحرير والتنوير (١٣١/٢٩). التفسير الميسر (ص٥٦٧).

إلى ربه، ومحاسب على أعماله، فترجم الشيادمي وحميد الله بعبارة «être sûr»[1] بمعنى التيقن، وبالتالي قد وفيّا المعنى حقّه، لكن المترجم أبا بكر حمزة لم يغير - كعادته - الفعل «penser»، وحاول تقويته بالحال «bien»[2]، مع أن المقام يدل على اليقين قطعاً، فكان حقه أن يستغني عن كل هذا بعبارة تفيد اليقين الجازم الذي لا يخالطه شك.

١١. ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ [الجن: ١٢].

الجمهور على أن الظن هنا بمعنى اليقين[3]، فقد علم الجنّ يقيناً أن قدرة الله حاكمة عليهم. لكن ترجم الثلاثة الظن هنا بالفعل «penser»[4]، مما يدل على عدم مراعاة ظاهرة الأضداد في هذا الموضع، وحاول حميد الله تدعيم ترجمته بالحال «bien»[5] ليقوي من دلالته، ومع هذا كان يحسن استعمال عبارات دالة على اليقين بصراحة ووضوح.

رابعاً: ورود الظنّ بمعان مختلف فيها:

على خلاف الأقسام السابقة، نتعرض في هذا القسم لبعض الآيات التي اختلف المفسرون في دلالة الظنّ فيها بين قائل باليقين وقائل بالشك، فحتماً سيختلف المترجمون أيضاً في اختيار المقابل الدقيق للظنّ فيها حسب ما يترجح له، أو حسب اختيار المفسّر الذي يعتمد عليه، وفيما يأتي بسط لاختياراتهم:

١. ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦].

---

(١) يُنظر: ترجمة الشيادمي (٥٦٧/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٦٦٣).

(٢) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (١٩٨/٥).

(٣) يُنظر: جامع البيان (٦٦٠/٢٣). الكشاف (١٩٢/٤). المحرر الوجيز (٣٨٢/٥). مفاتيح الغيب (٢٣٠/٣٠). البحر المحيط في التفسير (٣٥١/١٠). معالم التنزيل (٣٩٢/٤). تفسير القرآن العظيم (٢٨٠/٨). التحرير والتنوير (٣٥٦/٢٩). التفسير الميسر (ص٥٧٢).

(٤) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٢٤٣/٥). ترجمة الشيادمي (٥٧٢/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٦٧٢).

(٥) يُنظر: ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٦٧٢).

اختلف المفسرون، فقال البعض: الظن هنا بمعنى الشك[1] «مع تغليب أحد الجائزين»، وقال آخرون: هو بمعنى اليقين[2]، وهنا أيضاً نلاحظ أن المترجِمَيْن أبا بكر حمزة وحميد الله قد استعملا الفعل «penser»[3] لتقريب دلالة الظن على معنى الشك، وقد سبق أن استعملاه في اليقين أيضاً، مما يقوي احتمال عدم استشعار خطورة ظاهرة الأضداد، في حين استعمل الشيادمي الفعل «rapporter»[4] بمعنى أخبر ونقل، وذكر على عادته في مراعاة سياق الآية ومعناها الإجمالي وأغفل تحديد دلالة الظن في هذه الآية.

٢. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ١١٠].

توارد الشيخ الشيادمي والشيخ أبو بكر حمزة في استعمال الفعل «croire»[5] لتقريب دلالة الحسبان في هذه الآية، والأمر ذاته لحميد الله الذي استعمل الفعل «penser»[6] بمعنى اعتقدوا، وهذا تبعاً للمفسرين الذين خرّجوا الظنّ هنا على الحسبان[7].

ولقد أغفل المترجمون الثلاثة القول الآخر في تأويل الظنّ هنا بمعنى اليقين[8]: وتأول بعضهم أن الظن هنا واقع من الرسل حيث أيقنوا أن قومهم كذبوهم، وجاء هذا عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهذا على قراءة التشديد «كُذِّبُوا»، وهو قول قتادة. فكان حريّاً بالمترجمين أن يشيروا إلى هذا المعنى لاسيما وأن في قوله تعالى: ﴿كُذِبُواْ﴾ قراءتان، أحدها بالتخفيف والأخرى بالتشديد.

(١) يُنظر: جامع البيان (٥٠٤/١٢). المحرر الوجيز (٤١٧/٢). تفسير القرآن العظيم (٤٣٣/٣). التفسير الميسر (ص١٥٨).
(٢) يُنظر: مفاتيح الغيب (١٦٢/١٤). البحر المحيط في التفسير (٨٦/٥). التحرير والتنوير (٢٠٢/٨).
(٣) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (١٣٥/٢). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص١٧٦).
(٤) يُنظر: ترجمة الشيادمي (١٥٨/١).
(٥) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٦٢٧/٢). ترجمة الشيادمي (٢٤٨/١).
(٦) يُنظر: ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٢٧٤).
(٧) يُنظر: جامع البيان (١٩٦/١٦). الكشاف (٤٨٠/٢). المحرر الوجيز (٢٨٨/٣). مفاتيح الغيب (٢٢٩/١٧). تفسير القرآن العظيم (٢٨٠/٨). روح المعاني (٦٧/٧). التحرير والتنوير (٧٠/١٣).
(٨) يُنظر: مفاتيح الغيب (٢٢٩/١٧). البحر المحيط في التفسير (٢/٦). معالم التنزيل (٣٨١/٢). تفسير القرآن العظيم (٢٨٠/٨).

٣. ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢].

استعمل المترجمون الثلاثة الفعل «penser»(١) لكون الظنّ في هذه الآية على بابه - الشك والحسبان - على قول أكثر المفسرين(٢)، وبعض المفسرين حمل الظن هنا على اليقين(٣). فاعتمد المترجمون على القول الأشهر.

٤. ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

قال بعض المفسرين إن الظن هنا على بابه، أي الشك(٤) «مع تغليب أحد الجائزين»، فكان ظن موسى صادقاً - لما توقع هلاك فرعون لمعاندته، وإنكاره ما عرف صحته. وأوله بعضهم على أن توقع موسى لهلاك فرعون كان احتمالاً ضعيفاً في رجوع فرعون عن غيّه. وقال البعض الآخر من المفسرين: الظن هنا لليقين(٥)؛ لأن هلاك المكذبين لرسلهم أمر جرت به سنة الله في الكون. فيبقى الخلاف قائماً. ولهذا غيّر كل من الشيخ أبو بكر حمزة وحميد الله ترجمة فعل الظن هنا من «penser» إلى الفعل «croire»، والذي هو أكثر قرباً إلى اليقين من الفعل «penser»(٦)، وبذلك راعيا الفرق بين ظن موسى الصادق وظن فرعون الكاذب، بينما لم يغير المترجم الشيادمي من الفعل «estimer»(٧)، ولم يفرق بينهما.

٥. ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦].

وافق حميد الله أبا بكر حمزة في استعمال الفعل «penser»(٨) ليوافق دلالة الشك التي عليها أغلب المفسرين(٩)، ونجد أن الشيخ الشيادمي استعمل الفعل

(١) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (١١٢/٣). ترجمة الشيادمي (٢٨٧/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٣٢٠).
(٢) يُنظر: جامع البيان (٤٦٩/١٧). الكشاف (٦٢٨/٢). التحرير والتنوير (١٣٠/١٥).
(٣) يُنظر: المحرر الوجيز (٤٦٣/٣). البحر المحيط في التفسير (١٢١/٧).
(٤) يُنظر: الكشاف (٦٥١/٢). البحر المحيط في التفسير (١٢١/٧). تفسير القرآن العظيم (١٢٥/٥). التحرير والتنوير (٢٢٧/١٥).
(٥) يُنظر: روح المعاني (١٧٦/٨). التحرير والتنوير (٢٢٧/١٥). التفسير الميسر (ص٢٩٢).
(٦) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (١٣٤/٣)، ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٣٢٦).
(٧) يُنظر: ترجمة الشيادمي (٢٩٢/١).
(٨) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٦٠٩/٣). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٤٢٤).
(٩) يُنظر: جامع البيان (١٢٨/١٩). مفاتيح الغيب (١٨٧/٢٣). البحر المحيط في التفسير (٢١/٨). تفسير القرآن العظيم (٢٦/٦). روح المعاني (٣١٤/٩). التحرير والتنوير (١٧٤/١٨). التفسير الميسر (ص٣٥١).

«persuader»[1] الذي تقترب دلالته إلى اليقين، فذهب مذهب بعضهم في دلالة الظن هنا على اليقين[2]، أخذاً بظاهر حال المعاندين الذي كانوا جازمين بظنونهم الفاسدة، وكذلك بقرينة دخول اللام على المفعول الثاني لظنّ.

٦. ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

مع أنّ أكثر المفسرين بأن الظن هنا على بابه الشك[3] «مع تغليب أحد الجائزين»؛ لأن فرعون على ما جاءه من البراهين، بقي شاكّاً ولم يؤمن برب العالمين غروراً منه واستكباراً، إلّا أنّ الشيخ الشيادمي والشيخ أبا بكر حمزة قد استعملا الفعل «persuader»[4] الدال على اليقين الذي قال به البعض[5]، في حين استعمل حميد الله الفعل «penser»[6] مختاراً بذلك القول الأشهر في تفسير الآية.

وهنا نؤكد أيضاً على خطورة ظاهرة الأضداد، فهي سبب لاختلاف المعنى إلى الضدّ، وبالتالي اختلاف المترجمين تبعاً لذلك.

٧. ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠].

استعمل كل من المترجمين كلمة تدل على الظنون والشكوك، فاستعمل أبو بكر حمزة «penser»[7]، واستعمل الشيادمي «conjecture»[8]، واستعمل حميد الله

(١) يُنظر: ترجمة الشيادمي (٣٧٥/١).
(٢) يُنظر: روح المعاني (١١٨/١٠). التحرير والتنوير (١٨٦/١٩).
(٣) يُنظر: جامع البيان (٥٨١/١٩). المحرر الوجيز (٢١١/٤). مفاتيح الغيب (٢٥٤/٢٣). البحر المحيط في التفسير (٣٠٦/٨). روح المعاني (٣١٤/١٠). التحرير والتنوير (١٢٣/٢٠).
(٤) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٦٧٨/٣). ترجمة الشيادمي (٣٩٠/١).
(٥) يُنظر: مفاتيح الغيب (٢٥٤/٢٣). التحرير والتنوير (١٢٣/٢٠).
(٦) يُنظر: ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٤٤٢).
(٧) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٨٨/٤).
(٨) يُنظر: ترجمة الشيادمي (٤١٩/١).

«suppositions»[1] وكلها بمعنى التخمينات والظنون السيئة التي دبّت في قلوب المنافقين في غزوة الأحزاب، فوافقوا قول الجمهور بأنّ الظنّ هنا للشك[2]، وهناك قول بأنّه على اليقين على أنّ المؤمنين أيقنوا أن الله ناصرهم ومنجز وعده[3].

٨. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

قال المفسرون أن الظن هنا على بابه؛ أي الشك[4] «مع تغليب أحد الجائزين»، فالظن على بابه، فاتّفق أن استعمل الثلاثة كلمة «conjecture»[5] في الموضع الأول، أمّا في الموضع الثاني فقد غيّرها الشيخ أبو بكر حمزة إلى «suppositions»[6] والمعنى نفسه، بينما أبقى كل من الشيادمي وحميد الله على الترجمة الأولى كما هي دون تغيير[7]. وفي الآية نهي من الله عَزَّوَجَلَّ عن الظنون السيئة بالمؤمنين، والتي لا دليل عليها ولا تيقن فيها، وأمر باجتنابها لأنها إثم، وقال ابن كثير: معنى الظن هنا التهمة[8].

٩. ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٥].

اختلف المفسرون في دلالة الظن في هذه الآية، فقال فريق منهم أن الظن هنا بمعنى اليقين[9]؛ أي إن الكفار يوم القيامة حين يعاينون العذاب يوقنون بالهلاك ودخول

(١) يُنظر: ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٤٧٧).
(٢) يُنظر: جامع البيان (٢٢١/٢٠). الكشاف (٢٥٣/٣). المحرر الوجيز (٣٧٣/٤). مفاتيح الغيب (١٩٩/٢٥). البحر المحيط في التفسير (١٥٠/٣). معالم التنزيل (٤٤/٣). تفسير القرآن العظيم (٣٨٤/٦). التحرير والتنوير (٢٨١/٢١). التفسير الميسر (ص٤١٩).
(٣) يُنظر: تفسير القرآن العظيم (٣٨٤/٦).
(٤) يُنظر: جامع البيان (٣٠٤/٢٢). الكشاف (٥٦٧/٣). البحر المحيط في التفسير (٥١٩/٩). معالم التنزيل (١٩٤/٤). روح المعاني (٢٥٤/١٣). التحرير والتنوير (٢٥١/٢٦). التفسير الميسر (ص٥١٧).
(٥) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٦١٦/٤). ترجمة الشيادي (٥١٧/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٥٩٢).
(٦) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٦١٦/٤).
(٧) يُنظر: ترجمة الشيادي (٥١٧/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٥٩٢).
(٨) يُنظر: تفسير القرآن العظيم (٢٥٦/٧).
(٩) يُنظر: جامع البيان (٧٦/٢٤). المحرر الوجيز (٤٠٤/٥). مفاتيح الغيب (٢٣١/٣٠). البحر المحيط في التفسير (٣٥١/١٠). معالم التنزيل (٣٧٢/٤). تفسير القرآن العظيم (٢٨٠/٨). روح المعاني (١٦١/١٥). التحرير والتنوير (٣٥٦/٢٩).

النار. وقال آخرون: إنها بمعنى الشك والحسبان[1]، والمعنى أن الكفار إذا شاهدوا هذه الأهوال توقعوا الشرّ والهلاك. فيبقى الخلاف قائماً لغياب قرائن الترجيح بينهما. وافقت ترجمة حميد الله ترجمة الشيخ أبي بكر حمزة، حيث لم يركزا على دلالة الظن في هذه الآية، والأمر ذاته بالنسبة للشيادمي، فترجم ثلاثتهم المعنى الإجمالي[2] غير آبهين بتحديد دلالة الظن بدقة.

١٠. ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ [القيامة: ٢٨].

اختلف المفسرون في معنى الظن في هذه الآية، فذهب أكثر المفسرين إلى أن الظن هنا لليقين[3]، فالمحتضر يوقن أن الذي نزل به هو فراق الدنيا، ولهذا ترجم حميد الله دلالة اليقين للفظ الظن في هذه الآية بـ «être convaincu»[4] بمعنى أيقن، فوافق بذلك جمهور المفسرين، أمّا الشيادمي فترجم المعنى العام للآية دون تحديده لدلالة الظنّ، واكتفى باستعمال الفعل «sentir»[5] أي أحسّ، وذلك مراعاة لسياق الآية، والغريب أن الشيخ أبا بكر حمزة لم يُغير استعماله للفعل «penser»[6] لدرجة تمكننا من القول أن المترجم لا يعطي أهمية كبيرة لكون لفظ «ظنّ» من الأضداد، مع أنه أشار إلى ذلك في تعليقه على الموضع الأول في سورة البقرة، لكنّه لم يلتزم باستقصاء دلالة الظنّ باختلاف سياق الآيات، وإن كان بعض من المفسرين لم يؤكد صراحة على معنى اليقين، بل فسّر الظنّ بلفظه[7].

(١) يُنظر: الكشاف (١٩٢/٤). التفسير الميسر (ص٥٧٨).
(٢) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٢٧٧/٥). ترجمة الشيادمي (٥٧٨/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٦٨٠).
(٣) يُنظر: جامع البيان (٣١٦/٢٤). المحرر الوجيز (٤٥٠/٥). مفاتيح الغيب (٢٣١/٣٠). تفسير القرآن العظيم (٣٤٧/٨). التحرير والتنوير (١٩٢/٣٠).
(٤) يُنظر: ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٦٨٠).
(٥) يُنظر: ترجمة الشيادمي (٥٧٨/١).
(٦) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٢٧٧/٥).
(٧) يُنظر: الكشاف (٢٣١/٤). البحر المحيط في التفسير (٢٩٦/١٠).

١١. ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ [المطففين: ٤].

استعمل الثلاثة لفظ «penser»(١) للدلالة على أن الظنّ هنا على بابه موافقين للمفسرين في ذلك(٢)، وقول آخر بأنّ الظن بمعنى اليقين(٣)؛ أي ألا يعلم هؤلاء المطففون أنهم مبعوثون؟.

خامساً: ورود الظنّ على بابه بمعنى الشك:

١. ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

إجماع من المفسرين على أن الظن هنا بمعنى الشك(٤)؛ «أي تغليب أحد الجائزين»، ولهذا استعمل المترجمون جميعاً الفعل «penser»(٥) بمعنى اعتقد وخمن لتقريب معنى الشك للفظ ظن في هذه الآية، فوافقوا جمهور المفسرين في ذلك.

٢. ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

معنى الظن في هذه الآية، والذي قال به المفسرون جميعاً هو الشك(٦) والريب، فسياق الآية سياق ذم للمنافقين الشاكين في وعد الله بالنصر على الأعداء. فاستعمل الشيخ أبو بكر حمزة الفعل «penser»(٧) للدلالة على معنى الشك للفظ ظن في هذه الآية، وتابعه حميد الله في ذلك، غير أن الشيخ الشيادمي استعمل الفعل «proférer»(٨) بمعنى تلفظ وتقول، فقد ركز على سياق الآية ولم يركز على ترجمة دلالة الظن في هذه الآية.

---

(١) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٣٣٧/٥). ترجمة الشيادمي (٥٨٧/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٧٠١).
(٢) يُنظر: جامع البيان (٣١٦/٢٤). المحرر الوجيز (٤٥٠/٥). معالم التنزيل (٤٢٥/٤). تفسير القرآن العظيم (٣٥٧/٨). روح المعاني (٢٨٩/١٥). التحرير والتنوير (٢٢٤/٣٠). التفسير الميسر (ص٥٨٩).
(٣) يُنظر: المحرر الوجيز (٤٥٠/٥). البحر المحيط في التفسير (٤٢٧/١٠). تفسير القرآن العظيم (٣٥٧/٨).
(٤) يُنظر: جامع البيان (٥٨٥/٥). المحرر الوجيز (٣٠٩/١). مفاتيح الغيب (١١٥/٣). البحر المحيط في التفسير (٤٧١/٢). تفسير القرآن العظيم (٦٢٩/١). روح المعاني (٥٣٦/١). التفسير الميسر (ص٣٦).
(٥) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٢٣٧/١). ترجمة الشيادمي (٣٦/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٤٥).
(٦) يُنظر: جامع البيان (٣٢٨/٧). الكشاف (٤٥٥/١). معالم التنزيل (٢٨٦/١). تفسير القرآن العظيم (١٤٥/٢). روح المعاني (٥٣٦/١). التحرير والتنوير (١٣٤/٢). التفسير الميسر (ص٧٠).
(٧) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٤٢٥/١). ترجمة مجمع الملك فهد (٨٠/٢).
(٨) يُنظر: الشيادمي (٧٠/١).

٣. ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النساء: ١٥٧].

أجمع المفسرون على أن الظن هنا على بابه أي الشك[١]، والحديث في الآية كان على الذين اختلفوا في قتل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فشُبّه لهم، فبقوا مترددين شاكّين، ليس لهم سبيل إلى اليقين في ذلك. فاختار المترجمون الثلاثة استعمال لفظ «conjecture»[٢] أو أحد مشتقاته للدلالة على أن الظن هنا على بابه «أي الشك».

٤. ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

قال الجمهور: الظن هنا بمعنى الشك[٣]، فهو مجرد تخرصات من الكفار لا دليل عليها. ولهذا استعمل المترجمون لفظ «conjecture» أو أحد مشتقاته للدلالة على أن الظن هنا على بابه «أي الشك»[٤].

٥. ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

الظن هنا أيضاً للشك والحسبان[٥] كما ذهب إليه جمهور المفسرين، فسياق هذه الآية يماثل سياق سابقتها. ولهذا استعمل المترجمون اللفظ ذاته للآية السابقة[٦].

---

(١) يُنظر: جامع البيان (٣٦٧/٩). الكشاف (٢٦١/١). المحرر الوجيز (٣٧٣/٢). مفاتيح الغيب (١٠٤/١٣). البحر المحيط في التفسير (١٢٧/٤). معالم التنزيل (٣٩٦/١). تفسير القرآن العظيم (٤٤٩/٢). روح المعاني (١٨٧/٣). التحرير والتنوير (٢٢/٦). التفسير الميسر (ص١٠٣).

(٢) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٥٧١/١). ترجمة الشيادي (١٠٣/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص١١٦).

(٣) يُنظر: جامع البيان (١٦٤/١٢). الكشاف (٥٧/٢). المحرر الوجيز (١٣٢/٢). مفاتيح الغيب (١٧٢/١٣). البحر المحيط في التفسير (٦٢٩/٤). معالم التنزيل (١٠٣/٢). تفسير القرآن العظيم (٣٢٢/٣). روح المعاني (٢٥٧/٤). التحرير والتنوير (٢٦/٧). التفسير الميسر (ص١٤١).

(٤) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٧١/٢). ترجمة الشيادي (١٤٢/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص١٥٩).

(٥) يُنظر: جامع البيان (٢١١/١٢). الكشاف (٧٣/٢). المحرر الوجيز (٣٥٩/٢). البحر المحيط في التفسير (٢١٨/٤). معالم التنزيل (١١٦/٢). تفسير القرآن العظيم (٣٥٨/٣). روح المعاني (٢٩٥/٤). التحرير والتنوير (١٥٠/٨). التفسير الميسر (ص١٤٨).

(٦) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٩٢/٢). ترجمة الشيادي (١٤٨/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص١٦٥).

٦. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ﴾ [يونس: ٢٤].

الجمهور على أن الظن هنا على بابه، أي الشك(١)، ولهذا فقد استعمل الشيخ أبو بكر حمزة الفعل «imaginer»(٢) بمعنى تخيل وحسب، واستعمل حميد الله الفعل «penser» لتقريب دلالة الشك. وتابعه الشيادمي في ذلك(٣).

٧. ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

يرى جمهور المفسرين الظن هنا للشك(٤)؛ لأن الكفار لم يتبعوا الحق، فيكونوا على يقين من أمرهم، وبينة من ربهم، وإنما اتبعوا ظنونهم وتخرصاتهم، فاستعمل الثلاثة لفظ «conjecture»(٥) لتقريب دلالة الشك.

٨. ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [يونس: ٦٠].

أجمع المفسرون على أن الظن بمعنى الشك(٦)، إذ إنّ سياق الآية في توعد الكفار وتهديدهم. فسعى المترجمون لترجمة صيغة التوعد في هذه الآية، فترجم الشيخ

---

(١) يُنظر: جامع البيان (٥٦/١٥). الكشاف (٣٢٥/٢). المحرر الوجيز (١١٤/٣). مفاتيح الغيب (٧٧/١٧). البحر المحيط في التفسير (٣٨/٦). معالم التنزيل (٢٩٥/٢). روح المعاني (٩٦/٦). التحرير والتنوير (١٦٥/١١). التفسير الميسر (ص٢١١).

(٢) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٤٧٠/٢).

(٣) يُنظر: ترجمة الشيادمي (٢١١/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٢٣٣).

(٤) يُنظر: جامع البيان (٨٩/١٥). الكشاف (٣٣٠/٢). المحرر الوجيز (١١٩/٢). مفاتيح الغيب (٩٧/١٧). البحر المحيط في التفسير (٣٨/٦). معالم التنزيل (٢٩٩/٢). روح المعاني (١٠٣/٦). التحرير والتنوير (١٦٥/١١). التفسير الميسر (ص٢١٣).

(٥) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٤٧٨/٢). ترجمة الشيادمي (٢١٣/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٢٣٥).

(٦) يُنظر: جامع البيان (١٤٣/١٥). الكشاف (٣٣٧/٢). المحرر الوجيز (١٢٧/٣). مفاتيح الغيب (١٢٦/١٧). البحر المحيط في التفسير (٧٨/٦). معالم التنزيل (٣٠٢/٢). روح المعاني (١٣٥/٦). التحرير والتنوير (٢١٠/١١). التفسير الميسر (ص٢١٥).

أبو بكر حمزة بـ «Qu'imaginent»[1] أما الشيادي بـ «Que diront»[2]، وحميد الله بـ «Que pensent»[3].

٩. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس: ٦٦].

أجمع المفسرون على أن الظن بمعنى الشك[4]، والآية تشير إلى الكفار الذين يدعون من دون الله شركاء، لا يعلمون عنهم شيئاً، فاستعمل الثلاثة لفظ «conjecture»[5] لتقريب دلالة الشك.

١٠. ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧].

الجمهور على أنّ الظنّ هنا للشك[6]، والآية تتحدث عن اتهام الكفار لنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأتباعه بالكذب، وهذا الاتهام منشأه ظنون فاسدة. فتابع حميد الله الشيخ أبا بكر حمزة في استعمال الفعل «penser»[7] لإفادة دلالة الشك للفظ الظن في هذه الآية، ولم يراع الشيخ الشيادي[8] تحديد دلالة الظن، بل فسر المعنى الإجمالي للآية فاستعمل عبارة «...vous n'êtes pour nous que»؛ أي لستم بالنسبة لنا سوى... محاولاً تقريب معنى الآية.

---

(١) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٤٨٤/٢).

(٢) يُنظر: ترجمة الشيادي (٢١٥/١).

(٣) يُنظر: ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٢٣٨).

(٤) يُنظر: جامع البيان (١٤٣/١٥). مفاتيح الغيب (١٤٧/١٧). البحر المحيط في التفسير (١٨٤/٦). معالم التنزيل (٣٠٥/٢). تفسير القرآن العظيم (٢٨٢/٤). روح المعاني (١٣٥/٦). التحرير والتنوير (٢٢٦/١١). التفسير الميسر (ص٢١٥).

(٥) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٤٨٨/٢). ترجمة الشيادي (٢١٦/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٢٣٩).

(٦) يُنظر: جامع البيان (٢٩٧/١٥). الكشاف (٣٦٨/٢). تفسير القرآن العظيم (٣١٦/٤). روح المعاني (٢٧٤/٦). التفسير الميسر (ص٢٢٤).

(٧) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٥٣٠/٢). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٢٤٨).

(٨) يُنظر: ترجمة الشيادي (٢٢٤/١).

١١. ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١].

جمهور علماء التفسير على أن الظن هنا على بابه، أي الشك(١)، فاستعمل أبو بكر حمزة الفعل «penser»، وتابعه حميد الله في ذلك(٢)، واستعمل الشيادمي الفعل «estimer»(٣) الدال على التقدير والترجيح، فكلهم يحاول تقريب دلالة الظن على الشك والحسبان.

١٢. ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٣٥].

ذهب الجمهور في هذه الآية إلى أن معنى الظن هو الشك(٤)، إذ الحديث في الآية عن صاحب الجنة الذي شكّ - لشركه وطغيانه - في احتمال فناء جنته لما رأى من حسنها. فاستعمل الثلاثة الفعل «penser»(٥).

١٣. ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [الكهف: ٣٦].

ذهب الجمهور في هذه الآية إلى أن معنى الظن هنا أيضاً هو الشك(٦)، فصاحب الجنة انتقل به الغرور من الشك في فناء جنته إلى الشك في البعث والنشور، فلم يغيّر الشيخ أبو بكر حمزة وحميد الله الفعل «penser»(٧)، في حين غير المترجم الشيادمي(٨) الفعل إلى «croire» الذي يفيد الإيمان والتصديق، فهو أقرب إلى سياق هذه الآية «البعث والنشور».

---

(١) يُنظر: جامع البيان (٥٦٨/١٧). الكشاف (٦٥٢/٤). تفسير القرآن العظيم (١٢٤/٥). التحرير والتنوير (٢٢٦/١٥). التفسير الميسر (ص٢٩٢).

(٢) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (١٣٤/٣). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٣٢٦).

(٣) يُنظر: ترجمة الشيادمي (٢٩٢/١).

(٤) يُنظر: جامع البيان (٢٢/١٨). الكشاف (٧٢٢/٤). المحرر الوجيز (٣٢٠/١٥). البحر المحيط في التفسير (١٧٦/٧). تفسير القرآن العظيم (١٥٧/٥). روح المعاني (٢٦٢/٨). التفسير الميسر (ص٢٩٢).

(٥) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (١٧٢/٣). ترجمة الشيادمي (٢٩٨/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٣٣٢).

(٦) يُنظر: جامع البيان (٤٨/١٨). الكشاف (٧٢٢/٤). المحرر الوجيز (٥٠١/٤). البحر المحيط في التفسير (٤٦١/٧). تفسير القرآن العظيم (١٥٧/٥). روح المعاني (٢٦٢/٨). التحرير والتنوير (٣٤٦/١٥). التفسير الميسر (ص٢٩٨).

(٧) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (١٣٤/٣). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٣٣٢).

(٨) يُنظر: ترجمة الشيادمي (٢٩٨/١).

١٤. ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

اختلف المترجمون في ترجمة معنى الظنّ في هذه الآية فاستعمل الشيخ الشيادمي وحميد الله الفعل «penser»(١) للدلالة على أن الظن هنا على بابه، وخالفهما الشيخ أبو بكر حمزة(٢)، فاستعمل الفعل «persuader» بمعنى اقتنع الذي تقترب دلالته من اليقين. وخلافهم هذا منشأه عن الخلاف في معنى ظنّ يونس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فالجمهور على أن الظن هنا على بابه بمعنى الحسبان(٣) بمعنى أنّ خروج يونس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من قومه، دون إذن من ربه، كان اجتهاداً منه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ظانّاً بذلك أن الله لا يضيق عليه في تحتيم الإقامة لدعوة قومه، وقد يفهم من الآية اليقين لاقتران الظنّ بـ «أنّ» المؤكدة، مما يفسّر اختيار المترجم أبي بكر حمزة.

١٥. ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥].

جمهور المفسرين على أن هذه الآية في المنافقين الذين ارتابوا في وعد الله لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة، وعلى هذا حُمل الظن على معنى الشك(٤) فاستعمل الثلاثة الفعل «penser»(٥).

١٦. ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾ [النور: ١٢].

الآية في سياق الحديث عن قصة الإفك التي اتّهم فيها المنافقون أم المؤمنين - زوراً وبهتاناً - دون دليل، وانتشر هذا الخبر بين المسلمين، فكان له وقع في نفوس البعض،

(١) يُنظر: ترجمة الشيادمي (٣٢٩/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٣٧٧).
(٢) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٣٨٤/٣).
(٣) يُنظر: جامع البيان (٥١٤/١٨). المحرر الوجيز (٩٦/٤). البحر المحيط في التفسير (٤٩٢/٧). تفسير القرآن العظيم (٣٦٦/٥). روح المعاني (٨٠/٩). التحرير والتنوير (١٣١/١٧). التفسير الميسر (ص٣٢٩).
(٤) يُنظر: جامع البيان (٥٨٠/١٨). المحرر الوجيز (١١١/٤). مفاتيح الغيب (١٦/٢٣). البحر المحيط في التفسير (٤٩٢/٧). روح المعاني (١٢١/٩). التحرير والتنوير (٢١٩/١٧). التفسير الميسر (ص٣٣٣).
(٥) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٤٠٤/٣). ترجمة الشيادمي (٣٩٣/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٣٧٧).

وظنّوا ظنوناً فاسدة بأم المؤمنين، فعاتبهم الله عَزَّوَجَلَّ على هذا الظن الفاسد، إذ كان واجباً عليهم أن يحسنوا الظن بأمهم، وعلى هذا حُمل الظن هنا بمعنى الشك(١).

فاستعمل كل واحد من المترجمين عبارات متقاربة للدلالة على إحسان الظن، فاستعمل أبو بكر حمزة عبارة «bonnes pensées»(٢) واستعمل الشيادمي «meilleure opinion»(٣)، واستعمل حميد الله عبارة «conjecturer favorablement»(٤) وكلها تفيد تقريب دلالة الظن على بابه.

١٧. ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٩].

الظن هنا على بابه، أي الشك(٥) أي أنهم توهموا وحسبوا أنهم لا يُرجعون على الله، فاستعمل الثلاثة الفعل «penser»(٦) للدلالة على ذلك.

١٨. ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠].

أجمع المفسرون على أن الظن هنا بمعنى الشك(٧)، والله في الآية يخبر عن إبليس الذي أقسم على نفسه بأن يُغوي ذرية ابن آدم، فدعاهم فاستجابوا له، فأصاب ظنّه وصدق عليهم. فاستعمل الشيخ أبو بكر حمزة كلمة «intention»(٨) بمعنى النوايا والتقديرات، فركز على المعنى الإجمالي للآية، واستعمل حميد الله كلمة

(١) يُنظر: جامع البيان (١٢٨/١٩). مفاتيح الغيب (١٨٧/٢٣). البحر المحيط في التفسير (٢١/٨). تفسير القرآن العظيم (٢٦/٦). روح المعاني (٣١٤/٩). التحرير والتنوير (١٧٤/١٨). التفسير الميسر (ص٣٥١).

(٢) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٤٩٧/٣).

(٣) يُنظر: ترجمة الشيادمي (٣٥١/١).

(٤) يُنظر: ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٣٩٧).

(٥) يُنظر: جامع البيان (٥٨٢/١٩). المحرر الوجيز (٢١١/٤). مفاتيح الغيب (٢٥٤/٢٣). تفسير القرآن العظيم (٢٣٨/٦). روح المعاني (٢٩١/١٠). التحرير والتنوير (١٢٣/٢٠). التفسير الميسر (ص٣٩٠).

(٦) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٦٧٨/٣). ترجمة الشيادمي (٣٩٠/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٤٤٢).

(٧) يُنظر: جامع البيان (٣٩٢/٢٠). المحرر الوجيز (٣٧٣/٤). مفاتيح الغيب (١٤٧/٢٥). البحر المحيط في التفسير (٥٣٩/٤). معالم التنزيل (٤٨٠/٣). تفسير القرآن العظيم (٥١٣/٦). التحرير والتنوير (١٨٢/٢٢). التفسير الميسر (ص٤٣٠).

(٨) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (١٣٧/٤).

«conjectures»[1] الموافقة لدلالة الظن في هذه الآية، أما الشيادمي فقد استعمل الفعل «miser»[2] بمعنى قدر، وهذا باعتبار السياق العام للآية.

١٩. ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٧].

أجمع المفسرون على أن الظن هنا على بابه، أي الشك[3]، وسياق الآية هو حديث إبراهيم مع قومه، وإنكاره عليهم عبادة الأصنام، فاستعمل الثلاثة الفعل «penser»[4] لإفادة دلالة الشك.

٢٠. ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

يرى المفسرون أن الظن هنا على بابه أي الشك[5] «مع تغليب أحد الجائزين»، فالكفار يحسبون أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق السماوات والأرض باطلاً دون حكمة، فاستعمل الثلاثة الفعل «penser»[6] لإفادة دلالة الشك.

٢١. ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٧].

قال فريق - وهم الأكثر - أن الظن هنا على بابه، أي الشك[7] «مع تغليب أحد الجائزين»، ففرعون يشك في كذب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في ما يخبر. وقال البعض هو يقين[8]، ففرعون متيقن بعقيدته الفاسدة بأن لا رب سواه، وأيضاً بقرينة

---

(١) يُنظر: ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٤٣٠).
(٢) يُنظر: ترجمة الشيادي (٤٨٩/١).
(٣) يُنظر: جامع البيان (٦٣/٢١). الكشاف (٣٤٤/٣). المحرر الوجيز (٢٥٦/٤). مفاتيح الغيب (١٩٩/٢٥). تفسير القرآن العظيم (٤٧٨/٧). روح المعاني (٩٧/١٢). التحرير والتنوير (١٣٩/٢٣). التفسير الميسر (ص٤٤٩).
(٤) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٢٣٠/٤). ترجمة الشيادي (٤٤٩/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٥١١).
(٥) يُنظر: جامع البيان (١٩٠/٢١). الكشاف (٣٧٢/٣). المحرر الوجيز (٥٠٢/٢). البحر المحيط في التفسير (١٥٢/٩). تفسير القرآن العظيم (٢٣/٧). روح المعاني (١٨٠/١٢). التحرير والتنوير (٢٤٨/٢٣). التفسير الميسر (ص٤٥٥).
(٦) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٢٥٩/٤). ترجمة الشيادي (٤٥٥/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٥٢٥).
(٧) يُنظر: جامع البيان (٣٨٧/٢١). مفاتيح الغيب (١١٨/٢٧). البحر المحيط في التفسير (٢٥٩/٩). تفسير القرآن العظيم (١٤٤/٧). روح المعاني (٣٢٣/١٢). التحرير والتنوير (١٤٧/٢٤). التفسير الميسر (ص٤٧١).
(٨) يُنظر: مفاتيح الغيب (١١٨/٢٧). التحرير والتنوير (١٤٧/٢٤).

دخول لام التوكيد، فاستعمل الشيادمي الفعل «soupçonner»[1]، بمعنى ارتاب، واستعمل حميد الله الفعل «penser»[2]، لكن الشيخ أبا بكر حمزة استعمل عبارة «tenir pour»[3] بمعنى يعتبر أنه وهذا تركيز على السياق أكثر منه على دلالة الظن في هذه الآية.

٢٢. ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢].

أجمع المفسرون على أن الظن هنا على بابه، أي الشك[4] «مع تغليب أحد الجائزين»، وسياق الآية هو الحديث عن الكفار وتوبيخهم عن اقترافهم للمعاصي والآثام. فاستعمل الثلاثة الفعل «penser»[5] للدلالة الظن على بابه.

٢٣. ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣].

قال المفسرون جميعاً أن الظن هنا للشك والحسبان[6]، فظنّ الكافرين وحسبانهم الفاسد أن الله لا يعلم ما هم عليه، مما زادهم ظلماً وكفراً، هو الذي أرداهم في النار. فاستعمل كل من الشيخ أبي بكر حمزة وحميد الله الفعل «conjecturer» والاسم المشتق منه «conjecture»[7] واستعمل الشيادمي الفعل «penser» والاسم المشتق منه «pensée»[8] وكلها للدلالة على الشك.

---

(١) يُنظر: ترجمة الشيادمي (٤٧١/١).

(٢) يُنظر: ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٥٣٩).

(٣) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٣١٩/٤).

(٤) يُنظر: جامع البيان (٤٥٥/٢١). الكشاف (٤٥١/٣). المحرر الوجيز (١١/٥). البحر المحيط في التفسير (٢٩٩/٩). تفسير القرآن العظيم (١٧٢/٧). روح المعاني (٣٦٩/١٢). التحرير والتنوير (٢٧١/٢٤). التفسير الميسر (ص٩٧٩).

(٥) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٣٤٨/٤). ترجمة الشيادمي (٤٧٩/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٥٤٧).

(٦) يُنظر: جامع البيان (٤٥٦/٢١). الكشاف (٤٥١/١). المحرر الوجيز (١٢/٥). مفاتيح الغيب (١١٨/٢٧). البحر المحيط في التفسير (٢٩٢/٩). معالم التنزيل (١٠٠/٤). تفسير القرآن العظيم (١٨٧/٧). روح المعاني (٣٦٩/١٢). التحرير والتنوير (٢٧١/٢٤). التفسير الميسر (ص٤٧٩).

(٧) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٣٤٨/٤). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٥٤٧).

(٨) يُنظر: ترجمة الشيادمي (٤٧٩/١).

٢٤. ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠].

الجمهور على أن الظن هنا على بابه، أي الشك[١] «مع تغليب أحد الجائزين»، والآية تُخبر عن الكفّار وحالهم حين يوسع الله عليهم، فبدل أن يشكروه، تمادوا في الطغيان، لدرجة أنهم أنكروا الساعة والحساب. فاستعمل الثلاثة الفعل «penser»[٢] للدلالة على الشك.

٢٥. ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

الجمهور على أن الظن هنا على بابه، أي الشك[٣] «مع تغليب أحد الجائزين»، فأخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن الدهريين الذين يجحدون البعث، ويحسبون أن الحياة هي حياة الدنيا التي هم فيها، ولا حياة غيرها، فليس لهم أدنى علم عن ذلك، ولا يسيرون في هذا القول إلا عن ظن وتوهم وخيال. فاستعمل الثلاثة الفعل «conjecturer»[٤] للدلالة على الشك.

٢٦. ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢].

الجمهور على أن الظنّ على بابه، أي الشك[٥] «مع تغليب أحد الجائزين»، فاستعمل أبو بكر حمزة وحميد الله الفعل «conjecturer»[٦]، أما الشيادمي فركز على المعنى الإجمالي كعادته دون دلالة الظن هنا، فاستعمل عبارة «idée assez vague»[٧] أي فكرة مبهمة.

---

(١) يُنظر: جامع البيان (٤٩١/٢١). الكشاف (٤٥٧/٣). المحرر الوجيز (٢٢/٥). معالم التنزيل (١٠٥/٤). تفسير القرآن العظيم (١٨٧/٧). روح المعاني (٥/٣). التحرير والتنوير (٨/٢٥). التفسير الميسر (ص٤٨٢).

(٢) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٣٥٧/٤). ترجمة الشيادمي (٤٨٢/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٥٥١).

(٣) يُنظر: جامع البيان (٨٠/٢٢). الكشاف (٤١٢/٣). البحر المحيط في التفسير (٣١٦/٩). معالم التنزيل (١٤٤/٤). تفسير القرآن العظيم (٢٦٩/٧). روح المعاني (١٥٢/١٣). التحرير والتنوير (٣٦٢/٢٥). التفسير الميسر (ص٥٠١).

(٤) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٤٣٥/٤). ترجمة الشيادمي (٥٠١/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٥٧٣).

(٥) يُنظر: جامع البيان (٢١٣/٢٢). الكشاف (٥٤٢/٣). مفاتيح الغيب (٧٤/٢٢). معالم التنزيل (١٧٢/٤). تفسير القرآن العظيم (٣٢٩/٧). روح المعاني (٢٤٩/١٣). التفسير الميسر (ص٥١١).

(٦) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٤٣٨/٤). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٥٧٤).

(٧) يُنظر: ترجمة الشيادمي (٥٠١/١).

٢٧. ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦].

معنى الظنّ هنا هو الشك،(١) والآية في سياق الحديث عن الكفار والمنافقين الذين يظنّون سوءاً بالمؤمنين، أنّ الله لن ينصر رسوله، ولن يظهر دينه. فاستعمل أبو بكر حمزة وحميد الله الفعل «penser»(٢) للدلالة على الشك، واستعمل الشيادي عبارة «mauvaises intentions»(٣) للدلالة على ظنونهم السيئة.

٢٨. ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢].

جاء الظن هنا على بابه، أي الشك(٤) «مع تغليب أحد الجائزين»، فالحديث في الآية عن الكفار والمنافقين، الذين ظنّوا سوءاً من عند أنفسهم أن المؤمنين سيهلكون ويُبادون، وزين لهم الشيطان ذلك الظن، فظنّوا بالله سوءاً، وبأنه مخلف وعده. فاستعمل الشيخ أبو بكر حمزة الفعل «penser»، وتابعه على ذلك حميد الله(٥)، واختار الشيادي الفعل «croire»(٦) لتأكيد معنى الظنّ أكثر فأكثر.

٢٩. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣].

أجمع المفسرون على أن الظن هنا على بابه، أي الشك(٧) «مع تغليب أحد الجائزين»،

(١) يُنظر: جامع البيان (٢١٣/٢٢). مفاتيح الغيب (٨٩/٢٨). البحر المحيط في التفسير (٤٨٨/٨). معالم التنزيل (١٧٣/٤). تفسير القرآن العظيم (٣٣٦/٧). روح المعاني (٢٥٤/١٣). التحرير والتنوير (١٦٤/٢٦). التفسير الميسر (ص٥١٢).

(٢) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٥٨٩/٤). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٥٨٦).

(٣) يُنظر: ترجمة الشيادي (٥١١/١).

(٤) يُنظر: جامع البيان (٢١٣/٢٢). مفاتيح الغيب (٨٩/٢٨). البحر المحيط في التفسير (٤٨٨/٨). معالم التنزيل (١٧٣/٤). تفسير القرآن العظيم (٣٣٦/٧). روح المعاني (٢٥٤/١٣). التحرير والتنوير (١٦٤/٢٦). التفسير الميسر (ص٥١٢).

(٥) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٥٩٢/٤). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٥٨٧).

(٦) يُنظر: ترجمة الشيادي (٥١٢/١).

(٧) يُنظر: جامع البيان (٥٢٨/٢٢). الكشاف (٣١/٤). مفاتيح الغيب (٣٠١/٢٨). البحر المحيط في التفسير (٥١٩/٩). معالم التنزيل (٢٢١/٤). تفسير القرآن العظيم (٤٥٦/٧). روح المعاني (٥٧/١٣). التحرير والتنوير (١٠٠/٢٧). التفسير الميسر (ص٥٢٦).

وسياق الآية هو الإخبار عن الكفار الذين ينسبون البنات لله عَزَّوَجَلَّ دون حجة تصدق دعواهم. فاستعمل الثلاثة كلمة «conjecture»[1] للدلالة على الشك.

٣٠. ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

قال الجمهور أن الظن هنا على بابه، أي الشك[2]، وسياق هذه الآية يشبه سياق سابقتها. فاستعمل الثلاثة كلمة «conjecture»[3] للدلالة على الشك.

٣١. ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢].

الظن هنا على بابه، أي الشك[4] «مع تغليب أحد الجائزين»، فاستعمل أبو بكر حمزة وحميد الله الفعل «penser»[5] للدلالة على الشك في الموضعين، وغيّره الشيادمي في الموضع الثاني من هذه الآية إلى «imaginer»[6] والمعنى متقارب.

٣٢. ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الجن: ٥].

يرى الجمهور على أن الظن هنا على بابه، أي الشك[7] «مع تغليب أحد الجائزين»، فالجن لم تكن تعتقد وتحسب أن الإنس والجن يتمالؤون على الكذب على الله. فاستعمل أبو بكر حمزة الفعل «penser» وتابعه حميد الله في ذلك[8]، وخالفهما

---

(١) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٦٦٣/٤). ترجمة الشيادي (٥٢٦/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٦٠٧).

(٢) يُنظر: جامع البيان (٥٣٠/٢٢). الكشاف (٣٢/٤). مفاتيح الغيب (٣١١/٢٨). البحر المحيط في التفسير (١٩/١٠). معالم التنزيل (٢٢٩/٤). تفسير القرآن العظيم (٤٥٩/٧). روح المعاني (٥٩/١٤). التحرير والتنوير (١١٦/٢٧). التفسير الميسر (ص٥٢٧).

(٣) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٦٧١/٤). ترجمة الشيادي (٥٢٧/١). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٦٠٧).

(٤) يُنظر: جامع البيان (٢٥٩/٢٣). الكشاف (٨٠/٤). المحرر الوجيز (٢٨٥/٥). مفاتيح الغيب (٢٨٠/٢٩). معالم التنزيل (٢٨٧/٤). تفسير القرآن العظيم (٥٧/٨). روح المعاني (٢٣٤/١٤). التحرير والتنوير (٦٦/٢٨). التفسير الميسر (ص٥٤٥).

(٥) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٩٠/٥). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٦٣٣).

(٦) يُنظر: ترجمة الشيادي (٥٤٥/١).

(٧) يُنظر: جامع البيان (٦٥٤/٢٣). الكشاف (١٦٧/٤). المحرر الوجيز (٣٨١/٥). مفاتيح الغيب (١٥٥/١٥). البحر المحيط في التفسير (٢٩٥/١٠). معالم التنزيل (٣٧١/٤). تفسير القرآن العظيم (٢٣٩/٨). روح المعاني (٩٥/١٥). التحرير والتنوير (٢٢٤/٢٩). التفسير الميسر (ص٥٧٢).

(٨) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٢٤٢/٥). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٦٧١).

الشيادمي فاستعمل «persuader»[1] الذي يقترب من اليقين، فخالف جمهور المفسرين في كون الظنّ هنا على بابه بمعنى الحسبان.

٣٣. ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ [الجن: ٧].

الجمهور على أن الظن هنا على بابه، أي الشك[2] «مع تغليب أحد الجائزين»، فحسبوا أن الله لن يبعث في هذه المدة رسولاً، فاستعمل حميد الله والشيخ أبو بكر حمزة في استعمال الفعل «penser»[3]، واستعمل الشيادمي الفعل «croire»[4] لتقريب الظنّ من اليقين، وهذا قال به ابن عاشور[5] بدليل التعبير بـ«لن» المفيدة للتأكيد.

٣٤. ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤].

الجمهور على أن الظن هنا على بابه، أي الشك[6] «مع تغليب أحد الجائزين»، فقد شكّ الكافر في أنه لن يرجع إلى خالقه حيّاً للحساب. فاستعمل أبو بكر حمزة الفعل «penser»، وتابعه حميد الله في ذلك[7]، أمّا الشيادمي فاختار استعمال الفعل «croire»[8] الذي يدل على الإيمان، خاصة وأن الأمر يتعلق بملاقاة العبد لربّه.

---

(١) يُنظر: ترجمة الشيادمي (٥٧٢/١).

(٢) يُنظر: جامع البيان (٦٥٧/٢٣). الكشاف (١٦٩/٤). مفاتيح الغيب (١٥٩/٣٠). البحر المحيط في التفسير (٢٦٩/١٠). معالم التنزيل (٣٧٢/٤). تفسير القرآن العظيم (٢٣٩/٨). روح المعاني (٩٦/١٥). التفسير الميسر (ص٥٧٢).

(٣) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٢٤٢/٥). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٦٧١).

(٤) يُنظر: ترجمة الشيادمي (٥٧٢/١).

(٥) التحرير والتنوير (٢٣٣/٢٩).

(٦) يُنظر: جامع البيان (٣١٦/٢٤). الكشاف (٢٣٥/٤). البحر المحيط في التفسير (٤٣٨/١٠). معالم التنزيل (٤٥٠/٤). تفسير القرآن العظيم (٣٥٧/٨). روح المعاني (٢٨٩/١٥). التحرير والتنوير (٢٢٤/٣٠). التفسير الميسر (ص٥٨٩).

(٧) يُنظر: ترجمة أبو بكر حمزة (٣٤٥/٥). ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد) (ص٧٠٣).

(٨) يُنظر: ترجمة الشيادمي (٥٨٩/١).

الخاتمة

بعد تتبع مادة «ظنّ» في القرآن الكريم، وعرض الترجمات الثلاث لها: ترجمة الدكتور حميد الله بمجمع الملك فهد، ترجمة الشيخ أبي بكر حمزة، ترجمة الشيادمي، ثم تحليلها ومناقشة صوابها من عدمه، نلاحظ جليّاً أهمية ظاهرة الأضداد في ترجمة معاني القرآن الكريم، ورأينا كيف كانت سبب اختلاف بين الترجمات ليصل أحياناً إلى كون اختيار أحد المترجمين يناقض تماماً اختيار الآخر، والصواب واحد، فيكون أحدهما مخطئاً ضرورة.

ويمكن أن نلخص أهمّ نتائج البحث في النقاط الآتية:

- لفظة «الظن» من أكثر ألفاظ الأضداد وروداً في القرآن الكريم، فقد وردت سبعين مرة في ثمان وخمسين آية، وتنوعت معانيها حسب سياقها، فكانت دالة على اليقين في إحدى عشرة آية، وموضع واحد للكذب وآخر للتهمة، واختلف المفسّرون في إحدى عشرة آية، وما تبقّى أي أربع وثلاثين آية فهو للظن على بابه أي الشك.
- ترجمة معاني القرآن ليست قرآناً، ولا يقطع بأنها أصابت كل المعاني التي في القرآن الكريم؛ لأن ذلك غير متيسر، لكنها ترجمة للمعنى الذي يفهمه المترجم من الآيات بالاستعانة بالتفاسير، ولهذا يرجح المترجمون أحد معاني الظنّ في الآية، ويختارون المقابل المناسب لتقريب دلالته.
- يُركز المترجم أحياناً على المعنى العام للآية، ولا يحدد دلالة الظن بدقة بل تذوب دلالته في المعنى العام، وبخاصة في ترجمة الشيخ الشيادمي.
- كان أساسَ ترجمة معاني القرآن نصه الكريم وكتب التفسير والمعاجم اللغوية، ومع تفطنّ المترجمين إلى أن لفظة «ظنّ» من الأضداد غير أن ترجماتهم لم تكن دقيقة كلَّ الدقة؛ لأن اعتمادهم - في الغالب - على المعاني الظاهرة لألفاظ القرآن الكريم، وما في المعاجم من دلالات لا تنطبق - أحياناً - على المعنى القرآني المقصود، وخاصة إذا تعلق الأمر بالمعنى ونقيضه، فالظنّ يأتي بمعنى الشك واليقين، وخطأ المترجم في تحديد دلالة الظنّ يؤدي إلى عكس المعنى تماماً فيقع اللبس والإبهام.

- اقتصر المترجمون على معنيي الشك واليقين للفظة الظنّ في القرآن الكريم، ولم يتطرقوا إلى معنى الكذب والتهمة، وذلك لقلة مواضعها واختلاف المفسرين فيهما.
- تظهر خطورة هذا البحث وأهمّيته البالغة في الكشف عن أخطاء بعض الترجمات للكلمات الأضداد، فلفظ ظنّ - كما رأينا - يدلّ على اليقين في أحد عشر (١١) موضعاً، ولقد أخطأت بعض الترجمات هذا المعنى في تسعة مواضع مقطوع فيها باليقين، فضلاً عن المواضع المختلف فيها، ونلخّص ذلك في الجدول كالآتي:

ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد)	ترجمة أبو بكر حمزة	ترجمة محمد الشيادمي
﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]		
أحسن ترجمتها وحده.	فيها قصور.	فيها قصور.
﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧١]		
أغفل معنى اليقين الذي عليه جمهور المفسرين.	أحسن ترجمتها.	أحسن ترجمتها.
﴿وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨]		
استعمل الفعل «penser» وأغفل معنى اليقين الذي عليه جمهور المفسرين.	استعمل الفعل «penser» وأغفل معنى اليقين الذي عليه جمهور المفسرين.	أحسن ترجمتها وحده.
﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ [يوسف: ٤٢]		
لم يراع دلالة اليقين.	أحسن ترجمتها.	لم يراع دلالة اليقين.
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ [يوسف: ١١٠]		
لقد أغفل المترجمون الثلاثة القول الآخر في تأويل الظنّ هنا بمعنى اليقين.		
﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]		
أحسن ترجمتها.	أحسن ترجمتها.	لم يحسن ترجمتها لعدم تفريقه بين ظنّ موسى الصادق وظنّ فرعون الكاذب.

ترجمة حميد الله (مجمع الملك فهد)	ترجمة أبو بكر حمزة	ترجمة محمد الشيادمي
﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣]		
أحسن ترجمتها.	راعى السياق العام للآية فاستعمل الفعل «craindre» بمعنى أشفق وخشي.	أحسن ترجمتها.
﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]		
لم يراع دلالة اليقين.	لم يراع دلالة اليقين.	لم يراع دلالة اليقين.
﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [فصلت: ٤٨]		
أحسن ترجمتها.	استعمل الفعل «penser» فلم يراع دلالة اليقين فيها.	أحسن ترجمتها.
﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠]		
أحسن ترجمتها.	لم يغير - كعادته - الفعل «penser» وحاول تقويته بالحال «bien»، مع أن المقام يدل على اليقين قطعاً.	أحسن ترجمتها.
﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ [الجن: ١٢]		
ترجم الثلاثة الظن هنا بالفعل «penser» مع أنّه لليقين.	ترجم الثلاثة الظن هنا بالفعل «penser» مع أنّه لليقين.	ترجم الثلاثة الظن هنا بالفعل «penser» مع أنّه لليقين.
﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ [القيامة: ٢٨]		
أحسن ترجمتها باليقين.	راعى السياق العام فاستعمل «أحس».	أخطأ ترجمتها فاستعمل الشك «وهو قول غريب».

التوصيات:

- مراجعة الترجمات المذكورة، وتصحيح الأخطاء الواردة فيها، لاسيما ترجمة معنى اليقين، فقد أخطأت الترجمات الثلاث هذا المعنى في تسعة مواضع مقطوع فيها باليقين، فضلاً عن المواضع المختلف فيها.
- العناية بباقي ألفاظ الأضداد الواردة في القرآن الكريم، واستطلاع كيفية تعامل المترجمين معها لتدارك النقائص في الترجمة.
- ضرورة اطلاع مترجمي معاني كتاب الله على كتب «الوجوه والنظائر» التي تحدد معاني الألفاظ بدقة، وإضافة تعليقات بالمعاني الأخرى للألفاظ الأضداد في الهوامش.

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**: برواية الإمام حفص عن الإمام عاصم.
- **الأضداد في كلام العرب**: أبو الطيب اللغوي، تحقيق: عزة حسين، الطبعة الثانية (١٩٩٦م).
- **الأضداد**: أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
- **الأضداد**: أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، نشر أوغست هفنر، المكتبة الكاثوليكية، بيروت.
- **الأضداد**: عبد الملك بن قريب الأصمعي، نشر أوغست هفنر، المكتبة الكاثوليكية، بيروت.
- **الأضداد**: محمد بن المستنير الملقب بقطرب، تحقيق: حنا حداد، دار العلوم، الرياض، الطبعة الأولى.
- **البحر المحيط في التفسير**: أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت (٢٠٠٥م).
- **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرَّة**: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- **تاج العروس**: الزبيدي، دار الفكر، بيروت (١٩٩٤م).
- **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس (١٩٨٤م).
- **التصاريف**: يحي بن سلام، تحقيق: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع (١٩٨٠م).
- **تفسير القرآن العظيم**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية (١٩٩٩م).
- **التفسير الميسر**: نخبة من العلماء، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الثانية (٢٠٠٩م).
- **جامع البيان في تأويل القرآن**: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (٢٠٠٠م).

- **ديوان دريد بن الصمة**: تحقيق: عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: شهاب الدين محمود الآلوسي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى (١٩٩٤م).
- **الصاحبي في فقه اللغة**: ابن فارس، تحقيق: عمار فاروق الطباع، مكتبة دار المعارف، بيروت.
- **علم الدلالة**: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثالثة (١٩٩٢م).
- **علم اللغة بين القديم والحديث**: د. عبد الغفار حامد هلال، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- **قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**: الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة (١٩٨٠م).
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ).
- **ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد**: أبو العباس المبرد، تحقيق: د. أحمد محمد سليمان أبو رعد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سلسلة الرسائل التراثية (١٩٨٨م) (ص٥٣، ٥٤).
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).
- **معالم التنزيل وأنوار التأويل**: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٣م).
- **مفاتيح الغيب**: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الفكر، الطبعة الثالثة (١٩٨٥م).
- **المفردات في غريب القرآن**: الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، الدار الشامية، دمشق (١٤١٢هـ).

- **مقاييس اللغة**: ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الثالثة (١٩٨١م).
- **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، دار مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٨٤م).
- **الوجوه والنظائر في القرآن العظيم**: مقاتل بن سليمان، تحقيق: حاتم الضامن، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الطبعة الأولى.
- **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**: سلوى محمد العوّا، دار الشروق.
- **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**: هارون بن موسى القارئ، تحقيق: حاتم صالح الضامن، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة التراث والآثار، دار صدام للمخطوطات (١٩٨٨م).
- **الوجوه والنظائر**: أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى (٢٠٠٧م).

المراجع باللغة الأجنبية:

- **Le Coran:** Texte, Traduction et commentaires. Cheick si Hamza Boubakeur. Paris: Maisonnoeuvre et Larose. Et l'édition de L'ENAG. 1994, Alger.
- **Le Noble Coran:** Chiadmi, Mohammed, Nouvelle traduction française du sens de ses versets, Editions Tawhid, Lyon, 2006.
- **Le Noble Coran et la traduction en langue française de ses sens:** Dr. Mouhammad HAMIDALLAH, Complexe Roi Fahd, Médine, 2000.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	٢٢٣
المقدمة	٢٢٤
المطلب الأول: تعريف الأضداد لغة واصطلاحاً	٢٢٧
المطلب الثاني: تعريف الظن لغة واصطلاحاً	٢٣٠
المطلب الثالث: معاني الظن وتعامل المترجمين معه في آيات القرآن الكريم	٢٣٣
تحليل الترجمات الثلاث ومناقشتها	٢٣٩
أولاً: ورود الظن بمعنى الكذب	٢٤٠
ثانياً: ورود الظن بمعنى التهمة	٢٤٠
ثالثاً: ورود الظن بمعنى اليقين	٢٤١
رابعاً: ورود الظن بمعان مختلف فيها	٢٤٦
خامساً: ورود الظن على بابه بمعنى الشك	٢٥٢
الخاتمة	٢٦٥
فهرس المصادر والمراجع	٢٦٩

أخبار المجمّع

الشؤون العلمية:

- مواصلة العمل في صف «معجم كُتَّاب المصحف الشَّريف»، وتصحيح ما صُفَّ أولاً بأول، وقد وصل العمل فيه إلى حرف «ن».
- مواصلة تحقيق كتاب «إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر»، وفق الخطَّة التَّنفيذيَّة لاستكمال ما نتج عن المراجعة، ووفق الخطَّة العلميَّة ومنهج العمل المُعدَّلين المعتمدين لذلك، وقد وصل الصَّفُّ إلى آخر «باب مذاهبهم في ياءات الزَّوائد»، وهو آخر قسم «الأصول» من الكتاب.
- المشاركة في أعمال علميَّة لجهات في المجمَّع، منها:

١. مشاركة مركز التَّرجمات في إعداد «دليل المُترجِم العلمي».

٢. مشاركة مركز البحوث الرقميَّة في إعداد الإصدار الأوَّل لـ «التَّفسير الموضوعي للصُّم والبكم»، الجانب العقدي.

٣. المشاركة في إعداد «الكتيِّب التَّعريفي للمجمَّع».

- القيام بأعمال المراكز العلمية ومتابعة سير العمل فيها، وبخاصَّة ما يلي:

١. ما يتعلَّق بتطوير إصدارات المجمَّع الورقية، ومتابعة ما ينشر عنها، واتِّخاذ الإجراءات اللَّازمة لإعادة طباعتها وفق الدَّليل الإجرائي المعتمد.

٢. اقتراح تطوير «إجراءات سير المشروعات البحثيَّة في الشُّؤون العلميَّة».

٣. مراجعة ملفَّات إصدارات المجمَّع، واستكمالها، والتأكد من حفظ عقود شراء الملكية الفكرية فيها.

- الترجمة الجاخنكية (صوتية): جار إعدادها النهائي في استوديو المجمع.
- الترجمة الأورومية (صوتية): تم رفعها على موقع المجمع.
- ترجمة اللنغالا: ملازم الطباعة لدى المراجع للاعتماد.

- الترجمة الصربية: تمت ترجمة ٢٥ جزءاً، ومراجعة ١٢ جزءاً.
- ترجمة الجولا: تمت ترجمة ١٦ جزءاً، ومراجعة ١٥ جزءاً.
- ترجمة الزولو: تم إرسال البروفة الأولى إلى مراجع في جنوب إفريقيا.
- الترجمة الأمهرية: عادت البروفة الرابعة من المراجع.
- الترجمة اللوغندية: جار تحكيم الترجمة من قبل محكمين.
- الترجمة الملاغاشية: تم إرسال ملاحظات المحكمين إلى المترجم للتصحيح.
- الترجمة الإندونيسية: تم إرسال ملاحظات جديدة عليها إلى وحدة التحضير.
- الترجمة الفارسية الجديدة: جار تحكيمها من قبل محكمين.
- الترجمة الدرية: تم تحكيم الترجمة مرة ثانية، وجار دراسة ملاحظات المحكمين.
- ترجمة الشيشوا: تم تحكيم الترجمة، وإرسال ملاحظات المحكمين إلى لجنة إعدادها للتصحيح، وأعادتها إلى المركز مع بيان وجهة نظرها فيما لم تأخذ به منها.
- ترجمة اليوربا: تم إرسال البروفة الأولى للمراجع في نيجيريا.
- الترجمة الكورية: تم ترشيح مراجع لتجاربها الطباعية.
- ترجمة البشتو: تم ترشيح شخصين لتسجيلها صوتيّاً ومراجعة التسجيل.
- الترجمة البلوشية: وصل مراجع تجاربها الطباعية إلى سورة التوبة.
- الترجمة الليزكية: سيتم تجهيز البروفة الثانية قريباً إن شاء الله.
- الترجمة السندية: تم توقيع عقد مراجع البروفات، جار تبني حرف جديد لتجهيز البروفة الأولى.
- الترجمة التاميلية: عادت البروفة الأولى من المراجع.
- الترجمة التايلندية: وصلت العقود إلى مراجع تجاربها الطباعية وتم توقيعه عليها.
- ترجمة الهوسا: تم ترشيح مراجع لتجاربها الطباعية.
- الترجمة الصومالية: وصل المراجع إلى نهاية سورة الأنبياء.
- الترجمة الكردية السورانية: تم إرسال عقد مراجع تجاربها الطباعية إليه للتوقيع.

- الانتهاء من إدراج مجموعة من الخصائص الجديدة في تطبيق «مصحف المدينة النبوية» في نسخته الثالثة المحدَّثة، التي ستطلق بتدشين معالي الوزير المشرف العام على المجمع، في مطلع شهر رمضان القادم بعون الله تعالى.
- إعداد التصور الواضح للبوابة الرقمية لإصدارات المجمع، على مختلف منصات التشغيل، بما في ذلك منصات الأجهزة الذكية.
- إطلاق التفسير الموضوعي لمعاني القرآن الكريم بلغة الإشارة، وهو بعنوان: «تفسير آيات مختارة في موضوعات في العقيدة»، ويخدم هذا الإصدار - على وجه الخصوص - ذوي الإعاقة السَّمعية من فئة الصُّم والبُكْم وضِعاف السمع، ويحوي تسعة موضوعات في أبواب العقيدة الإسلامية السَّمْحة.

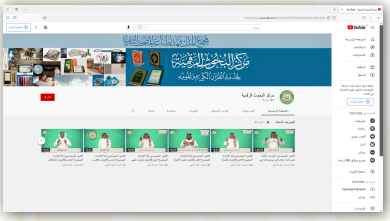

ويحوي الإصدار توضيحاً لمعاني الكلمات في كل موضوع، ثم التفسير الإجمالي، ثم أهمَّ الفوائد والأحكام المستفادة، ثم ما ترشد إليه الآيات.

ولمشاهدة موضوعات الإصدار الأول، التكرم بزيارة موقع اليوتيوب على الرابط التالي:

https://www.youtube.com/channel/UCOQ7PALuiKdSIGynpdR1FgQ

- أُنجز تحويل بعض إصدارات المجمع لصيغ رقمية من الترجمات الآتية: الترجمة الأردية، الترجمة الصينية، الترجمة الإسبانية، الترجمة النيبالية، الترجمة الإندونيسية، الترجمة الفولانية (حرف لاتيني).
- شُرِع في استكمال «المعجم الموضوعي لمصطلحات علوم القرآن الكريم»، وانْتُهي من جرد بقية مصادر المعجم، (٥٢) مصدراً، وإكمال وضع مستويات أربعة للتعامل مع عموم مصطلحات المعجم، وإضافة التوثيقات الجديدة من المصادر.

- الانتهاء من مراجعة نسخة «التفسير الميسَّر» النَّصي على مستوى الآية الواحدة لمنصة التحكيم في الأمانة العامة للمسابقتين الدولية والمحلية في وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد.
- التنسيق مع مركز الملك سلمان للترميم والمحافظة على المواد التاريخية في دارة الملك عبد العزيز في الرياض؛ لقيامه بتنفيذ تعقيم المخطوطات الأصلية في المجمع، والتي بلغت (٥٧) مخطوطة، ونحو (١٥٠) كتاباً من الكتب القديمة التي يمتلكها المجمع.
- الانتهاء من مراجعة نسخة «التفسير الميسَّر الصَّوتي» على مستوى الآية الواحدة.

اللجنة العلمية:

- إن عمل اللجنة العلمية لمراجعة المصحف يتناول المصاحف المطبوعة، والمصاحف المرتلة، كما يشمل ما يرد إلى المجمع من مصاحف مخطوطة ومطبوعة من الجهات الرسمية داخل المملكة وخارجها، وذلك بغرض مراجعتها وكتابة تقرير عنها. كما يتناول أيضاً ما يرد إلى اللجنة من استفسارات حول مراجعة المصاحف وطباعتها والبحوث المتعلقة برسم القرآن الكريم وضبطه، وعلامات الوقف، وكذا كل ما يتعلق بعلوم القرآن الكريم بشكل عام، وتقوم اللجنة العلمية أيضاً بمراجعة عينات من جميع المستخلصات المقروءة والمسموعة التي يصدرها المجمع للتأكد من سلامة النص القرآني.
- كما تشارك اللجنة العلمية في إقامة الدورات التجويدية التي يقيمها المجمع كل عام على مدى سبعة أشهر بالمسجد النبوي الشريف للراغبين في عرض القرآن الكريم وفق رواية حفص عن عاصم الكوفي من طريق الشاطبية، وذلك ابتداء من عام (١٤١٩ - ١٤٢٠هـ) حتى الآن، وقد تخرج في هذه الدورات على امتداد اثنين وعشرين عاماً (٤٥٣) من الدارسين.

- المصاحف التي تمت مراجعتها من قبل اللجنة العلمية لمراجعة المصحف الشريف وإصدارها على النحو التالي:

١. الانتهاء من مراجعة المصحف الكريم وفق رواية قالون واعتمدت طباعته.

٢. الانتهاء من مراجعة المصحف الكريم وفق رواية الدوري المعد للطباعة الذي تنتهي صفحاته بآية.

٣. الانتهاء من مراجعة مصحف برواية حفص عن عاصم الذي لا تنتهي صفحاته بنهاية الآية.

٤. مراجعة مصحف المدينة النبوية وفق رواية البزي عن ابن كثير المكي المعد للطباعة الذي تنتهي صفحاته بآية.

- المصاحف المرتلة بالمجمع:

١. الانتهاء من سماع التسجيل للمصحف وفق رواية شعبة بصوت فضيلة الشيخ: علي بن عبد الرحمن الحذيفي واعتماد نشره من اللجنة.

٢. الانتهاء من سماع التسجيل للمصحف وفق رواية حفص بصوت الشيخ: ماهر المعيقلي واعتماد نشره من اللجنة.

٣. بدء التسجيل وفق رواية حفص عن عاصم بقصر المنفصل، بصوت الشيخ: صالح ابن حميد، من بداية المصحف إلى نهاية سورة آل عمران.

٤. بدء التسجيل وفق رواية حفص عن عاصم بتوسط المنفصل، بصوت الشيخ: عبد المحسن القاسم، وأتم الجزء الأول من سورة البقرة.

الشؤون الفنية:

١. الكميات المفسوحة من الإصدارات خلال الفترة من ١٤٤٢/٢/١٣هـ حتى يوم ١٤٤٢/٧/١٠هـ (٥,٤١٦,٧٧٩) نسخة.

٢. جاري العمل على تنفيذ مشروع استوديو التسجيلات بالمجمع.

تقنية المعلومات:

- إطلاق «خدمة تضمين المحتوى» على الموقع الإلكتروني:

وهي خدمة تقوم فكرتها على إتاحة إمكانية الاستفادة من المادة العلمية في موقع المجمع، ونشرها ضمن مواقع الإنترنت الأخرى على الشبكة العالمية للمعلومات، بحيث يمكن - مثلاً - أن تظهر صفحة عرض (مصحف ورش) الموجود في موقع المجمع، ضمن صفحة إحدى المواقع الأخرى على شبكة الإنترنت بتصميم يتلاءم مع الموقع الذي يعرض صفحة المجمع ضمن موقعه.

وذلك بهدف نشر نسخة صحيحة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وترجمات معانيه، على نطاق واسع عبر خلال شبكة الإنترنت. وهذه الخدمة متاحة على الرابط التالي:

https://qurancomplex.gov.sa/isdarat-embed

- إطلاق منصة «خدمات مطوري برمجيات القرآن الكريم وعلومه»:

ضمن اهتمامات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف وحرصه على توفير نسخ رقمية من مصحف المدينة النبوية بمختلف الروايات لأصحاب الاختصاص في تطوير التطبيقات الرقمية ذات العلاقة بالقرآن الكريم، بادر المجمع بتطوير منصة رقمية لخدمة مطوري برمجيات القرآن الكريم وعلومه، على موقع الشبكة العالمية على الرابط التالي:

https://qurancomplex.gov.sa/techquran/dev

الأهداف:

١. نشر نسخ سليمة ومدققة وجاهزة للاستخدام من النص القرآني الموافق لمصحف المدينة النبوية بمختلف الروايات.

٢. إثراء المحتوى الرقمي للنص القرآني ودعم بيئة تطوير برمجيات القرآن الكريم.

٣. توفير النص القرآني بمختلف الصيغ الحاسوبية (SQL, JSON, HTML5, XML, Excel, MS Word) التي تساعد مطوري البرمجيات على تطوير برمجيات القرآن الكريم بالاعتماد على المحتوى الرقمي للقرآن الكريم الصادر من جهة موثوقة.

- إطلاق صفحة «المبيعات والتسويق»:

بهدف تلبية رغبة فاعلي الخير - داخل المملكة وخارجها - ممن يرغبون تزويد المساجد وغيرها بكميات من المصاحف والترجمات، أتاح المجمع على موقعه الإلكتروني صفحة لقسم المبيعات والتسويق، تحتوي على الأصناف المتاحة للبيع، تتضمن البيانات والمواصفات الفنية الخاصة بكل إصدار، مثل: (اسم الإصدار، نوعه، سعر البيع، وزن الكرتون، مقاسات الإصدار).

إدارة التسويق:

- الكميات التي توفرت لعملاء وزوار إدارة التسويق:

١. إجمالي الكميات المستلمة منذ بدء العمل بنظام التشغيل الذاتي بلغت (٢١,٤٦٩,٥٤) نسخة.

٢. إجمالي الكميات المباعة منذ بدء العمل بنظام التشغيل الذاتي بلغت (٨,٢٢٠,٧٧٠) نسخة.

٣. إجمالي قيمة الكميات المباعة منذ بدء التشغيل الذاتي بلغت (١٦٨,٣٥٨,٦٥١,٠٠) ريال.

- الإصدارات الجديدة التي توفرت لدى إدارة التسويق والبيع:

١. المصحف الكبير (٢) ٢٠٠/أ.

٢. المصحف العادي (٣) ٧٠٠٠/س ٥٠غم.

٣. الترجمة السواحلية ٤٠٠٠/د ٢١.

٤. الترجمة الفلبينية (التغالوغ) ٤٠٠٠/د ٦٠.

٥. الترجمة الطاجكية ٤٠٠٠/د ٥٦.

٦. الترجمة الأسبانية بدون النص القرآني ٤٠٠٠/د ٢٤-٢.

- توفر بعض الإصدارات المنقطعة عن التسويق منذ فترة مثل:

١. المصحف العادي نسخ تعليق ٣٠٠٠/ج ٧٠/٢غم.

٢. المصحف الكفي ٨٠٠٠/ح.

٣. المصحف الوسط ١٠٠٠٠/ن ٥٠غم.

٤. الترجمة الأردية ٤٠٠٠/د ٤أ.

٥. التجويد الميسر.

وحدة التدريب والتطوير:

- بيان إحصائي عن دورات وحدة التدريب والتطوير خلال الفترة من ١٤٤٢/٠١/٠١هـ وحتى تاريخه:

مسمى الدورة	عدد المتدربين	التخصصات
تدريب تعاوني الفصل التدريبي الأول ١٤٤١/١٤٤٢هـ.	٥	قوى كهربائية - تكييف وتبريد - إلكترونيات صناعية وتحكم شبكات.
النظام الإلكتروني للبيع والتسويق.	١٢	نظام المبيعات والتسويق.
برنامج التمكين الفني (الطباعة).	٤	آلات الطباعة.
تدريب تعاوني الفصل التدريبي الثاني ١٤٤١/١٤٤٢هـ.	١٩	قوى كهربائية - تكييف وتبريد - آلات ومعدات - برمجة الحاسب ونظم المعلومات - شبكات - دعم فني - محاسبة - موارد بشرية.

King Fahd Glorious Qur'ān Printing Complex in Brief

Inauguration

In response to the increasing need of Muslims the world over for copies of the Glorious Qur'ān, assuming the pioneering role of the Kingdom of Saudi Arabia in serving Islam and Muslims, and realizing the importance of serving the Glorious Qur'ān, the late Custodian of the Two Holy Mosques, King Fahd Ibn 'Abdul-'Azīz, laid the foundation stone of King Fahd Glorious Qur'ān Printing Complex in Madinah in 1403 AH (1982) and inaugurated it in 1405 AH (1984) as a body dedicated to carrying out this honourable task. On laying the foundation stone he said:

> *In the Name of Allah, the Most Beneficent, the Most Merciful. With the blessing of Allah, the Exalted, the Able [do I lay this stone].... We pray that this project will be a blessing for the service of the Glorious Qur'ān, firstly, and Islam and Muslims, secondly. I pray to Allah, the Exalted, the Able, to grant us help and success in our religious and worldly affairs, and to make this project successful in fulfilling what it has been set up for, namely, the Glorious Qur'ān, so that Muslims may benefit from it and ponder on its meanings.*

Aims of the Complex

Prominent among the aims of the Complex are: printing the Glorious Qur'ān and recording it on audio media in the modes of reading well-known in the Muslim world, translating its meanings, furthering tafsir and Qur'anic studies, undertaking Islamic research and studies, and catering to the needs of Muslims, inside and outside the Kingdom, for the different publications of the Complex and making them available on the internet.

Supervision of the Complex

The Ministry of Islamic Affairs, Daʿwah and Guidance supervizes the Complex. His Excellency Shaikh Dr. 'Abdullaṭif ibn 'Abd al-'Azīz ibn 'Abdulraḥman Āl al-Shaikh is the Supervisor-General of the Complex and the head of its Higher Committee. The implementation of the Complex's policies and the achievement of its aims are overseen by the Secretary-General of the Complex, Ṭalāl ibn Rāzin al-Ruḥaili, Editor in chief of the Journal of Qur'ānic Research and Studies.

The Higher Committee

The higher committee of the Complex sets its general policies and aims, oversees their implementation, and endorses the rules and regulations of the Complex.

The Scholarly Board

The scholarly board of the Complex looks into scholarly matters in line with the Complex's aims and suggests ways to advance them. It also considers research and issues of scholarly nature, and reviews the reports presented by specialized centres within the Complex.

Figures and Achievements

- The Complex comprises an integral line of production including the scholarly bodies, which work on preparing and producing its publications, and state-of-the-art printing, CD recording equipment.
- The Complex stands out with its advanced quality control system, applied rigorously at all production stages. There are almost 462 personnel in the quality control department responsible for ensuring that publications are free from defects.
- The Complex produced more than 300 important titles in the fields with which it is concerned, 70 of which are translations of the meanings of the Glorious Qur'ān in different languages. Work is in progress to bring out more useful publications.
- the Complex's production for the year 1442-1443 A.H. (2020-2021 A.D.) will reach 19.504.000 m copies in different fields of publication *insha Allah*.
- The Complex distributed 320 million copies of its publications in different continents of the world as a present from the Kingdom of Saudi Arabia. About 2 millions copies are distributed annually as part of the Custodian of the Two Holy Mosques' gift to the Pilgrims of Allah's House.

Support of the Complex

The Complex receives constant support from the Custodian of the Two Holy Mosques, King Salmān ibn 'Abd al-'Azīz, his Crown Prince, HRH Muḥammad ibn Salmān ibn 'Abd al-'Aziz, May Allah keep and preserve them.

Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Islamic Affairs,
Da^{c}wah and Guidance
King Fahd Glorious Qur'ān Printing Complex

Journal of QUR'ĀNIC RESEARCH AND STUDIES

A Refereed Journal Specializing
in the Glorious Qur'ān and its Studies

Issue 23 , 24 • Volume 14 ,15
1442 ,1443 AH - 2021 , 2022